

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

السمعاني وجهوده البلاغية في ضوء كتابه

(تفسير السمعاني) السور المدنية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:

اسم الطالبة: مريم محمد محمد الشيخ علي

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ: ٢٠١٥/١/٢٤



نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ مريم محمد محمد الشيخ علي لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، وموضوعها:

السمعاني وجهوده البلاغية في ضوء كتابه (تفسير السمعاني) السور المدنية

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 04 ربيع الآخر 1436هـ، الموافق 2015/01/24م الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً بمبنى طيبة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

.....	مشرفاً ورئيساً	أ.د. محمد شعبان علوان
.....	مناقشاً داخلياً	د. وليد محمود أبو ندى
.....	مناقشاً خارجياً	أ.د. نعمان شعبان علوان

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية الآداب/قسم اللغة العربية.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

.....
.....
.....
أ.د. فؤاد علي العاجز





الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

**السمعاني (ت ٤٨٩هـ) وجهوده البلاغية في ضوء كتابه
” تفسير السمعاني ” (السور المدنية)**

**Al-Samani's Rhetorical Efforts in His Book Tafseer Al-Samani
(Qur`anic Madinite Chapters)**

إعداد الباحثة

مريم محمد محمد الشيخ علي

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد شعبان علوان

أستاذ البلاغة والإعجاز القرآني بالجامعة الإسلامية

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في البلاغة العربية من

قسم اللغة العربية بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية

٢٠١٥ - ١٤٣٦ هـ - م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى:

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا

مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ

لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة الحش: آية ٢١]



إلى قناديل السماء الذين علمونا أن نعيش لأجل الحق لنظل أحياء حتى لو فارقت أرواحنا الأجساد

الشهداء الأبرار وعلى رأسهم خالي الشهيد: جواد أبو سلمية

إلى التي تمتهن الحب وتغزل الأمل، سيدة القلب أهديك رسالتي لتهديني الرضا والدعاء

والدتي الغالية

إلى من تعلمت منه معنى الكفاح، إلى الذي ينير لي درب النجاح

والدي الحبيب

إلى بؤرة النور التي عبرت بي نحو الأمل والأمان الجميلة

إخوتي وأخواتي الأحباء

وجدتي الغالية أم خليل

أقدم هذا الجهد المتواضع سائلة المولى أن يتقبله مني وينفعني به في الدنيا والآخرة

الباحثة

مريم محمد الشيخ علي

شكر وتقدير

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]

وَلَوْ أَنِّي أُوتِيتُ كُلَّ بِلَاغَةٍ وَأَفْنَيْتُ بَحْرَ النُّطْقِ فِي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ
لَمَا كُنْتُ بَعْدَ الْقَوْلِ إِلَّا مُقْصِرًا وَمُعْتَرِفًا بِالْعَجْزِ عَنِّ وَاجِبِ الشُّكْرِ

أقل ما يمليه الواجب عليّ كلمة شكر وعرقان، لمن كان لهم فضل في إخراج هذا العمل بهذه الصورة، اعترافاً بالفضل لأهل الفضل، وأول من أتوجه له بالشكر هو خالقي ومولاي، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، يا عزيز يا غفور أتمّ علينا نعمك وفضلك يا أرحم الراحمين.

إلى من أضاء بعلمه عقلي، وهدى بالجواب الصحيح حيرتي، فأظهر بسماحته تواضع العلماء، وبرحابته سماحة العارفين، أتقدم بجزيل الشكر والتقدير وعظيم الامتنان إلى مشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور/محمد شعبان علوان (حفظه الله)، فله مني كل الشكر على صبره وتحمله لي طيلة فترة الإشراف، وأسأل الله -تبارك وتعالى- أن يبارك له في وقته وعلمه.

وأنتقدم بالشكر الخالص للأستاذين الكريمين عضوي لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور / نعمان شعبان علوان حفظه الله ورعاه.

والأخ الدكتور/ وليد محمود أبو ندى حفظه الله ورعاه.

وأنتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية عامة، وكلية الآداب خاصة لإتاحتها لي فرصة الدراسة للحصول على درجة الماجستير، وأخص بالذكر أساتذتي الذين كان لهم فضل التدريس في مرحلتي البكالوريوس والماجستير.

كما أتقدم بجميل العرفان لكل من قدم لي عوناً ومساعدة سواءً بمراجعة، أو بتوفير كتاب، أو بإسداء نصيحة طيبة، أو بدعاء في ظهر الغيب.

راجية المولى أن يبارك فيهم جميعاً، وأن يجعلهم ذخراً للإسلام والمسلمين .

المقدمة

الحمد لله جاعل المرء بأصغريه قلبه ولسانه، والمتكلم بأجمليه فصاحته وبيانه، راقم حقائق المعاني بأفلام الإلهام على صفحات الأفكار، جامع اللسان والقلم على ترجمة ما في الضمائر، أحمده على أن وهب من بنات الأفكار ما يربو في الفخر على ذكر الصوارم ، ومنح من جواهر الخواطر ما يزكو مع الإنفاق ولا ينقص بالمكارم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يوقّع لصاحبها بالنجاة من النار، ويكتب قائلها في ديوان الأبرار، وأن محمداً عبده ورسوله، اهتزت لهيبته الأسرة، وشرفت بذكره المنابر، وضافت عن درك وصفه الطروس، ونفدت دون إحصاء فضله المحابر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين قلدوا أمور الدين فقاموا بواجبها، وحملوا أعباء الشريعة فاننتشرت بهم في مشارق الأرض ومغاربها، صلاة تُسَطَّر في الصحف، وتفوق بهجتها الرُّوض الأُنْف أما بعد :

إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً، وأسبق فرعاً، وأحلى جئى، وأعذب وِرداً، وأكرم نتاجاً، وأنور سراجاً، من علم البلاغة، الذى لولاه لم ترَ لساناً يحوك الوشْي، ويصوغ الحَلْي، ويلفظ الدر، وينفث السحر، ويقري الشهد، ويريك بدائع من الزهر، ويجنيك الحلو اللينع من الثمر، والذى لولا تحقّيه بالعلوم، وعنايته بها، وتصويره إياها، لبقيت كامنة مستورة، ولما استبنت لها يد الدهر صورة، ولاستمر السرار بأهلتها، واستولى الخفاء على جملتها، إلى فوائد لا يدركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء^(١).

والقرآن الكريم هو منبع البلاغة ، ومعينها الصافي، فمن أراد أن يرتوي من ينبوعها فعليه بدراسة كتاب الله ﷻ؛ لذلك اندفعت لدراسة البلاغة من القرآن الكريم، باحثة بين نفائس التراث عن تفسير أخرجه إلى النور؛ ليبدو بهي الطلعة، وليد اللحظة، فكان كتاب تفسير السمعاني للإمام: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني (ت ٤٨٩هـ) .

وسأقوم - إن شاء الله- بدراسة السور المدنية التي تناولها التفسير مبرزة جهود المؤلف باكتشاف الأسرار البلاغية في تفسيره .

أسباب اختيار الموضوع :

١- إظهار بلاغة السمعاني في كتابه وخاصة أن الكثير لا يعتبره رجل بلاغة .

(١) انظر: دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت:

٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٣ (جدة، دار المدني، ١٩٩٢م) (٥).

- ٢- أنني لم أجد في حدود ما اطلعت عليه من أفرد هذا الموضوع بدراسة مستقلة .
- ٣- الوقوف على أسرار البلاغة القرآنية وما فيها من سحر وبيان .
- ٤- كون المؤلف من أهل السنة والجماعة ، ينتمي للقرن الخامس الهجري حيث كثرة الفرق والملل من أشاعرة ومعتزلة وبروز أهل الكلام فكان هذا التفسير يقف عند بعض آرائهم ويفندها (خاصة فيما يتعلق بالذات والصفات الإلهية) وما ينعكس ذلك على الصور البلاغية.
- ٥- الفائدة العلمية التي يكتسبها الدارس خلال استخراج المسائل البلاغية من الكتاب وتحديد مصطلحاتها .
- ٦- الرغبة في تعلم البلاغة العربية من خلال كتاب الله عز وجل عن طريق أحد كتب التفسير، إيماناً مني بأهمية البلاغة في التفسير القرآني .

منهج البحث :

يتناول موضوع البحث دراسة المسائل البلاغية عند السمعاني من خلال كتابه تفسير السمعاني، وآلية الدراسة تتمثل في استقراء القضايا البلاغية ورصدها، ومن ثم تصنيفها وتحليلها ومناقشتها، وقياسها بما ورد عند العلماء، وهذا حسب ما سيأتي في خطة البحث .

خطة البحث :

تشتمل الدراسة على مقدمة وتمهيد، وثلاثة فصول ومجموعة من الفهارس، فصلتها كالاتي:

المقدمة: وتناول فيها أسباب اختيار الموضوع ومن ثم منهج البحث، ثم خطة البحث.

التمهيد: تناولت فيها الحديث عن حياة السمعاني ،اسمه ونسبه ، ولادته ونشأته ،مكانته العلمية شيوخه وتلامذته ، أسلوبه العام في التفسير .

الفصل الأول

علم المعاني في كتاب تفسير السمعاني

وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : الخبر .

المبحث الثاني : الإنشاء غير الطلبي والطلبي.

المبحث الثالث : التعريف والتتكبير

المبحث الرابع: التكرار .

المبحث الخامس: التقديم والتأخير.

المبحث السادس: خروج الكلام عن مقتضى الظاهر.

المبحث السابع: القصر.

المبحث الثامن: الفصل والوصل.

المبحث التاسع: الإيجاز والإطناب والمساواة.

الفصل الثاني

الصور البيانية في كتاب تفسير السمعاني

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول: التشبيه .

المبحث الثاني: الحقيقة والمجاز .

المبحث الثالث: الاستعارة .

المبحث الرابع: الكناية.

المبحث الخامس: التعريض.

الفصل الثالث

الألوان البديعية في كتاب تفسير السمعاني

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المحسنات المعنوية.

المبحث الثاني : المحسنات اللفظية.

الخاتمة: وتشتمل على مجموعة من النتائج والتوصيات.

الفهارس العامة، وتشمل:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأشعار.

رابعاً: فهرس الأعلام.

خامساً: فهرس المصادر والمراجع.

سادساً: فهرس الموضوعات.

الدراسات السابقة :

- ١- منهج الإمام ابن السمعاني في تفسيره المسمى (تفسير ابن السمعاني)، للباحث: حلمي علي يوسف المنصوري، ماجستير، جامعة عدن في اليمن.
 - ٢- استنباطات السمعاني في كتابه "تفسير القرآن" ومنهجه فيها، للباحث: فهد بن سعد القويقل، ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية .
 - ٣- اختيارات الإمام أبي المظفر السمعاني في كتابه تفسير القرآن (من أول سورة الفاتحة إلى الآية رقم ١٩٥ من سورة البقرة)، للباحث: فهد عبد المنعم السلمي ، ماجستير ، جامعة الملك عبد العزيز في المملكة العربية السعودية .
 - ٤- ترجيحات الإمام أبي المظفر السمعاني في التفسير (من بداية سورة الفاتحة حتى نهاية سورة الأعراف) " دراسة مقارنة"، للباحث : عبدالله بن صالح بن سليمان العمر، ماجستير، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .
 - ٥- تفسير أبي المظفر السمعاني «سورة الفاتحة والبقرة منه»، دراسة وتحقيق، للباحث: عبدالقادر منصور منصور، دكتوراه ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
 - ٦- منهج الإمام ابي المظفر السمعاني في الترجيحات من خلال كتابه تفسير القرآن، للباحث : فهد بن سالم رافع الغامدي، ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة .
- أما فيما يتعلق بدراسة التفسير دراسة بلاغية، فلم يسبق أحد إلى دراسة هذا التفسير، غير أن دراسة السور المكية دراسة بلاغية من كتاب تفسير السمعاني، لا تزال قيد الدراسة وهي بعنوان: جهود السمعاني البلاغية في ضوء كتابه تفسير السمعاني "السور المكية" ، للباحث: سعيد عبود، ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة .

الفصل التمهيدي

السمعاني: حياته وأخباره

- اسمه ونسبه
- ولادته ونشأته
- مكانته وعلمه
- من شيوخه
- السمعاني وتأثره بالجرجاني
- من تلامذته
- دراسة وصفية للكتاب

الفصل التمهيدي

السمعاني: حياته وأخباره

اسمه ونسبه :

هو العالم العلامة مفتي خراسان في وقته، الإمام مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَبُو الْمُظْفَرِ السَّمْعَانِيُّ التَّمِيمِي، الْحَافِظُ، مِنْ أَهْلِ مَرَوْ، تَفَقَّهُ أَوْلًا عَلَى يَدِ أَبِيهِ فِي مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ (١).

وقد رُذِّ نَسَبُهُ إِلَى قَتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ (٢)؛ فَالسَّمْعَانِيُّ وَالسَّمْعَانِي مَنْسُوبَانِ إِلَى الْجَدِّ الْأَوَّلِ نَصْرِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَمْعَانَ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ سَعْدِ بْنِ غَمْرَجِ بْنِ حِجَاجِ بْنِ قَتَيْبَةَ ابْنِ مُسْلِمِ الْبَاهِلِيِّ السَّمْرَقَنْدِيِّ (٣).

ولادته ونشأته :

وُلِدَ أَبُو الْمُظْفَرِ السَّمْعَانِي فِي مَدِينَةِ مَرَوْ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ مَدَنِ خِرَاسَانَ، وَذَلِكَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتِّ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

نشأ السمعاني في بيت علم وتقى، مما أعانه على السير على طريق العلماء والأفذاذ فهو من أسرة علماء؛ فقد كان أبوه الإمام القاضي محمد بن عبد الجبار السمعاني إماماً فاضلاً، ورعاً تقياً، أحكم العربية واللغة، وصنف فيها التصانيف المفيدة، وكذلك أخوه الأكبر أبو القاسم كان إماماً فاضلاً عالماً ظريفاً كثير المحفوظ، وابنه الإمام أبو بكر محمد بن منصور بن محمد بن عبد

(١) انظر: الأنساب لحفيد أبي المظفر أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت: ٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى العلمي اليماني وغيره، ط١ (حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٢م)، (ج ٧/٢٢٢)، والعبر في خبر من غير للذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، د.ط (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، (ج ٢/٣٦١).

(٢) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي، أبو حفص (ت ٩٦هـ): أمير، فاتح، من مفاخر العرب، كان أبوه كبير القدر عند يزيد بن معاوية، ونشأ هو في الدولة المروانية، فولى الري في أيام عبد الملك ابن مروان، وخراسان في أيام ابنه الوليد، ووثب لغزو ما وراء النهر، فتوغل فيها. الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد ابن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، ط ١٥ (د.ق، دار العلم للملايين، د.ت)، (ج ٥/١٨٩).

(٣) المؤلف والمختلف: أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (ت: ٥٠٧هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، (١٨٠).

الجبار السمعاني الذي كان يفتخر به والده ويعدّه أبرع منه فكان يقول عنه في مجالس الإملاء: ابني محمد أعلم مني وأفضل مني (١).

وكذلك حفيده عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد: مؤرخ رحالة من حفاظ الحديث، وله كتابه المشهور الأنساب (٢).

وغيرهم من هذه الأسرة كثير، حتى أنهم قالوا عنهم: "أرفع بيت في بلاد الإسلام وأعظمه وأقدمه في العلوم الشرعية والأمور الدينية وأسلاف هذا البيت وأخلافه قدوة العلماء وأسوة الفضلاء، الإمامة مدفوعة إليهم والرياسة موقوفة عليهم تقدموا على أئمة زمانهم في الآفاق بالإستحقاق وترأسوا عليهم بالفضل والفقه لا بالبذل والوقاحة" (٣).

فكانوا صرحاً شامخاً للعلم والعلماء حتى أن عميد خراسان محمد بن منصور بن النسوي بنى بمرور مدرسة ووقفها على أبي بكر بن أبي المظفر السمعاني وأولاده (٤).

إلى جانب ذلك، كانت بلاد خراسان آنذاك، مكتظة بالعلماء وطلاب العلم المتنافسين، ولاسيما مدينة "مرو" التي هي مسقط رأس السمعاني، مما ساعده على تبحره في العلم وسعة المعرفة في شتى المجالات.

مكانته وعلمه :

تبين لنا أن السمعاني تربي في أحضان العلم منذ نعومة أظفاره، حتى أصبح فحلاً من فحول الأمة الإسلامية، مدحه المؤرخون في كتبهم ومما قالوا عنه: "وحيّد عصره في وقته فضلاً وطريقةً، ورُهداً وورعاً، من بيت العلم والرُّهد، ولو كان الفقه ثوباً طاوياً، لكان أبو المظفر السمعاني طِرَارُهُ" (٥)، "توحد عن أقرانه بالعلم، والزهد في الدنيا، والإتقان في الرواية، والتجرد من الدنيا" (٦)،

(١) انظر: الأنساب لأبي سعد السمعاني، (ج٧/٢٢٢).

(٢) انظر: الأعلام، (ج٤/٥٥).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ) تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢ (د.ق)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، (ج٧/١٨١).

(٤) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، (ج١٧/٧٣).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط٣ (د.ق)، مؤسسة الرسالة، (م١٩٨٥)، (ج١٩/١١٥).

(٦) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرنؤوط، ط١ (دمشق، دار ابن كثير، ١٩٨٦ م)، (ج٥/٣٩٤).

الرفيع القدر، العظیم المحل، المشهور الذكر، أحد من طبق الأرض ذكره، وعبق الكون نشره^(١)، حتى أن حفيده أبو سعد السمعاني(ت٥٦٢هـ) قال عنه: " إمام عصره بلا مدافعة، وعديم النظر في وقته، ولا أقدر على أن أصف بعض مناقبه"^(٢).

هذه هي مكانته، أما علمه فقد تنوعت أزهاره، وتفرعت أغصانه، فكان له في كل بستان زهرة، فقد نبغ في الحديث وروايته، والفقه وأحكامه، والعقيدة وأصولها، والتفسير، واللغة، وكانت له مؤلفات عدة في مجالات مختلفة، حتى أنهم قالوا عنه: " وَكَانَتْ لَهُ يَدٌ طَوَّلَى فِي فُنُونِ كَثِيرَةٍ، وَصَنَّفَ التَّفْسِيرَ وَكِتَابَ الْإِنْتِصَارِ فِي الْحَدِيثِ، وَالْبِرْهَانَ وَالْقَوَاعِدَ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، وَالْإِصْطِلَامَ^(٣) وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَوَعَّظَ فِي مَدِينَةِ نَيْسَابُورَ، وَكَانَ يَقُولُ: مَا حَفِظْتُ شَيْئًا فَنَسِيْتُهُ .^(٤)

يعد السمعاني من أبرز المناصرين لمذهب أهل السنة والجماعة، حتى أنه كان ينتصر لهم في كتبه، ويدحض الآراء التي تخالف المذهب الصحيح خاصة فيما يتعلق بالأسماء والصفات في ذات الله ﷻ حيث "سُئِلَ عَنْ أَحْبَارِ الصِّفَاتِ فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ وَصِبْيَانِ الْكِتَابِيِّ، وَسُئِلَ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ فَقَالَ:

تَجِدَانِي بِسِرِّ سَعْدَى شَحِيحًا

جِنْتُمَانِي لِتَعْلَمَا سِرَّ سَعْدَى

جَمَعْتُ عِفَّةً وَوَجَّهًا صَبِيحًا^(٥) (٦)

إِنَّ سَعْدَى لَمُنِيَّةُ الْمُتَمَنِّي

حيث كنى بالتصديق دون الإيغال في كيفية صفات الله ﷻ بقوله: "دين العجائز وصبيان الكتابيب " لأنهم يحفظون ويصدقون ويؤمنون دون كامل دراية وفهم .

وعندما سئل عن الاستواء أجاب ببيت شعر مضمونه إجابة عن السؤال، وكأنه يجيب عن السؤال بتشبيهه ضمنى، فكيفية استواء الله عز وجل على العرش سر مجهول كسر سعدى التي لا يعلم أحد سرها.

(١) الطبقات للسبكي، (ج٣٣٥/٥).

(٢) الأنساب: أبو سعد السمعاني، (ج٢٢٣/٧).

(٣) الاصطلام في اللغة هو الاستئصال، للاستزادة انظر الصحاح، مادة (صلم) .

(٤) البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٥٧٧هـ)، د. ط (د. ق)،

دار الفكر، ١٩٨٦م، (ج١٥٤/١٢).

(٥) البيت على البحر الخفيف، وهو لابن ميادة (١٤٩هـ).

(٦) البداية والنهاية، (ج١٥٤/١٢).

ونلاحظ أن السمعاني متأثر بالبلاغة حتى أنه يستخدمها في الإجابة عن الأسئلة، فيجيب بضرب الأمثال ورواية الشعر، وهو مؤثر على سعة اطلاع وتبحر في العلوم العربية، كما أن السمعاني دعم آراءه العقدية في تفسيره، وانتصر لمذهب أهل السنة والجماعة، ومما جاء فيه قوله في تفسير قول الله ﷻ: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (١).

"الآية من المنتسبات، وروى أصحاب الحديث عن أبي بن كعب (٢) ومجاهد (٣) أنّهما قالَا في تفسِير الآية: يَأْتِي اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ مِنَ الْغَمَامِ.

وأما أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن النقاش (٤) المُفسِّر فلم ينعرض لآية بشيء، وقال الزجاج (٥): يحتمل معنى الآية من حيث اللغة: يَأْتِي اللهُ بِمَا وَعدهم من العقاب، قال الشيخ الإمام: والأولى في هذه الآية وما يشاكلها أن نؤمن بظاهره ونكل علمه إلى الله تعالى وننزه الله سبحانه وتعالى عن سمات الحدوث والنقص" (٦).

ولم يقتصر اهتمام السمعاني على العلوم الشرعية فقط - كما بينا - بل تذكر بعض الأخبار ذوقه النقدي والبلاغي، فهو يكثر من استخدام الشعر في كتبه، وهو ما سيتضح في تفسيره

(١) البقرة/٢١٠.

(٢) هو أَبِي بَنُ كَعْبِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَالِكِ بْنِ النُّجَارِ، وكان يكتب في الإسلام الوحي لرسول الله ﷺ وأمر الله ﷻ رسوله أن يقرأ على أبي القرآن. وقال رسول الله ﷺ: أقرأ أمي أبي، (ت ٣٠هـ). انظر: الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع الزهري الهاشمي البصري أبو عبد الله (٢٣٠هـ). ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، (ج ٢ / ٢٥٩).

(٣) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم (ت ١٠٤هـ)، تابعي، مفسر من أهل مكة، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأ عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ . للاستزادة انظر الأعلام للزركلي، (ج ٥ / ٢٧٨).

(٤) هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقاش (ت ٣٥١هـ): عالم بالقرآن وتفسيره، أصله من الموصل، ومنتشأه ببغداد، رحل رحلة طويلة، وكان في مبدأ أمره يتعاطى نقش السقوف والحيطان فعرف بالنقاش، من تصانيفه شفاء الصدور في التفسير، و الإشارة في غريب القرآن. للاستزادة انظر الأعلام للزركلي، (ج ٦ / ٨١).

(٥) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ): عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد. كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد، للاستزادة انظر الأعلام للزركلي، (ج ١ / ٤٠).

(٦) تفسير السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م)، (ج ١ / ١٥٣).

أيضاً، ويعجب بالشعر الجيد، يذكر صاحب دمية القصر^(١) أنه قابل الإمام أبا المظفر السمعاني في رحلته إلى مرو فيقول^(٢): وقد لقيته بمرور سنة سبع وأربعين وأربعمئة، يوم جمعة قضى فيه حق زيارة السيد ذي المجددين أبي القاسم علي بن موسى الموسوي، أدام الله جماله والمجلس غاصّ يشحنه من المراوزة عامّ وخاصّ، وانفق حضوري في جملتهم، فالتقى سهيل والثريّا، وتصافح الماء والحميّا، وقلت: هذا يوم مجموع له الناس، واتفاق حسن يحصل بمثله الاستثناس، وأبرز القصيدة التي عملها برسم الخدمة النبويّة، وهي:

حَبَا لَكَ مِنْ تَحْتِ ذَيْلِ الْحَبِيّ شُعَاعٌ كَحَاشِيَةِ الْمَشْرِفِيّ

وهذه قصيدة طويلة، فلما انتهى إلى قوله فيها:

مُعَادٍ مُعَادِيهِ مَهْمَا طَوَى عَلَى بُغْضِهِ الْقَلْبُ، قَعْرَ الطَّوِيّ

وَأَمْثَلُ أَحْوَالِ أَعْدَائِهِ وَكُلُّهُمْ نَهَبُ دَاءِ دَوِيّ

عِصِيّ مَكَلَّةٌ بِالرُّوسِ وروس مَكَلَّةٌ بِالْعِصِيّ^(٣)

صَفَّقَ القاضي أبو منصور السمعاني بيديه، وقال: عين الله عليه، وأثنى عليه في ذلك المجلس الغصان بمثل ما أثنى به حسان على آل غسان، وقال^(٤) في بديهة وتواضع بذلك:

حُسْنُ شِعْرِ وَعُلَا قَدْ جُمِعَا لَكَ جَمْعاً يَا عَلِيّ بْنَ الْحَسَنِ

أَنْتَ فِي عَيْنِ الْعَلَا كَحَلٍّ وَمِنْ رَدِّ قَوْلِي فَهُوَ فِي عَيْنِ الْوَسَنِ^(٥)

فرد عليه الباخري بأبيات يمدح فيه السمعاني بقوله:

شَغَلْتُ بِسَمْعَانِي مَرَوْ مَسَامِعِي فَحَزْتُ الْمُنَى مِنْ أَوْحَادِ الْعَصْرِ فَرْدُهُ

(١) وهو علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخري، أبو الحسن (ت: ٤٦٧هـ)، أديب من الشعراء الكتاب، من أهل باخرز (من نواحي نيسابور) تعلم بها وبنيسابور، وقام برحلة واسعة في بلاد فارس والعراق، وقتل في مجلس أنس بباخرز. للاستزادة انظر الأعلام للزركلي، (ج ٢٧٣/٤).

(٢) انظر: دمية القصر وعصرة أهل العصر: علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخري، أبو الحسن (ت: ٤٦٧هـ)، ط ١ (بيروت، دار الجيل، ١٤١٤هـ)، (ج ٢/٨٤٢-٨٤٧).

(٣) الأبيات على البحر المتقارب، للباخري.

(٤) يقصد بذلك السمعاني.

(٥) البيت على البحر الرمل وهو للسمعاني.

وَأَلْبَسْتُ زِيًّا مِنْ نَسَائِحِ وَشِيهِ
وَأَلْبَسْتُ زِيًّا مِنْ نَسَائِحِ وَشِيهِ
وَسُرَّخْتُ مِنْهُ الطَّرْفَ فِي مُتَوَاضِعِ
وَسُرَّخْتُ مِنْهُ الطَّرْفَ فِي مُتَوَاضِعِ
فَبَاتَ عَزِيْزَ الْعَيْشِ فِي بَيْتِ عَزِّهِ
وَسُرَّخْتُ مِنْهُ الطَّرْفَ فِي مُتَوَاضِعِ
وَقُلِّدْتُ سَمَطًا مِنْ جَوَاهِرِ عِقْدِهِ
وَقُلِّدْتُ سَمَطًا مِنْ جَوَاهِرِ عِقْدِهِ
وَقَلَّ قَرِيْرَ الْعَيْنِ فِي ظِلِّ مَجْدِهِ^(١)
وَقَلَّ قَرِيْرَ الْعَيْنِ فِي ظِلِّ مَجْدِهِ^(١)

فكان ينقد الشعر، ويبدي إعجابه بما يراه مناسباً .

وذكر عنه أيضاً أنه كان يروي الشعر، ومن ذلك ما رواه السمعاني عن والده فقال :
"سمعت سعد بن نصر الواعظ الحيوان يقول: كنت خائفاً من الخليفة لحادث نزل واشتد الطلب لي
فاختفيت، فرأيت في النوم ليلة من الليالي كأني في غرفة جالس على كرسي وأنا أكتب شيئاً، فجاء
رجل فوقف بإزائي وقال: اكتب ما أمني عليك وأنشدني^(١):"

ادْفَعْ بِصَبْرِكَ حَادِثَ الْأَيَّامِ
ادْفَعْ بِصَبْرِكَ حَادِثَ الْأَيَّامِ
وَتَرَجَّ لُطْفَ الْوَاحِدِ الْعَلَّامِ
وَتَرَجَّ لُطْفَ الْوَاحِدِ الْعَلَّامِ
لَا تَيَأَسَنَّ وَإِنْ تَضَاقَقَ كَرْبُهَا
لَا تَيَأَسَنَّ وَإِنْ تَضَاقَقَ كَرْبُهَا
فَلَهُ تَعَالَى بَيْنَ ذَلِكَ فُرْجَةٌ
فَلَهُ تَعَالَى بَيْنَ ذَلِكَ فُرْجَةٌ
كَمْ مِنْ نَجِيٍّ بَيْنَ أَطْرَافِ الْقَنَا
كَمْ مِنْ نَجِيٍّ بَيْنَ أَطْرَافِ الْقَنَا
وَفَرِيْسَةٍ سَلِمَتْ مِنَ الضَّرْعَامِ
وَفَرِيْسَةٍ سَلِمَتْ مِنَ الضَّرْعَامِ

ويذكر عنه أيضاً أنه قال شعراً في موطنه مرو بعد أن ارتحل عنها وغير مذهبه من
الحنفية إلى الشافعية وثار عليه العامة، فاشتاق لمرو وأرسل إليها قوله^(٣) :

خَلِيْلِيَّ إِنِّ وَأَفِيْتُمَا دَارَ مِيَّةِ
خَلِيْلِيَّ إِنِّ وَأَفِيْتُمَا دَارَ مِيَّةِ
أَنْيَخَا عَلَى عَمْدٍ قُلُوصِيْكُمَا^(٤) بِهَا
أَنْيَخَا عَلَى عَمْدٍ قُلُوصِيْكُمَا^(٤) بِهَا
وَقُولَا لَهَا إِنِّ أَنْتُمَا تَلْقِيَانِهَا
وَقُولَا لَهَا إِنِّ أَنْتُمَا تَلْقِيَانِهَا
بِذَاتِ الْعَضَا فَالْجُرْعِ فَالْهَضْبَاتِ
بِذَاتِ الْعَضَا فَالْجُرْعِ فَالْهَضْبَاتِ
وَلَا تَنِيَا فِي نَهْزَةِ الْعَرَصَاتِ
وَلَا تَنِيَا فِي نَهْزَةِ الْعَرَصَاتِ
تَرَكْنَا الَّذِي تَدْرِيْنَ فِي زَفَرَاتِ
تَرَكْنَا الَّذِي تَدْرِيْنَ فِي زَفَرَاتِ

(١) الأبيات على البحر الطويل للباخري .

(٢) حياة الحيوان الكبرى: محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (ت: ٨٠٨هـ)، ط ٢ (بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ)، (ج ١١٥/٢) .

(٣) التدوين في أخبار قزوين: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (ت: ٦٢٣هـ)، تحقيق: عزيز الله العطاردي، د.ط (د.ق، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م)، (ج ١٢٠/٤) .

(٤) القلوص من الناقة: الشابة . الصحاح (قاص).

مِنَ الْبَيْنِ فِي نَارٍ مِنَ الْوَجْدِ فِي حَوَى فُقَيْلَ قَرَارٍ دَائِمُ الْحَسَرَاتِ^(١)

ويتضح من خلال ما سبق علاقة اللغة والأدب بالقرآن الكريم، فالمفسر لابد من أن يكون عالماً بصروف العربية وطرق التعبير فيها مطلعاً على الشعر وروايته، وهذا يقدم برهاناً لإمكانية دراسة هذا التفسير الحسن دراسة بلاغية، فصاحبه ذو حس بلاغي وأدبي وكتابه يزخر بالكثير من الصور البلاغية كما سيتضح في هذه الرسالة إن شاء الله .

شيوخه وتلامذته:

رحل الإمام السمعاني إلى جرجان وأصبهان وهمدان وقزوين وغيرهم، واستفاد من علماء وأساتذة تلك المناطق، وسمع الأحاديث النبوية من كبار أعلام المحدثين هناك. فلم يكتف السمعاني بتلقي العلم من علماء بلده بل آثر الرحلات العلمية، وقصد المراكز العلمية خارج خراسان ودخل بغداد سنة إحدى وستين وأربعمائة، وتلقى العلم من علمائها^(٢)، ثم رحل إلى الحجاز وبقي هناك يتلقى العلم من علماء مكة حتى حج وأتم نسكه، ثم عاد إلى خراسان، ودخل مرو سنة ثمان وستين وأربعمائة^(٣) للهجرة.

كان لتنقل الشيخ وترحاله الأثر الكبير في سعة علمه وتعدد شيوخه وتلامذته، فهم أكثر من أن يتسع المجال لحصرهم جميعاً، حتى أنهم قالوا: "إن أبا المظفر جمع في الحديث ألف حديث عن مائة شيخ"^(٤)، هذا فيما يختص بعلم الحديث فقط، فما بالك بالعلوم الأخرى؟! وكذلك تعدد تلامذته، فقد قال عنه حفيده أبو سعد: "روى لي الحديث عنه جماعة كثيرة تزيد على خمسين نفرًا"^(٥).

وسأذكر على سبيل الذكر لا الحصر بعض من أخذ عنهم السمعاني ومن أخذوا عنه، وسأحاول أن أنواع في المجالات اللغوية والشرعية .

من شيوخ السمعاني :

١- الكُرَاعِيُّ أَبُو غَانِمٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ (ت ٤٤٤ هـ) :

الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، مُسْنَدُ مَرَوْ، أَبُو غَانِمٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ الْمَرْوَزِيِّ، الْكُرَاعِيُّ - نِسْبَةً إِلَى بَيْعِ الْأَكَارِعِ - حَدَّثَ عَنْهُ: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّبَسِيِّ، وَالْإِمَامُ أَبُو الْمُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ السَّمْعَانِيِّ^(٦).

(١) البيت على البحر الطويل للسمعاني .

(٢) انظر: طبقات السبكي (ج ٥، ٣٤٤).

(٣) انظر: المرجع السابق (ج ٥، ٣٣٧).

(٤) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان

البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط١ (بيروت، دار صادر، ١٩٠٠م)، (ج ٣، ٢١١).

(٥) الأنساب، لأبي سعد السمعاني (ج ٧، ٢٢٥)،

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء، (ج ١٧/٦٠٧) .

٢- والده القاضي الإمام أبو منصور محمد بن عبد الجبار بن السمعاني التميمي (ت ٤٥٠هـ):

"كان إماماً فاضلاً ورعاً متقناً، أحكم العربية واللغة، وصنف فيها التصانيف المفيدة" (١).

٣- كَرِيمَةُ أُمِّ الْكِرَامِ بِنْتُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيَّةُ (ت ٤٦٥هـ):

الشَّيْخَةُ، الْعَالِمَةُ، الْفَاضِلَةُ، الْمُسْنِدَةُ، أُمُّ الْكِرَامِ كَرِيمَةُ بِنْتُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَاتِمِ، الْمَرْوَزِيَّةُ، الْمَجَاوِرَةُ بِحَرَمِ اللَّهِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مَنْصُورِ السَّمْعَانِيِّ: سَمِعْتُ الْوَالِدَ يَذْكَرُ كَرِيمَةَ، وَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَى إِنْسَانٌ مِثْلَ كَرِيمَةَ؟ لَمْ تَنْزُجْ كَرِيمَةَ قَطُّ، خَرَجَ بِهَا أَبُوهَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَعَادَ بِهَا إِلَى مَكَّةَ، وَكَانَتْ قَدْ بَلَغَتْ الْمِائَةَ (٢).

٤- أبو القاسم الزنجاني، سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين (ت ٤٧١هـ):

"شيخ الحرم والحفاظ، كان حافظاً، قدوة، علماً، ثقةً، زاهداً، نزيل الحرم، وجار بيت الله" (٣).

ويعد هؤلاء العلماء وغيرهم من أبرز من أخذ عنهم السمعاني مشافهة وخاصة في علم الحديث واللغة والفقه، إلا أن السمعاني تأثر بعلماء البلاغة واللغة أيضاً.

ويتضح ذلك في تفسيره الذي أكثر من استشهاده ببعض العلماء ومنهم :

١- الفراء (٢٠٧هـ) :

"هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكرياء، المعروف بالفراء، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة، ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنه، فكان أكثر مقامه بها، وتوفي في طريق مكة" (٤).

وقد أخذ السمعاني برأيه في أكثر من موضع، منها على سبيل المثال في قول الله ﷻ: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْكِتَابَكَ وَرَافِعُكَ إِلَى مَطَهْرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٥).

(١) الأنساب لأبي سعد السمعاني، (ج ٢٢٢/٧).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، (ج ١٨/٢٢٣٤).

(٣) شذرات الذهب، (ج ٣٠٧/٥).

(٤) الأعلام للزركلي، (ج ١٤٥/٨).

(٥) آل عمران / ٥٥.

فيقول السمعاني : " قَالَ الْفَرَاءُ : فِيهِ تَفْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، وَتَقْدِيرُهُ : إِنِّي رَافِعُكَ إِلَى وَمَتُوفِيكَ " أي: بعد النزول من السماء" (١).

٢- أبو عبيدة بن المثنى (ت ٢٠٨هـ) :

هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، "تيم فريش مولى لهم، وكان من أجمع الناس للعلم، وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها، وأكثر الناس رواية، وكان يقال: إنه خارجي" (٢)، وكان السمعاني يذكر بعض آرائه وبخالفها في بعض الأحيان، ومن ذلك قول السمعاني في تفسير قول الله ﷻ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣).

{قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا} قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَعْنَاهُ: مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟ وَأُنْكَرَتِ النَّحَاةُ هَذَا، وَقَالُوا: هَذَا تَسَاهُلٌ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ، ف " أنى " للسؤال عَنِ الْجِهَةِ، و " أين " للسؤال عَنِ الْمَكَانِ (٤).

فذكر رأي أبي عبيدة وعارضه بآراء النحاة، وبين الصواب في هذه المسألة من وجهة نظره مع استشهاده بأمثلة من العربية وآراء النحاة، وهو مما يعكس جانباً من منهج السمعاني في تفسيره.

٣- القفال الشاشي (٣٦٥هـ) :

"هو الإمام العلامة الفقيه الأصولي اللغوي، عالم خراسان، أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي الشافعي القفال الكبير، إمام وقته بما وراء النهر، وصاحب التصانيف، قال الحاكم: كان أعلم أهل ما وراء النهر بالأصول، وأكثرهم رحلة في طلب الحديث" (٥).

وقد ذكره السمعاني في معرض تفسيره لقول الله عز وجل : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (٦).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٤١).

(٢) طبقات النحويين والبلاغيين: محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (ت: ٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢ (د.ق، دار المعارف، د.ت) (١٧٥).

(٣) آل عمران / ٣٧.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٣٣).

(٥) سير أعلام النبلاء، (ج ١٦/٢٨٣).

(٦) الرحمن / ٢٢.

ومن المعلوم أن اللؤلؤ يخرج من الماء المالح، لكن الله عز وجل نسب للماء المالح والعذب إخراج اللؤلؤ والمرجان؛ فذكر السمعاني رأي الفقهاء واستحسنه بقوله: "وذكر ألقال الشاشي في تفسيره: أن اللؤلؤ والمرجان لا يكون إلا في ملتقى البحرين في أول ما يخلق، ثم حينئذ موضع الأصداف هو البحر الملح دون العذب، فصح قوله: {يخرج منهما} لأنهما في ابتداء عند ملتقى البحرين، وهذا قول حسن إن كان كذلك" (١).

هذه النماذج على سبيل التمثيل لا الحصر، وسيوضح خلال الدراسة إن شاء الله نقل السمعاني للعديد من آراء العلماء السابقين، وسأدعم هذه الدراسة بفهرس للأعلام للاطلاع على الأعلام الذين تأثر بهم السمعاني - إن شاء الله - .

السمعاني وتأثره بالإمام عبد القاهر الجرجاني :

أشرنا في تعريفنا بالسمعاني أنه من مناصري مذهب أهل السنة والجماعة، سخر نفسه ليكون منبراً من منابر الحق، في زمن كثرت فيه الطوائف والفرق، وانتشر المعتزلة وأهل الكلام وخطوا العقائد الركيكة كالقدرية وغيرها بالعلوم الشرعية، وتأثرت البلاغة بهذه الموجات الفكرية، وذاب الذوق البلاغي بين أفكار الفلاسفة وتعقيداتهم، ورغم هذا الوسط القاتم برز نور الجرجاني وإضاءاته البلاغية، التي لا تزال إلا يومنا هذا محط إعجاب واهتمام من البلاغيين، وكان لكتابه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز صداه في البحث البلاغي، والسمعاني يعد من المعاصرين للإمام الجرجاني، ولا أخفي سراً أنني كنت أبحث عن علاقة ارتباط أو تأثر بين السمعاني والجرجاني في هذه الدراسة، إلا أنني لم أقف على اتصال مباشر بين العلمين أو حتى نقل للآراء بينهما، فالسمعاني ارتحل إلى جرجان في وقت متأخر بعد أن غير مذهبه إلى الشافعية، ولعل ارتحاله كان بعد وفاة الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) .

إلا أنني لاحظت توافقاً فكرياً وتطابقاً في ترجيح تفسير الكثير من الآيات بين كتابي تفسير السمعاني (ت ٤٨٩ هـ)، و درج الدرر في تفسير الآي والسور للجرجاني، وسأذكر على سبيل الاستشهاد لا الحصر بعضاً من هذه المواضع:

- جاء في تفسير الجرجاني في قول الله ﷻ: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٤/٢٠٤).

(٢) يوسف / ٢٥.

{وَأَسْتَبَقَا} "تبادرا إلى الباب، أما يوسف فلا يعرض عن الفاحشة، وأما المرأة فللوع ببيوسف" (١).
وجاء في تفسير السمعاني في ذات الآية: "قوله تعالى: {وَأَسْتَبَقَا} [الباب] رُوِيَ أَنَّ يُوسُفَ
بَادَرَ الْبَابَ لِيَفْتَحَ وَيَخْرُجَ، وَالْمَرْأَةُ بَادَرَتْ الْبَابَ لِتَمْسِكَ الْبَابَ فَلَا يَخْرُجُ يُوسُفُ" (٢).

من الملاحظ أن السمعاني ذكر الرواية مبنية للمجهول دون ذكر الراوي أو القائل، ولعله يقصد
الجرجاني بقوله أو غيره لأن العديد من المفسرين ذكر هذا الرأي (٣).

وفي ذات السياق في قول الله - تعالى - : {إِلَّا أَنْ يَسْجُنَ أَوْ عَذَابَ أَلِيمٍ}، ذكر الجرجاني قوله:
" قالت؛ لخوفها من أن يفضحها يوسف عند زوجها، وإنما أشارت بالسجن لصرفه عن بيعه
وقتلها. وقيل: لانعكاس المحبة؛ لأنَّ الشيء إذا تناهى انعكس" (٤).

وجاء في تفسير السمعاني: " ثُمَّ خَافَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَ فَقَالَتْ: {إِلَّا أَنْ يَسْجُنَ أَوْ عَذَابَ أَلِيمٍ}
ضرب بالسياط" (٥).

فكلاهما بيّن أن قول امرأة العزيز تعريض بعدم قتل يوسف عليه السلام وتلميح بسجنه أو جلده.

- ومن أمثلة التوافق أيضاً تفسيرهما لقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي
السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (٦).

فيقول السمعاني: " {فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} وَهَذَا أَمْرٌ تَكْوِينٌ لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهِ صَنْعٌ وَلَا
اخْتِيَارٌ" (٧).

يقول الجرجاني: " {فَقُلْنَا لَهُمْ} حقيقة القول عند أهل السنة، {كُونُوا} أمر تكوين وإيجاد" (٨).

فكلاهما بين أن غرض الأمر هو التكوين .

(١) دَرَجُ الدَّرْرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ: أَبُو بَكْرٍ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْفَارِسِيِّ الْأَصْلِ، الْجَرَجَانِيُّ
الدار (ت: ٤٧١هـ) تحقيق: طلعت صلاح الفرحان ومحمد أديب شكور أمير، ط ١ (الأردن، دار الفكر،
٢٠٠٩م)، (ج ٢/١٢٧).

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٢/٢٩٥).

(٣) للاستزادة أكثر: انظر بحر العلوم للسمرقندي، وتفسير الطبري، وتفسير الثعلبي وغيرهم .

(٤) درج الدرر، (ج ٢/١٢٨).

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٢/٢٩٥).

(٦) البقرة/٦٥.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١/٦٠).

(٨) درج الدرر، (ج ١/١٧٣).

ولعل هذا الموضوع وطبيعة العلاقة بينهما تحتاج لدراسة مستقلة مستفيضة، خاصة أن التفسير المنسوب للجرجاني حُقق في وقت حديث معاصر؛ ليرى النور ويكون مجالاً خصباً للدراسات البلاغية القرآنية لعالم من علماء البلاغة الأفاضل .

من تلامذته:

١- مُحَمَّدُ بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن عبد الله الطيان المروزي الرمادي أبو عبد الله (ت ٥٢٩هـ):

قال ابن السمعاني في التحبير: "فقيه فاضل زاهد حافظ للقرآن، كثير التلاوة قرأ بالروايات وكان من الأخيار الزاهدين الورعين، يعرف بالفقيه الزاهد سمع بمرور جدي أبا المظفر" (١).

٢- السنجي أبو طاهر محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٥٤٨هـ):

"الشيخ، الإمام، الحافظ، الخطيب، محدث مرو وخطيبها وعالمها أبو طاهر محمد بن أبي بكر محمد بن عبد الله بن أبي سهل بن أبي طلحة المروزي، السنجي، الشافعي، المؤذن، الخطيب. قال أبو سعد: ثقة أولاً على جدي أبي المظفر، وعلى عبد الرحمن الرزاز، وكتب الكثير، وحصل وألف، وكان إماماً ورعاً متهجداً متواضعاً، سريع الدمعة، وكان من أخص أصحاب والدي حضراً وسفراً، سمع الكثير معه، ونسخ لنفسه ولغيره، وله معرفة بالحديث، وهو ثقة دين قانع، كثير التلاوة، كان يتولى أموري بعد والدي، وسمعت من لفظه الكثير" (٢).

وجاء في الأنساب عنه: "شيخنا أبو طاهر محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي سهل بن أبي طلحة السنجي، فقيه صالح، صحب والدي رحمه الله، وسمع معه بخراسان والحجاز والعراق والجلال، وشاركه في شيوخ الرحلة، وعمر حتى سمعنا منه الكثير" (٣).

وغيرهم الكثير - كما بينا - فالسمعاني أخذ عنه خلق كثير في الحديث والفقه، إلا أن العديد من العلماء الأعلام في مجالات متعددة قد تأثر بأراء السمعاني واستشهد بها في كتبه ومن هؤلاء:

١- ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ):

"أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين ومولده ووفاته بالقاهرة، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل

(١) الطبقات للسبكي، (ج ٢٨/٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء، (ج ٢٠/ ٢٨٤) .

(٣) الأنساب لأبي سعد السمعاني، (ج ٧/٢٦٥) .

على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره" (١).

وقد نقل العسقلاني أقوال السمعاني وخاصة فيما يتعلق بأمر العقيدة فجاء في فتح الباري في كتاب القدر قوله: " قَالَ أَبُو الْمُظَفَّرِ بْنُ السَّمْعَانِيِّ : سَبِيلُ مَعْرِفَةِ هَذَا الْبَابِ التَّوْقِيفُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ دُونَ مَحْضِ الْقِيَاسِ وَالْعَقْلِ فَمَنْ عَدَلَ عَنِ التَّوْقِيفِ فِيهِ ضَلَّ وَتَاهَ فِي بَحَارِ الْحَيْرَةِ وَلَمْ يَبْلُغْ شِفَاءَ الْعَيْنِ، وَلَا مَا يَطْمَئِنُّ بِهِ الْقَلْبُ؛ لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى اخْتَصَّ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ بِهِ، وَضَرَبَ دُونَهُ الْأَسْتَارَ وَحَجَبَهُ عَنْ عُقُولِ الْخَلْقِ وَمَعَارِفِهِمْ؛ لِمَا عَلَّمَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ فَلَمْ يَعْلَمْهُ نَبِيُّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ" (٢).

٢- الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ):

عالم موسوعي في الحديث والتفسير واللغة والتاريخ والأدب والفقہ وغيرها من العلوم وله العديد من المؤلفات من بينها عقود الجمان في علم المعاني والبيان وهو نظم لكتاب " تلخيص المفتاح " للخطيب القزويني، والإتقان في علوم القرآن (٣).

ونقل السيوطي آراءً للسمعاني في كتابه الإتقان في علوم القرآن حيث جاء فيه: " اختلف في الخطاب " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ " هَلْ يَشْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَالْأَصْحَحُ لَا ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ قَاصِرٌ عَلَى مَنْ ذُكِرَ، وَقِيلَ إِنْ شَرَكُوهُمْ فِي الْمَعْنَى شَمِلَهُمْ، وَإِلَّا فَلَا، وَاخْتَلَفَ فِي الْخَطَابِ ب "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا " هَلْ يَشْمَلُ أَهْلَ الْكِتَابِ ؟ فَقِيلَ لَا، بِنَاءً عَلَى أَنَّهُمْ غَيْرُ مُحَاطَبِينَ بِالْفُرُوعِ، وَقِيلَ نَعَمْ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ قَالَ: وَقَوْلُهُ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا " خِطَابٌ تَشْرِيفٍ لَا تَخْصِيصٍ" (٤).

٣- محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، شهاب الدين، أبو الثناء (ت: ١٢٧٠ هـ):

مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا، تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ وعزل؛ فانقطع للعلم، وله تفسيره المشهور روح المعاني (٥).

(١) الأعلام للزركلي، (ج ١/١٧٨) .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، د. ط (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ) (ج ١١/٤٧٧) .

(٣) انظر: الأعلام للزركلي، (ج ٣/٣٠١) .

(٤) الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم، د. ط (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ م) (ج ٣/٥٨) .

(٥) انظر: الأعلام للزركلي، (ج ٧/١٧٦) .

وقد نقل الألويسي كذلك آراء السمعاني في تفسيره روح المعاني، ففي تفسير قول الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١).

فيقول الألويسي حول اختلاف المفسرين في قوله تعالى: "(وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنة)" ولم يذهب إلى القول الأول إلا شردمة قليلة بالنسبة إلى الأكثرين كما نص عليه ابن السمعاني وغيره- ويد الله تعالى مع الجماعة- ويدل على صحة مذهبهم أخبار كثيرة" (٢).

يقصد أن التأويل هو بعلم الله ﷻ غير معطوف عليه أهل العلم، وقد فرق السمعاني في تفسيره بين التفسير والتأويل وقصر علم التأويل على الله ﷻ دون غيره .

٤- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) :

"مفسر مدرّس من علماء شنقيط بموريتانيا، ولد وتعلم بها، وحج واستقر مدرّساً في المدينة المنورة ثم الرياض، وأخيراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة وتوفي بمكة، له كتب منها: أضواء البيان في تفسير القرآن" (٣).

وقد نقل بعض الآراء كذلك للسمعاني، خاصة فيما يتعلق بأمر الفقه والشريعة فيقول في تحريم الخمر: "قال أبو المظفر بن السمعاني- وكان حنفيًا فتحوّل شافعيًا - ثبتت الأخبار عن النبي ﷺ في تحريم المسكر، ثم ساق كثيرًا منها، ثم قال: والأخبار في ذلك كثيرة، ولا مساعٍ لأحد في العُدول عنها والقول بخلافه؛ فإنّها حجج قواطع" (٤).

(١) آل عمران ٧/.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ) (ج ٢/٨١) .

(٣) الأعلام للزركلي، (ج ٦/٤٥) .

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، د.ط (بيروت دار الفكر، ١٩٩٥ م) (ج ٢/٤٠٨) .

دراسة وصفية للكتاب :

تنوعت مؤلفات الإمام أبي المظفر السمعاني وآثاره، فشملت مختلف مجالات العلوم الإسلامية، واشتهرت هذه المؤلفات، وذاع ذكرها، ونالت إعجاب العلماء وخاصة تفسيره المسمى (تفسير السمعاني) الذي حاز مكانة عالية، وأثنى عليه العلماء، وتلقته الأمة بالقبول، فهو كتاب نفيس استحسنته كل من طالعه.

ومن أجل أن هذا التفسير يحمل العقيدة الصافية من عقائد أسلافنا الصالحين، ويُعدّ من التصانيف القديمة؛ فهو يستحق منا أن يكون موضع بحث ودراسة وأحاول هنا أن أجمل منهجه في تفسيره؛ لبيتسنى للقارئ الكريم أن يأخذ صورة ولو موجزة عنه وأجمل أهم ما يميزه في النقاط التالية :

١- يعد تفسير السمعاني من التفاسير النافعة القائمة على مذهب أهل السنة والجماعة، فعقيدة المؤلف ومباحثه العقديّة هي أهم ما تميز به ، فقد اهتمّ فيه ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة، والردّ على أهل البدع والأهواء، ودحض شبهاتهم وأباطيلهم، فما من آية في القرآن اتخذها أهل البدع والأهواء دليلاً لنصرة مذهبهم، أو صرفوها عن ظاهرها وأولوها، إلا رأيتّه متصدياً لهم، مبطلاً لبدعهم، ومنتصراً لمذهب أهل السنة والجماعة، وقد أكثر من ذلك على مدار تفسيره كله، ومن أمثله ما جاء في معرض تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظِلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾ (١) .

"والآية من المتشابهات، وروى أصحاب الحديث عن أبي بن كعب ومجاهد، أنّهما قالاً في تفسير الآية: يأتي الله يوم القيامة في ظلل من العمام، وأما أبو بكر محمد بن الحسن النقاش المفسر فلم يتعرّض لآية بشيء، وقال الزجاج: يحتمل معنى الآية من حيث اللّغة يأتي الله بما وعدهم من العقاب، قال الشيخ الإمام: والأولى في هذه الآية وما يشاكلها أن نؤمن بظاهريه ونكل علمه إلى الله تعالى ونزله الله سبحانه وتعالى عن سمات الحدّ والنقص" (٢).

٢- كان يذكر العديد من الأقوال، وفي الأغلب يقوم بترجيح أحدها، ومثله في التفسير ما ذكر في تفسير قول الله ﷻ: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٣).

(١) البقرة/٢١٠.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/١٥٣).

(٣) التوبة / ٨ .

فيقول السمعاني : "اختلفت الأقوال في (إِلًا) :

رُويَ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنْ " إِلًا " هُوَ اللهُ تَعَالَى، وَفِي الشَّاذِ قَرِيءٌ: " لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِيلاً وَلَا ذِمَّةً "، وإيل: هُوَ اللهُ، وَرُويَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ فِي كَلِمَاتٍ مُسَيَّلَةٍ الْكُذَّابُ - لَعَنَهُ اللهُ - حِينَ سَمِعَ أَنَّهُ يَقُولُ: يَا ضَفْدَعُ نَقِي نَقِي، كَمْ تَنْقِينَ، لَا الْمَاءُ تَكْدِرِينَ وَلَا الشَّرَابُ تَمْنَعِينَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنْ هَذَا كَلَامٌ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ إِيٍّ يَعْنِي: مِنْ اللهُ".

وَأَقْوَالُ النَّانِي قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ: الْإِلُّ هُوَ الْعَهْدُ، وَالذِّمَّةُ: التَّنْذِيمُ.

وَالثَّلَاثُ: قَوْلُ الضَّحَّاكِ ^(١) - وَهُوَ أَوْلَى الْأَقْوَالِ وَأَحْسَنُهَا - قَالَ: إِنْ الْإِلُّ هُوَ الْقَرَابَةُ، وَالذِّمَّةُ: الْعَهْدُ ^(٢)، قَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ:

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَالِ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ ^(٣)

فعدد أكثر من رأي ورجح قول الضحاك من بينها .

٣- كان يستشهد بأبيات الشعر وأقوال العربية للدلالة على المعنى اللغوي للكلمة، كما تبين لنا ذلك من خلال النموذج السابق فالإل تأتي بمعنى الإله، واستدل بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه على هذا المعنى، وكذلك استشهد بقول حسان بن ثابت على معنى القرابة، وغيره كثير في تفسير السمعاني .

٤- يتعرض للصور البلاغية في الآيات القرآنية - في بعض الأحيان -، ويدعم الصورة البلاغية بصورة مشابهة من الشعر، ومثل ذلك ما جاء في سياق تفسير الله تعالى: "يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ" ^(٤).

فيقول السمعاني: "وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنَّ الْقَوْلَ مِنْ جَهَنَّمَ هَاهُنَا عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ مِثْلَ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

(١) هُوَ الضَّحَّاكُ بْنُ مُرَاجِمٍ الْهَلَالِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ، وَقِيلَ: أَبُو الْقَاسِمِ (ت ١٠٢ هـ)، صَاحِبُ (التَّفْسِيرِ)، كَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعُلَمَاءِ، حَدَّثَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، وَابْنِ عَمَرَ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ، وَعَنْ الْأَسْوَدِ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعَطَاءِ، وَطَاوُوسٍ، وَطَائِفَةٍ . وَيُقَالُ أَنَّهُ لَمْ يَلْقَ ابْنَ عَبَّاسٍ، إِنَّمَا لَقِيَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ بِالرِّيِّ، فَأَخَذَ عَنْهُ التَّفْسِيرَ .
للاستزادة انظر سير أعلام النبلاء (ج ٤ / ٥٩٨).

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٢ / ١١٩) .

(٣) البيت على البحر الوافر لحسان بن ثابت، والسقْب هو الذكر من ولد الناقة، أما الرأل فهو ولد النعام، وكأنه في هذا البيت يشبه الرسول صلى الله عليه وسلم بذكر الناقة وقريش بالنعام، فلا قرابة بينهما .

(٤) ق/٣٠.

امْتَلَأَ الْحَوْضَ وَقَالَ قَطْنِي مهلاً ورويداً قَدْ مَلَأْتُ بَطْنِي

فَقَوْلُهُ: قَطْنِي أَي: حَسْبِي، وَوَجْهَ الْمَجَازِ فِيهِ أَنَّهُ لَمَّا امْتَلَأَ الْحَوْضَ وَلَمْ يَكُن فِيهِ مَزِيدٌ وَكَأَنَّهُ قَالَ: قَدْ امْتَلَأْتُ فَحَسْبِي، كَذَلِكَ فِي جَهَنَّمَ، وَهُوَ عَلَى تَوْسِعِ الْكَلَامِ ^(١). فَكَلَامُ جَهَنَّمَ - الْعِيَاذُ بِاللَّهِ - مَجَازٌ كَكَلَامِ الْحَوْضِ، وَهُوَ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ التَّشْبِيهِيةِ.

٥- كان يذكر آراء المدارس النحوية - خاصة البصرة والكوفة - في بعض المسائل المشككة، مثل ما جاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَكْلٌ وَهِيَ أُوخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَكْلٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ^(٢)﴾.

ففي قول الله ﷻ: (يبين الله لكم أن تضلوا) . قَالَ الْفَرَاءُ: مَعْنَاهُ: يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ لَا تَضِلُّوا، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَذَكَرَ الْكَسَائِيُّ ^(٣) حَدِيثًا فِي مَعْنَاهُ؛ فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، وَذَلِكَ مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: " لَا يَدْعُونَ أَحَدَكُمْ عَلَى ابْنِهِ أَنْ يُوَافِقَ قَدْرًا " أَي: أَنْ لَا يُوَافِقَ قَدْرًا، وَقَالَ الْبَصْرِيُّونَ: مَعْنَاهُ: يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَضِلُّوا .

فمن المعلوم أن الفراء والكسائي هما من أعلام المدرسة الكوفية، وكان لهم رأي في تقدير النفي بعد إلا في قول الله عز وجل : "أن ضلوا" أي: لا تضلوا، أما البصريون فلم يقدروا أداة نفي وإنما قدروا المعنى على أنه كراهة أن تضلوا . والله أعلم .

٦- كان السمعاني يتعرض لأسباب النزول في تفسيره، ومن أمثلة ذلك بيانه لسبب نزول بداية سورة الممتحنة في قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ نزلت الآية في حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ حِينَ كَتَبَ كِتَابًا إِلَى الْمُشْرِكِينَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ ^(٤).

وكان يدعم قصة سبب النزول بسند الرواية فيقول في ذات السياق: " الْخَبْرُ فِي ذَلِكَ مَا أَخْبَرْنَا بِهِ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّافِعِيِّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ فَرَّاسٍ، أَخْبَرَنَا

(١) تفسير السمعاني، (ج ٤/١٣٤).

(٢) النساء / ١٧٦

(٣) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي (ت ١٨٩هـ): إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة، ولد في إحدى قرأها، وتعلم بها، وقرأ النحو بعد الكبر، وتنتقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالرقي، عن سبعين عاماً، وهو مؤيد الرشيد العباسي وابنه الأمين، انظر الأعلام (ج ٤ / ٢٨٣).

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٤/٢٧٧).

أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُقْرِي، أَخْبَرَنَا جَدِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ يَزِيدِ الْمُقْرِي، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، عَنْ عبيدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه يَقُولُ: "بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ وَالزُّبَيْرُ وَالْمُقَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ فَقَالَ: انْطَلِقُوا إِلَى رَوْضَةِ خَآخٍ فَإِنَّ بِهَا طَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخَرَجْنَا تَتَعَادَى بِنَا حَيْلِنَا حَتَّى بَلَّغْنَا رَوْضَةَ خَآخٍ، فَوَجَدْنَا بِهَا طَعِينَةً وَقُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ..."^(١).

٧- كان يستشهد في بعض الأحيان بالأحاديث النبوية الشريفة، ويذكر السند في بعض الأحيان، ومن الأحاديث المذكور في التفسير: "قد ثبت برواية مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ النَّبِيِّ قَالَ: "لِي خَمْسَةٌ أَسْمَاءَ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَا نَبِيَّ بَعْدِي"^(٢). قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَخْبَرَنَا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَبُو عَلِيٍّ الشَّافِعِيُّ، أَخْبَرَنَا بِنُ فِرَاسٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الدَّيْلَمِيُّ، أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَخْرُومِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ، عَنْ أَبِيهِ. . الْحَدِيثِ"^(٣).

٨- في بعض الأحيان كان يعزو الآيات إلى بعضها البعض^(٤)، إذا كانت تحمل نفس المعنى البلاغي، من مثل ذلك ما جاء في سياق تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

{من قبل إن كنتم مؤمنين} "يعني في زعمكم، وقيل: معناه: ما كنتم مؤمنين على النفي، كقوله تعالى: {قل إن كان للرحمن ولد}"^(٦) أي: ما كان للرحمن ولد"^(٧).

فاستدل على أن (إن) الشرطية تحمل معنى النفي بآية أخرى، ففسر معنى الآية بآية أخرى .

(١) تفسير السمعاني، (ج٤/٢٧٧) .

(٢) صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) ، تحقيق :مجموعة من المحققين، د.ط (بيروت ، دار الجيل ، ١٣٣٤هـ) ، (كتاب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم ، باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم ، ج٧ ، ٨٩) ..

(٣) تفسير السمعاني، (ج٤/٢٨٩) .

(٤) ومن الأمثلة أيضاً ما جاء في تفسير الآيات الآتية : (البقرة/١٩٩)، (النساء /١٥٢)، (الرحمن /٦٨)، (البقرة/٢٦١)، (ق/٣٠)، (آل عمران /١٨٥)، (سبأ/٥) وغيرها .

(٥) البقرة / ٩١ .

(٦) الزخرف/٨١ .

(٧) تفسير السمعاني، (ج١/٧٤) .

٩- تأثر السمعاني بالعديد من المفسرين السابقين واللغويين والنحويين له وكان يستعرض آراءهم، ويرجح أحدها، وفي بعض الأحيان يستعرض آراءهم ليرد عليها برأي مخالف، ومن أمثلة الأعلام الذين أخذ عنهم : الفراء (٢٠٧هـ)، أبو عبيدة بن المثني (٢٠٨هـ)، ابن قتيبة (٢١٣هـ)، وابن السكيت (٢٤٤هـ)، والمبرد (٢٨٦هـ)، والإمام ثعلب (٢٩١هـ)، والزجاج (٣١١هـ) وغيرهم كثير، مما سيتضح خلال الدراسة إن شاء الله .

١٠- من الملاحظ على تفسير السمعاني أنه يميل إلى الجانب اللغوي في كثير من الآيات ؛ فيقف عند معاني الألفاظ، مما انعكس ذلك على الجانب البلاغي، فكان لباب المعاني النصيب الأكبر من الدراسة البلاغية، حتى أنه في بعض الآيات يقدم المعنى اللغوي على المعنى البلاغي، وهذا مثل ما جاء في تفسير قول الله ﷻ: "بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا"^(١).

فيقول السمعاني : "فَإِنْ قِيلَ: مَا مَعْنَى الْبَشَارَةِ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ؟ قِيلَ: أَوَّلُ الْبَشَارَةِ كُلِّ خَبَرٍ تَنَغَيَّرَ بِهِ بَشْرَةُ الْوَجْهِ، سَارًا كَانَ أَمْ مَكْرُوهًا، لَكِنَّهُ فِي الْعَالِبِ إِنَّمَا يَسْتَعْمَلُ فِي الْخَبَرِ السَّارِ، فَإِذَا اسْتَعْمَلَ فِي الْخَبَرِ السَّيِّئِ كَانَ عَلَى الْأَصْلِ، وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ ضَعْفَ هَذَا مَوْضِعِ الْبَشَارَةِ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: تَحَيْتَكَ السَّوْطُ، وَعَقَابَكَ السَّيْفُ"^(٢).

نلاحظ أن السمعاني قدم المعنى اللغوي للكلمة بالبشارة لكل خبر يغير بشرة الوجه، أما البلاغيون فيرون أن اللفظ للخبر السار، وقد ذكر السمعاني هذا الرأي كراي ثانٍ وضعفه بقوله : (وقيل) .

١١- كان يقف أحيانًا عند اختلاف القراءات، ويبين اختلاف المعنى بناءً على اختلاف القراءة، ومن أمثلته ما جاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾^(٣).

فقال السمعاني: "قوله: {لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ} وَيَقْرَأُ بِالْتَّخْفِيفِ، وَمَعْنَاهُ: ثَنَوْا رُءُوسَهُمْ، وَمَنْ قَرَأَ بِالتَّشْدِيدِ فَهُوَ تَأْكِيدٌ"^(٤).

فالقراءة التي بالتشديد زادت اللفظ معنى وهو التأكيد .

(١) النساء/١٣٨ .

(٢) تفسير السمعاني، (ج١/٣٨٩).

(٣) المنافقون / ٥ .

(٤) تفسير السمعاني، (ج٤/٣٠٣).

١٢- تميز السمعاني بأسلوبه التربوي التعليمي في عرض الآيات التي تحتاج لتوضيح وبيان، عن طريق استخدام أسلوب السؤال والجواب، وهو أسلوب راقٍ في التعامل مع المخاطب، لاستحواذ اهتمامه وتنشيط عقله، والأمثلة في التفسير كثيرة نذكر أحدها على سبيل المثال لا الحصر: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١).

"ادخلوا في السلم كافة، أي: ادخلوا جميعاً في الإسلام ... فإن قال قائل: كيف خاطب المؤمنين بالدخول في الإسلام؟

قيل: يحتمل معناه: الثبات على الإسلام، ويحتمل أنه خطاب للذين آمنوا باللسان ولم يؤمنوا بالقلب" (٢).

(١) البقرة / ٢٠٨ .

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١ / ١٥٢) .

الفصل الأول

باب المعاني في كتاب تفسير السمعاني

ويشتمل على تسعة مباحث:

- ◀ الخبر.
- ◀ الإنشاء.
- ◀ التعريف والتكثير.
- ◀ التكرار.
- ◀ التقديم والتأخير.
- ◀ خروج الكلام عن مقتضى الظاهر.
- ◀ القصر.
- ◀ الفصل والوصل.
- ◀ الإيجاز والإطناب والمساواة.

المبحث الأول

الخبر

تعريف الخبر:

لغة: الخبر هو العلم بالشيء^(١).

اصطلاحاً: هو كل قول يحتمل الصدق أو الكذب لذاته^(٢)، فتكون له نسبة خارجية تطابقه أو لا تطابقه.

وأود الإشارة في هذا التعريف لأمرين هما:

- النسبة الخارجية على قول أكثر العلماء أنها تتعلق بالواقع فالخبر الصادق هو ما كان مطابقاً للواقع نفيًا أو إيجاباً والخبر الكاذب هو ما خالف الواقع.
- وبعضهم أرجع النسبة الخارجية إلى اعتقاد المُخْبِر - ومنهم النظام^(٣) - فالخبر الصادق ما وافق اعتقاد المخبر والكاذب ما خالفه حتى لو وافق الواقع.

والسمعاني ممن يوافق الرأي الأول من العلماء، وأستدلُّ على ذلك من خلال سياق حديثه في شرح قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٤).

قال السمعاني: "وقوله تعالى: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا} يعنى: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَلَنْ تَفْعَلُوا أبداً على طريق الإخبار. "وَلَمْ" للماضي، "وَلَنْ" للمستقبل. وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِنَبِيَانِ الْمَعْجَزَةِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ كَانَ مَعْجَزَةً لِلنَّبِيِّ حَيْثُ عَجَزَ الْكُلُّ عَنِ الْإِثْبَانِ بِمِثْلِهِ"^(٥).

فلو كان السمعاني يقرن الخبر باعتقاد المخبر لما استوقف عند هذه الآية، وبين أنها معجزة من الله بتحقيق أمر من الواقع قبل حدوثه. والله اعلم.

(١) مجمل اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن

سلطان، ط ٢ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م) (ج ١ / ٣١٠).

(٢) من بلاغة القرآن: محمد ونعمان علوان، ط ٣ (د.ق، د.ن، ٢٠٠٥م) (٢٠).

(٣) وهو أبو اسحاق إبراهيم بن سيار، شيخ من شيوخ المعتزلة، (ت ٢٣١هـ)، انظر: الأعلام للزركلي (ج ١ / ٤٣).

(٤) البقرة / ٢٤.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٥٩).

- والأمر الآخر أن بعض الأخبار مقطوعٌ بصدقها أو كذبها بغض النظر عن الواقع أو المخبر كقولنا: "الواحد نصف الاثنين" ونحو "السماء فوقنا" فهذه أخبار صادقة لا تحتمل كذباً، وقولنا "الجهل نافع" خبر كاذب لا يحتمل صدقاً، ولذلك زيد في تعريف الخبر قوله "لذاته" (١).

وأجمل السيوطي في عقود الجمان تعريف الخبر بقوله (٢):

مُحْتَمَلٌ لِلصِّدْقِ وَالْكَذِبِ وَغَيْرُهُ الْإِنْشَاءُ وَلَا ثَالِثُ قَرٍّ
تَطَابِقُ الْوَاقِعِ صِدْقُ الْخَبَرِ وَكَذِبُهُ عَدَمُهُ فِي الْأَشْهَرِ
وَقِيلَ بَلْ تَطَابِقُ اعْتِقَادِهِ وَلَوْ خَطَا وَالْكَذِبُ فِي افْتِقَادِهِ

أغراض الخبر:

ذكر العلماء أن للخبر غرضين أصليين هما:

١- فائدة الخبر:

وهو الإعلام بالخبر الذي دلَّ عليه الكلام، ويكون المخبر في هذه الحالة جاهلاً بمضمون الخبر، كقولك لمن لا يعلم قدوم والده من السفر "قدم أبوك من سفره".

وأشار السمعاني لهذا الغرض في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ارْتِنَّا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣)

وبين أن الآية تدل "على شدة بصيرتهم في الكفر، وأنه لم تكن لهم شبهة وريبة في كذب الرسول؛ لأن العاقل لا يسأل العذاب بمثل هذا مُتَرَدِّد في أمره، وهذا دليل على أن العارف ليست بضرورته" (٤).

فقول الله ﷻ أن اذكر يا محمد (صلى الله عليه وسلم) وانقل أخبارهم فتبجحهم على الله وجهلهم بتكذيب الرسول، وكل ذلك يدل على شدة بصيرتهم بالكفر.

(١) للاستزادة راجع: الإيضاح: (٨٦). والبلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَةَ الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، ط ١ (دمشق، دار القلم، ١٩٩٦م) (ج ١/ ١٧١). والمنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني، ط ٥ (مصر، دار الكتاب العربي، ١٩٥٣)، (ج ٢/ ٦).

(٢) عقود الجمان في علم المعاني والبيان: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد ضحا، ط ١ (القاهرة، دار الإمام مسلم، ٢٠١٢م)، (٣٢).

(٣) الأنفال / ٣٢.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٢ / ٢٦١).

٢- لازم الفائدة:

وهو إعلام المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم الذي تضمنه الخبر، والمخاطب عالم بالحكم مسبقاً كقولك لمن يعلم قدوم والده من السفر " قدم أبوك من سفره " (١).

ومثل هذا كثير في القرآن الكريم، وقد أشار السمعاني في تفسيره لبعض منها مثل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٢).

فقول الله ﷻ " وَإِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ " { هَذَا إِخْبَارٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَىٰ عَنْ عِلْمِهِ وَيُقْرَأُ " وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ " عَلَى الْخَبَرِ؛ وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِ الْمَرْأَةِ " (٣).

فالملاحظ في الآية السابقة أن المرأة تعلم ما وضعت والله - سبحانه وتعالى - يعلم كذلك، وكأن الله أراد أن يخبرنا بعلمه ومشينته وقدرته، لا بل إن علمه يفوق ما علمته امرأة عمران من إكرام الله عز وجل لهذه الأنثى والتي ستكون أما لرسول يكرمه الله ويرفع قدره.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤). "فإن قال قائل: ما معنى قوله: {وليعلم الله الذين آمنوا} وهو عالم بهم أبدا؟

قيل: معناه: وليعلم الصابرين على الجهاد في مواطن الجهاد ليعاملهم معاملة من يبتليهم؛ فيعلمهم، والعلم بالجهاد في مواطن الجهاد إنما يقع بعد وقوع الجهاد" (٥).

ولعل السمعاني يشير إلى أن الله يعلم الذين آمنوا ويعلم المجاهدين الذين يبذلون أرواحهم في سبيل الله من المنافقين الذين يتولون يوم الزحف وكذلك المؤمنين هم أدرى بأنفسهم وصدق نواياهم ولكن الله أراد إخبارهم بأنه عليهم بهم ومحص لهم يوم تحين الابتلاءات والمحن فيظهر إيمانهم جلياً واضحاً.

(١) انظر: المنهاج الواضح للبلاغة، (ج ٢ / ٩).

(٢) آل عمران / ٣٦.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣١٢).

(٤) آل عمران / ١٤٠.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣٦١).

ومثله قول الله ﷻ: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (١).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (٢).

ويشير السمعاني لهذه الآية فيقول: "فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قَالَ: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَدْ عِلْمٌ؟ وَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ هُوَ النَّبَاتُ عَلَى الْعِلْمِ لَا ابْتِدَاءَ الْعِلْمِ" (٣).

فالرسول يعلم أن لا إله إلا الله ويشهد بها لكن الله أراد تثبيته على علمه وبيان أن الله يعلم بصدق شهادته وعبوديته المطلقة لله عز وجل (٤).

ويقول السيوطي في ذلك (٥):

مُخَاطَبٌ حُكْمًا لَهُ أَفَادًا	الْقَصْدُ بِالْإِخْبَارِ أَنْ يُفَادَا
فَائِدَةُ الْإِخْبَارِ سَمٌّ وَاجْعَلَا	أَوْ كَوْنُهُ قَدْ عِلْمُهُ وَالْأَوْلَا
عَالِمٌ هَدَيْنَ كَمَنْ قَدْ يَجْهَلُ	لَا زِمَهَا الثَّانِي وَقَدْ يَنْزَلُ

ولم تتحصر بواعث الإخبار في هذين الغرضين الأصليين فقط، بل تعددت أغراضه البلاغية وسأذكر بعض هذه الأغراض كما بينها السمعاني في تفسيره ومنها:

١- الاسترحام والاستعطاف: كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦).

وذكر السمعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ "أخبر أنهم على رجاء الرحمة، وإنما لم يقطعوا لأنفسهم بالرحمة؛ لأن الإنسان يعرف من نفسه أنه لا يمكنه تأدية

(١) آل عمران / ١٦٧.

(٢) محمد / ١٩.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٤ / ١٧٧).

(٤) الوجه الثاني هو أن "العلم" بمعنى "الذكر" وكان الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه بذكر الشهادة، وهناك رأي ثالث ذكره السمعاني بأن الخطاب مع الرسول والمراد به الأمة. للاستزادة راجع تفسير السمعاني (ج ٤ / ١٧٧).

(٥) عقود الجمان، للسيوطي، (٣٣).

(٦) البقرة / ٢١٨.

حق الله تعالى على وجهه فلا يأمن تقصيرا؛ فلا يمكنه القطع لنفسه بالرحمة، ولأنه ربما يرتكب في المستقبل ما يستوجب به العقاب^(١).

ففي لفظ " يرجون " ما يدل على الاستعطاف والاسترحام والتذلل لله سبحانه و تعالى في طلب الرحمة والمغفرة.

٢- الوعد: وذلك في قوله تعالى عن اليهود الذين يدعون أن الآخرة لهم وأنهم من أصحاب النعيم، فطلب منهم الله أن يتمنوا الموت، ثم جاء بالخبر اليقين فقال ﷺ: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، أخبر أنهم لن يتمنوا ذلك، كأن الله صرفهم عن تمني الموت؛ تصديقا للرسول، وتحقيقا لمعجزته، إذ كان يمكن أن يتمنى بعضهم ذلك تكذيبا للرسول، وفي الخبر قال: " لو تمنوا ذلك لأخذهم الموت في الحال "^(٣).

وذكر أبو السعود^(٤) أن هذه الآية "لبيان ما يكون منهم من الإحجام عما دعوا إليه الدال على كذبهم في دعواهم "^(٥).

فهي على رأي السمعاني وعد للرسول ﷺ وتصديق له، وهي على رأي أبي السعود وعيد للمكذبين الذين يدعون أن لهم ثواب الدنيا والآخرة.

٣- الوعيد: وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٦).

ذكر الله عز وجل هذه الآية " رداً لقولهم: إن الله فقير ونحن أغنياء " ^(٧).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٢١٧).

(٢) البقرة/ ٩٥.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١ / ١١١).

(٤) وهو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المفتي والمفسر، والمعروف بأبي السعود (ت ٩٨٢هـ)، ولد في إحدى ضواحي القسطنطينية في بيت علم وفضل، تلقى العلوم على يد نخبة من علماء عصره، ومنهم والده، حتى اشتهر أمره، وذاع صيته لعلمه وفضله وله تفسير أبي السعود. انظر الأعلام للزركلي (ج ٧ / ٥٩).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بتفسير أبي السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ابو السعود، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، د.ط(بيروت، دار الفكر، ٢٠٠١م)، (ج ١/٢٤٥).

(٦) آل عمران / ١٨٩.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣٨٨).

فإنه سبحانه وتعالى يتوعد من يتجرأ على عظمته وقدرته بقولهم: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (١).

فيرد عليهم ويذكرهم أنه يملك السماوات والأرض وهو على كل شيء قدير.

ومثله أيضاً قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢).

{وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} "أي: سميع بما قاله الْمُتَأَفِّفُونَ، عليم بما أضمروا؛ فيكون على وجه التهديد، وقيل: معناه: {وَاللَّهُ سَمِيعٌ} بما قال الْمُؤْمِنُونَ، عَلِيمٌ بما أضمروا؛ فيكون على وجه المَدْح" (٣).

٤- المدح والثناء: وذلك في قوله تعالى في وصف سيدنا يحيى عليه السلام: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٤).

قوله: {وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ}، "أما "السَّيِّدُ" قَالَ سعيد بن جُبَيْر (٥): السَّيِّدُ التَّقِيُّ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْكَرِيمُ، وَقِيلَ: هُوَ الْعَلِيمُ الَّذِي لَا يَغْضِبُهُ شَيْءٌ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَفُوقُ قَوْمَهُ فِي جَمِيعِ خِصَالِ الْخَيْرِ. وَالْحَصُورُ: قَالَ سعيد بن جُبَيْر وَمُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ وَعَطَاءٌ (٦) وَجَمَاعَةٌ: هُوَ الَّذِي لَا يَأْتِي النِّسَاءُ" (٧).

(١) آل عمران / ١٨١.

(٢) آل عمران / ١٢١.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٢٦٦).

(٤) آل عمران / ٣٩.

(٥) هو أبو عبد الله سعيد بن جبيرة الأسدي بالولاء الكوفي (ت ٩٥ هـ)، تابعي، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. للاستزادة انظر الأعلام للزركلي، (ج ٣ / ٩٣).

(٦) هو عطاء بن أبي رباح بن أسلم بن صفوان (ت ١١٤ هـ)، تابعي، من أجلاء الفقهاء، كان عبداً أسود، ولد في جند (باليمن) ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم، وتوفي فيها. للاستزادة انظر الأعلام للزركلي، (ج ٤ / ٢٣٥).

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٢٣٤).

ويستنتج من كلام السمعاني أن هذا الكلام خرج مخرج الثناء، فهو يدل على غرض المدح. ومثله أيضاً قول الله عز وجل: ﴿ رَبَّنَا وَعَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾^(١).

{إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ} وَهُوَ عَلَىٰ سَبِيلِ الْمَدْحِ لَهُ؛ لِأَنَّا عَلَى الْقَطْعِ نَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ^(٢).

٥- الوعظ والإرشاد: وذلك بتحريك النفس عن محاور مطامعها ومخاوفها، كالتذكير بالموت وانتهاء الأجل واستحضار يوم الحساب والجنة والنار ومثل ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾^(٣).

"فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا يَخْفَىٰ أَنْ كُلَّ نَفْسٍ تَمُوتُ، فَأَيْشُ الْفَائِدَةِ فِي قَوْلِهِ: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}؟ قيل: أَرَادَ بِهِ: التزهيد بالدنيا، يَعْنِي: أَنَّ النَّفْسَ إِلَى الْفَنَاءِ؛ فَتَزْهَدُوا بِالدُّنْيَا"^(٤).

وكذلك في وصفه لما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون من أمر الطاعة والاستجابة لله والرسول إذا دعوا فقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٥).

يعلق السمعاني على هذه الآية بقوله: " هَذَا لَيْسَ عَلَى طَرِيقِ الْخَبَرِ، وَلَكِنَّهُ تَعْلِيمٌ أَدَبٌ مِنَ الشَّرْعِ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَذًا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا"^(٦).

٦- إظهار التحسر: فقد يرد الكلام في سياق التحسر والتأسف على ما فات ومثله في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾^(٧).

(١) آل عمران / ١٩٤.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٢٩٩).

(٣) آل عمران / ١٨٥.

(٤) أي كلمة منحوتة من (أي شيء)، انظر لسان العرب (جرم).

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٢٩٥).

(٦) النور / ٥١.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ٣ / ١٠٣).

(٨) آل عمران / ١٢٧.

فقوله تعالى {فإنقلبوا خائبين} "أي: لا يدركون ما أملوا، يُقال: رَجَعَ فلان من الغيبة بالخيبة، إذا لم يدرك أمله"^(١).

فعندما لم يتحقق ما أمله حلت الحسرة بدل الأمل .

٧- إظهار القدرة: فالله سبحانه وتعالى متفضل على خلقه بالكثير وقدرته فاقت علم البشر وكثيراً ما نجد في القرآن الكريم ما يبين قدرته ويظهر منته ومثل ذلك قوله تعالى في بداية سورة النساء: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

فالله خلق من نفس واحدة - وهو آدم عليه السلام - ملايين البشر من رجال ونساء؛ "فذكر هذا كله لبيان القدرة وإظهار المنة"^(٣).

والمأمل في روعة القرآن الكريم ليستوقف عند هذه الآية التي ابتدأت بها سورة النساء ويجد تناغماً راقياً يربط الاستفتاح بالسورة مع مقاصد هذه السورة؛ فمن مقاصدها بناء الأسرة المسلمة المتزنة بتطهير المجتمع من الفاحشة وفتح باب التوبة، والحفاظ على حقوق المستضعفين في المجتمع من النساء والأيتام برد الحقوق لأصحابها والعدل في الميراث، وبناء مجتمع متماسك تسوده الألفة والمودة بالتحذير من قطع الأرحام وغيره.

كل ذلك له علاقة بقدرته سبحانه وتعالى على الخلق والتكاثر الذي نشأ منه هذا النسيج الاجتماعي المتشابك إنه على كل شيء رقيب.

ومما يدل على قدرته سبحانه وتعالى قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ

بِشَيْءٍ

مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٢٦٨).

(٢) النساء / ١.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣٠٢).

(٤) المائدة / ٩٤.

فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُبْلِوَنَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصِّدْقِ﴾ "أي: ليختبرنكم الله بشيء من الصِّدْقِ، وَفَائِدَةُ الْبُلُوِّ وَالِاخْتِبَارِ إِظْهَارُ الْمُطِيعِ مِنَ الْعَاصِي، وَالْأَفْلَاحُ حَاجَةٌ لَهُ إِلَى الْبُلُوِّ" (١).
فإنه سبحانه وتعالى يبين قدرته في الكشف عن حقائق النفوس ونواياها، وهو قادر على إظهار العاصي من المطيع.

٨- التسليم والانصياع: وذلك في قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢).

"فقوله: {إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ} يَعْنِي مِنْ كَفَرٍ مِنْهُمْ، {وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ} يَعْنِي مِنْ آمَنٍ مِنْهُمْ. وَقَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي مِنْ أَرْبَابِ النَّحْوِ: لَيْسَ هَذَا عَلَى وَجْهِ طَلْبِ الْمَغْفِرَةِ، وَإِنَّمَا هَذَا عَلَى تَسْلِيمِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَتَفْوِيضِهِ إِلَى مُرَادِهِ؛ أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: "فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" وَلَوْ كَانَ عَلَى وَجْهِ طَلْبِ الْمَغْفِرَةِ لَقَالَ: "فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (٣).

وانظر إلى روعة اللفظ القرآني ودقته فالحكمة منوطة بمن يملك زمام الحكم ويفصل بين العباد، وأما الرحمة فهي في مقام الاسترحام والاستعطاف وهذه الكلمة هي التي حددت الغرض من الجملة الخبرية.

٩- التسليية: فقد أنزل الله الفرقان على نبيه الكريم وتحمل في سبيل نشر هذا الدين ألواناً من العذاب وصنوفاً من المضايقات ولكن الله غالبٌ على أمره وناصرٌ لدينه ونبيه، وقد نزلت آيات كريمة تسري عن النبي وتعزيه في محنته ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٦﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٧﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (٤).

"أنزل الله تعالى هذه الآية في تعزية النبي وتسليته، فكأنه قال: إن كذبوك قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين أن

(١) التفسير السمعاني، (ج ١ / ٤٦٠).

(٢) المائة / ١١٨.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٤٧٦).

(٤) الحج / ٤٢، ٤٣، ٤٤.

هُؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ كَذَبُوا أَيْضًا" (١).

هذا في تكذيب الكفار له، وأما في غدر المنافقين وبلبلتهم صفوف المسلمين فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٢).

"وَقَوْلُهُ: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} هُوَ تَطْيِيبٌ لِقَلْبِ النَّبِيِّ وَتَسْلِيَةٌ لَهُ، وَمَعْنَاهُ: أَنْ عِلْمِي أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَشَهَادَتِي لَكَ بِذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ شَهَادَتِهِمْ" (٣).

تجدر الإشارة أن الله سبحانه وتعالى أنكر شهادتهم ؛ لأنهم كاذبون في قولهم ، ولم ينكر بشهادة أن محمداً رسول الله .

١٠- التوبيخ والتقريع: ورد في القرآن الكريم في مخاطبة الكافرين والجاحدين بنعم الله يوم يأتي الحساب فلا ينفع الندم ولا فرصة للرجوع والتوبة فيقول الله سبحانه وتعالى في مخاطبة المجرمين يوم القيامة: ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٤).

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ} يُقَالُ لَهُمْ هَذَا حِينَ يَرَوْنَ جَهَنَّمَ، وَهَذَا عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ، يَعْنِي: مَا أَنْكَرْتُمُوهُ وَجَدْتُمُوهُ فَأَبْصَرُوهُ عَيْنَانَا" (٥).

دائرة الانتقال بين الخبر والإنشاء:

أورد السمعاني في تفسيره العديد من المواضع التي يخرج فيها الخبر عن دائرته لينتقل إلى دائرة الإنشاء سواء الإنشاء الطلبي أو غير الطلبي فأثرت أن أقف عند هذه المسألة وأخصص لها وقفة توضح هذه المسائل وتقف عند سرها البلاغي وأول هذه الحالات:

١- خروج الخبر إلى معنى الأمر:

- وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا

(١) تفسير السمعاني، (ج ٣ / ٢٤).

(٢) المنافقون / ١.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٤ / ٣٠١).

(٤) الرحمن / ٤٣.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٤ / ٢٠٨).

فَصَالًا عَنِ تَرَاوِضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِعُوا أَوْلَادَكُمْ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (والوالدات يرضعن أولادهن) "هَذَا خَبْرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ" (٢).

بهذه العبارة افتتح السمعاني تفسيره لهذه الآية القرآنية إلا أن بعض المفسرين ذكر رأياً مختلفاً في ذلك فذكر الشوكاني (٣) في تفسيره: " وَقَوْلُهُ: يُرْضِعْنَ قِيلَ: هُوَ خَبْرٌ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَحَقُّقِ مَضْمُونِهِ. وَقِيلَ: هُوَ خَبْرٌ عَلَى بَابِهِ لَيْسَ هُوَ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ " (٤).

وبين ابن قيم الجوزي (٥) سبب الاختلاف في هذه الآية موضحاً آراء العلماء في ذلك، فبعضهم يرى أن الخبر يمكن أن يحمل معنى الأمر إذا كانت الأسماء فيها نكرة غير معرفة كقولهم: أنجز حرّاً ما وعد، أما إذا كان الاسم معرفة ومخصصة تمخض فيها معنى الخبر وزال معنى الأمر كقولهم: أنجز عمر ما وعد، والآية السابقة جاءت فيها لفظ (الوالدات) معرفة فاختلّف فيها (٦).

— وكذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٧).

(١) البقرة / ٢٣٣.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١ / ١٧٣).

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن وصاحب كتاب نيل الأوطار وغيرها من المؤلفات. للاستزادة انظر (الأعلام للزركلي) (ج ٦ / ٢٩٨).

(٤) فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الصنعاني الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، ط ١ (دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ)، (ج ١ / ٢٨١).

(٥) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعِيُّ الدَّمَشْقِيُّ، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه. انظر الأعلام للزركلي (ج ٦ / ٥٦).

(٦) للاستزادة راجع: بدائع الفوائد: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف (بابين قيم الجوزية) (ت ٧٥١هـ)، ط ١ (القاهرة، دار ابن الهيثم، د.ت)، (ج ١ / ١٠٧).

(٧) البقرة / ٢٧٢.

قوله: {وَمَا تَتَّقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ} هَذَا خَبْرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ^(١)، أَي: أَنْفَقُوا لَوْجِهَةِ اللَّهِ^(٢).

- وقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٣).

"إِنَّمَا قَالَ: {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} دَعْوَةٌ لَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالِاسْتِغْفَارِ، كَالرَّجُلِ يَقُولُ: لَا أَعَابِكَ وَأَنْتَ تَطِيعَنِي، أَي: أَطْعَنِي حَتَّى لَا أَعَابِكَ"^(٤).

- ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٥).

قوله تَعَالَى: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} هَذَا خَبْرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ، وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يَفِرَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ عَن عَشْرَةٍ، وَلَا تَفِرَ الْمِائَةُ مِنْهُمْ عَن أَلْفٍ^(٦).

- وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٧).

قوله تَعَالَى: {فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} هَذَا خَبْرٌ بِمَعْنَى أَمْرٍ، وَمَعْنَاهُ: لَا تَخْلُوهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا^(٨).

- وكذلك قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزَّؤُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ﴾^(٩).

(١) وبعضهم ذكر أنها بمعنى النهي وتقديره: لا تتفقوا إلا ابتغاء وجه الله. للاستزادة راجع فتح القدير للشوكاني، والبرهان في علوم القرآن للزركشي.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٢٠٢).

(٣) الأنفال / ٣٣.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٢ / ٩٢). هذا التخريج للآية هو أحد الآراء التي ذكرها السمعاني وهناك آراء أخرى. للاستزادة راجع التفسير.

(٥) الأنفال / ٦٥.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٢ / ١٠٨).

(٧) التوبة / ٢٨.

(٨) تفسير السمعاني، (ج ٢ / ١٢٨).

(٩) التوبة / ٦٤.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَحْذِرُ الْمُنَافِقُونَ} فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ خَبِرَ بِمَعْنَى الْأَمْرِ، وَمَعْنَاهُ: لِيَحْذِرَ الْمُنَافِقُونَ.

وَالْآخَرُ: أَنَّهُ بِمَعْنَى الْإِخْبَارِ عَنْهُمْ؛ إِذْ كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ وَيَخَافُونَ الْفُضِيحَةَ بِنَزُولِ الْقُرْآنِ فِي شَأْنِهِمْ^(١).

– ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾^(٢).

"وقوله: {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ} فِيهِ أَقْوَالٌ^(٣): أَحَدُهَا: أَنَّهُ بِمَعْنَى الْأَمْرِ، وَمَعْنَاهُ: قُولُوا آمَنَّا طَاعَةً وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ، وَالْقَوْلُ الْمَعْرُوفُ هُوَ الْإِجَابَةُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ^(٤).

– وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُتْ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٥).

"المعنى في الكل: أنه أمرهم بأن تأسوا بإبراهيم في التبرؤ من المشركين وترك الموالاة معهم^(٦).
فالله سبحانه وتعالى ذكر نموذجاً قدوة للصحابة رضوان الله عليهم في مسألة الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين وإن كانوا أقربائهم والغرض من ذلك هو أن يتأسوا بإبراهيم عليه السلام.

– ومن أمثلة الجمل الخبرية التي تحمل معنى الأمر قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأُتْمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُنَّ آخَرَى﴾^(٧).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٢ / ١٤٧).

(٢) محمد / ٢١.

(٣) القولان الثاني والثالث على تقدير أنها جملة خبرية بمعنى طاعة وقول معروف خير وأحسن لهم، أو أنها جملة محكية على لسانهم قبل نزول آية القتال. للاستزادة انظر تفسير السمعاني (ج ٤ / ٧٨).

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٤ / ٧٧).

(٥) الممتحنة / ٤.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٤ / ٢٨٠).

(٧) الطلاق / ٦.

"قَوْلُهُ: {فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى} خَبِرَ بِمَعْنَى الْأَمْرِ أَي: لَتَرْضِعْ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ} (١)" (٢).

- وَمِنْهُ أَيْضاً قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَدْيِهِ تَذَكِيرٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (٣).

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا} أَي: مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمَخَاطَبُونَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا فَيَسْهَلُ ذَلِكَ عَلَيْهِ لَوْجُودِ الدَّلَائِلِ وَرَفْعِ الْأَعْدَارِ، فَلْيَفْعَلْ. وَقِيلَ: هُوَ بِمَعْنَى الْأَمْرِ" (٤).

وَلَعَلَّ الْمَلَاظِحَ فِي ذَلِكَ أَنَّ السَّمْعَانِيَّ يَرْجِحُ التَّفْسِيرَ الْأَوَّلَ وَيُضْعَفُ التَّخْرِيجَ الثَّانِيَّ وَالَّذِي يَرَى أَنَّهُ خَبِرَ بِمَعْنَى الْأَمْرِ.

- وَمِنْهُ أَيْضاً قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٥).

"قَرَأَ أَبُو بِنِ كَعْبٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ (٦) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : " لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ " عَلَى الْأَمْرِ، وَالْقِرَاءَةُ الْمَعْهُودَةُ " لَا تَعْبُدُونَ " (٧).

يَشِيرُ السَّمْعَانِيُّ إِلَىٰ أَنْ تَخْرِيجَ قِرَاءَةَ " لَا تَعْبُدُونَ " : جُمْلَةً خَبَرِيَّةً مَنْفِيَّةً عَلَى الْأَمْرِ، أَيُّ أَنَّهَا تَحْمَلُ طَلْبًا (٨)، وَقَدْ ذَكَرَ الشُّوْكَانِيُّ هَذَا الرَّأْيَ أَيْضاً فَقَالَ: " وَقِيلَ: هُوَ إِخْبَارٌ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ أَبِي وَابْنِ مَسْعُودٍ: لَا تَعْبُدُوا عَلَى النَّهْيِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضاً مَا عُطِفَ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ: وَقُولُوا وَأَقِيمُوا وَآتُوا" (٩).

(١) البقرة / ٢٣٣.

(٢) تفسير السمعي، (ج ٤/ ٣٢٣).

(٣) الإنسان / ٢٩.

(٤) تفسير السمعي، (ج ٤/ ٤٣٤).

(٥) البقرة / ٨٣.

(٦) هو ترجمان القرآن عبد الله بن مسعود، وكان يقول: ما أنزلت سورة إلا وأنا أعلم فيما نزلت. ولو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل أو المطايا لأتيتُهُ. للاستزادة انظر الطبقات الكبرى، (ج ٢/ ص ٢٦٠).

(٧) تفسير السمعي، (ج ١/ ٦٩).

(٨) ذكر السمعي والشوكاني وابن عاشور أنها بمعنى الأمر والزمخشري ذكر أنها بمعنى النهي، ولعل المقصود بذلك أنها تحمل معنى الطلب سواء بالفعل أو عدمه.

(٩) فتح القدير للشوكاني، (ج ١ / ١٢٦).

ودعم ابن عاشور^(١) هذا الرأي بقوله: " وَقَوْلُهُ: لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ خَبْرٌ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ وَمَجِيءُ الْخَبْرِ لِلْأَمْرِ أَتْلَعُ مِنْ صِيغَةِ الْأَمْرِ لِأَنَّ الْخَبَرَ مُسْتَعْمَلٌ فِي غَيْرِ مَعْنَاهُ لِعِلَاقَةِ مُشَابَهَةِ الْأَمْرِ الْمُؤْتَوَقِّ بِإِمْتِنَالِهِ بِالشَّيْءِ الْحَاصِلِ حَتَّى إِنَّهُ يُخْبِرُ عَنْهُ " (٢).

ويشير كلام ابن عاشور - رحمه الله - إلى السر البلاغي من مجيء الأمر بصيغة الخبر والذي تنطرق إليه عدد من العلماء ومنه:

١- **المبالغة**: قَالَ الرَّمَخْسَرِيُّ^(٣) وَرُودُ الْخَبْرِ وَالْمُرَادُ الْأَمْرُ أَوْ النَّهْيُ أَتْلَعُ مِنْ صَرِيحِ الْأَمْرِ أَوْ النَّهْيِ كَأَنَّهُ سُورِعَ فِيهِ إِلَى الْإِمْتِنَالِ وَأُخْبِرَ عَنْهُ^(٤).

وأيده في هذا السيوطي حيث نقل عن الزمخشري قوله، حيث قال: " إِطْلَاقُ الْخَبْرِ عَلَى الطَّلَبِ أَمْرًا أَوْ نَهْيًا أَوْ دُعَاءً مُبَالِغَةً فِي الْحَثِّ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّهُ وَقَعَ وَأُخْبِرَ عَنْهُ " (٥).

٢- **الإلزام**: فمجيء الأمر بصيغة الخبر الحاصل تحقيقاً لثبوته أنه مما ينبغي أن يكون واقعاً ولا بد فلا يطلب من المخاطب إيجاده بل يخبر عنه ليحققه خبراً صرفاً^(٦).

٣- **الثبات والاستقرار**: يشير لذلك ابن القيم فيقول: " وفيه طريقة أخرى وهي أفقه معنى من هذه (٧) وهو أن هذا إخبار محض عن وجوب ذلك واستقرار حسنه في العقل والشريعة والفطرة وكأنهم يريدون بقولهم "أنجز حر ما وعد" أي ثبت ذلك في المروءة واستقر في الفطرة " (٨).

٢- خروج الخبر إلى معنى النهي:

كما يخرج الخبر إلى الأمر، يخرج أيضاً إلى النهي.

(١) محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور: نقيب أشرف تونس وكبير علمائها، في عهد الباي محمد الصادق (باشا)، ولي قضاءها سنة ١٢٦٧ هـ ثم الفتيا (سنة ١٢٧٧) فنقابة الأشراف، وتوفي بتونس عام ١٢٨٤ هـ. انظر الأعلام للزركلي (ج ٦ / ص ١٧٣).

(٢) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ)، د. ط (تونس، دار سحنون، ١٩٩٧ م) (ج ١ / ٥٨٢).

(٣) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله. كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كبير الفضل متقناً في علوم شتى، (ت ٥٣٨ هـ). انظر الأعلام للزركلي (ج ٧ / ص ١٧٨).

(٤) الكشاف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨ هـ)، ٣ (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ)، (ج ١ / ١٥٩).

(٥) الإتيقان في علوم القرآن، (ج ٣ / ١٣٢).

(٦) انظر بدائع الفوائد، (ج ١ / ١٠٧).

(٧) يقصد بكلمة (هذه) الغرض السابق وهو غرض الإلزام.

(٨) بدائع الفوائد، (ج ١ / ١٠٧).

– ومن أمثلته قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ثُلُقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(١).

"وقيل معناه"^(٢): لا تسروا إليهم بالمودة إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي، فهو معنى قوله: {تسرون إليهم بالمودة} خبر بمعنى النهي"^(٣).

– ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤).

"الآية معناها: هو النهي عن التخلف"^(٥).

هذه الآية بصيغة الخبر المنفي والغرض منها هو نهى المؤمنين عن التخلف عن رسول الله ﷺ، لا بل عليهم أن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتنباط والله لا يضيع أجر المحسنين.

– ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِي اللَّهِ شِكٌّ لَّا يَشْكُونَ إِلَهًا إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَن يُعْزِمَهُمُ الشُّكَّ هُمْ كَافِرُونَ﴾^(٦).

"{لا ريب فيه} أي: لا شك فيه،" فإن قال قائل: كيف أخبر " لا ريب فيه " وقد ارتاب فيه كثير من الناس، وخبر الله تعالى لا يكون بخلاف مخبره؟ يقال: معناه أنه الحق والصدق لا شك فيه. وقيل: هو خبر بمعنى النهي، أي: لا ترتابوا فيه"^(٧).

(١) الممتحنة / ١ .

(٢) ذكر السمعاني رأياً آخر في تفسير الآية وهي أن فيها تقديم وتأخير والتقدير إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء. للاستزادة راجع تفسير السمعاني (ج ٤ / ٢٧٩).

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٤ / ٢٧٩).

(٤) التوبة / ١٢٠ .

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٢ / ١٨٠).

(٦) البقرة / ٢ .

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٢٤).

ولعل الملاحظ من تفسير السمعاني أن الجملة خبرية، وهي صادقة في ذاتها لأنها من الحق تبارك وتعالى، ولا بد أن تكون مطابقة للواقع، هذا على الرأي الأول، ويورد السمعاني رأياً آخر في تخريج المعنى: أن الجملة خبرية وتحمل معنى النهي، أي كذا يجب أن يكون القرآن الكريم لا ريب ولا شك فيه.

٣- خروج الخبر إلى معنى الدعاء :

— مثل قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبِئْتٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُقْتَلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾^(١).

{حصرت صدورهم} "ضاقن"، فضاقت صدورهم من القتال معكم، ومن معاونتكم على القتال مع قومهم؛ لأجل الرعب الذي ألقى الله - تعالى - في قلوبهم، قال المبرد^(٢): حصرت صدورهم على سبيل الدعاء، كقوله: {قاتلهم الله} كأن الله - تعالى - يقول: {حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم} على سبيل الدعاء^(٣).

— ومثله كذلك قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٤).

" وقوله: {والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم} أي: بعدا لهم، والتعس في اللغة هو العثور والسقوط. وَقَالَ ثَعْلَبٌ^(٥): التعس: الهلاك، قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ^(٦): التعس أن يخر على وجهه، والنكس أن يخر على رأسه.

(١) النساء / ٩٠.

(٢) المبرد هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو العباس المبرد إمام نحاة البصرة لعصره، ولد بالبصرة سنة (٢١٠ هـ) وأكب منذ نشأته على التزود من اللغة على أعلام عصره البصريين، واهتم بالنحو والصرف، لزم أبا عمر الجرمي يقرأ عليه كتاب سيبويه، ثم لزم أبا عثمان المازني له مصنفات عديدة منها الكامل والمقتضب وعاني القرآن وغيرها، توفي (٢٨٥ هـ). انظر طبقات النحويين (١٠١)، نزهة الألباء (١٦٤)، معجم الأدباء (٢٦٧٩/٦).

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣٦٠).

(٤) محمد / ٨.

(٥) أبو العباس (ثعلب) هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار، أبو العباس النحويّ الشيبانيّ، إمام الكوفيين في النحو واللغة، (ت ٢٩١ هـ). للاستزادة انظر انباه الرواة (ج ١ / ١٧٣).

(٦) يعقوب بن إسحاق السكّيت أبو يوسف النحويّ اللغويّ، صاحب كتاب «إصلاح المنطق». كان من أهل الفضل والدين، موثقاً بروايته، وكان يؤدّب ولد جعفر المتوكل بالله، ورى عن أبي عمرو الشيبانيّ، وحدث عنه أبو عكرمة الضبّي وغيرهم كثير، (ت ٢٤٤ هـ). للاستزادة انظر شذرات الذهب (ج ١ / ١٠٦).

وَيُقَالُ: فَتَعَسَا لَهُمْ أَي: شَرَا لَهُمْ وَتَبَا لَهُمْ، وَالَّذِي جَاءَ فِي الْخَبَرِ "تَعَسَ وَانْتَكَسَ"، قَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى تَعَسَ. وَأَمَّا مَعْنَى قَوْلِهِ انْتَكَسَ أَي: انْقَلَبَ أَمْرُهُ وَقَسَدَ، وَهَذَا عَلَى مَعْنَى الدُّعَاءِ^(١).

وقد نوه العلماء في وقت متقدم للخبر الذي يحمل بين معنى الدعاء، واجتهدوا في معرفة السر البلاغي في ذلك وذكروا أن مجيء الدعاء بصيغة الخبر إنما القصد منه هو إعلام السامع وإخبار المخاطب أنه داعٍ له، فجاءوا بلفظ الخبر إشعاراً بما تضمنه من معنى الإخبار نحو: أعزك الله وأكرمك ولا رحم فلاناً، ومثل قوله تعالى: (حصرت صدورهم) - كما مر معنا -.

كما أن مجيء الفعل بصيغة الماضي هو في معرض التفاضل بالإجابة للدعاء.

كما أن الدعاء بصيغة الخبر لا يكون إلا عند الدعاء لغيرك، فلا يكون هذا في حال مناجاتك الله تعالى ودعائك لنفسك فلا تقول: رحمتي ربي وغفرت لي^(٢).

٤- خروج الخبر إلى معنى الاستفهام:

- ومثل ذلك قوله تعالى على لسان الملائكة بعد علمهم بخلق آدم واستخلافه في الأرض فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

وأما قوله: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ} "لَيْسَ عَلَى سَبِيلِ التَّفَاخُرِ، بَلْ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ إِذَا أَفْسَدُوا وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ فَنَحْنُ نَبْقَى عَلَى هَيْئَةِ النَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ أَمْ لَا؟"^(٤).

ولقد استحسن هذا التخريج المفسر ابن عطية^(٥) في كتابه المحرر الوجيز وذلك لوجود الاستفهام المسبق في قوله تعالى: أتجعلُ، وهناك بعض المفسرين - كالسمين الحلبي^(٦) في

(١) تفسير السمعاني، (ج ٤ / ٧٠).

(٢) انظر: بدائع الفوائد، (ج ١ / ص ١٠٣).

(٣) البقرة / ٣٠.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٤١).

(٥) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، ابو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين. وتوفي بلورقة (٥٤٢ هـ). انظر الأعلام للزركلي (ج ٣ / ص ٢٨٢).

(٦) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين (ت ٧٥٦ هـ): مفسر، عالم بالعربية والقراءات، شافعي، من أهل حلب، استقر واشتهر في القاهرة . انظر الأعلام للزركلي (ج ١/ ٢٧٤).

الدر المصون - من استبعد هذا التخريج وبين أنها في سياق التمدح أو في سياق التعجب والاستعظام^(١).

- ومن أمثله أيضاً قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَأَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾^(٢).

{ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا } "يَعْنِي: أَنَّهُمْ عَجْزَةٌ، فَإِذَا لَمْ يَمْلِكُوا لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، فَكَيْفَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ؟" ^(٣).

٥- خروج الخبر إلى معنى التمني :

لا تتحصر دوائر التنقل بين الخبر والإنشاء في الأمر والنهي والدعاء والاستفهام عند السمعاني، بل يشير في مواضع أخرى لوجود الخبر بمعنى التمني.

- وذلك في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾^(٤).

"قَوْلُهُ - تَعَالَى -: { يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ } فَإِنْ قِيلَ: إِذَا لَمْ يَكُونُوا خَارِجِينَ مِنْهَا، كَيْفَ يُرِيدُونَ الْخُرُوجَ؟ قِيلَ: يُرِيدُونَ ذَلِكَ جَهْلًا؛ ظَنًّا أَنَّهُمْ يَخْرُجُونَ.

وقيل: يتمنون ذلك، فَهِيَ إِرَادَةٌ بِمَعْنَى التَّمَنِّي، وَلَيْسَ بِحَقِيقَةِ الْإِرَادَةِ"^(٥).

(١) للاستزادة: انظر المحرر الوجيز: ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، (ت ٥٤٢هـ) ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، (ج ١ / ١١٨)، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، د.ط (دمشق، دار القلم، ١٩٨٦م) (ج ١ / ٢٥٧).

(٢) الرعد / ١٦.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٢ / ٣٥٣).

(٤) المائدة / ٣٧.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٤٣٣).

ومعلوم أن الخبر له نسبة خارجية تحتمل الصدق أو الكذب، أما التمني فهو الرغبة في الحصول على أمر محبوب دون التمكن من الوصول إليه وهو حال مطابق لأهل جهنم - والعياذ بالله - يودون أن يخرجوا وما هم بخارجين منها؛ لذلك جاءت الآية الكريمة في سياق التمني بعيداً عن الإرادة الحقيقية.

٦- خروج الخبر إلى معنى الذم :

- كذلك جاء الذم - وهو من الإنشاء غير الطلبي - في صيغة الخبر وأرود السمعاني ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾^(١).

"وقوله: {وَوَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} أي: بسئ المنقلب"^(٢).

فمعنى قوله تعالى "ساءت مصيراً" هو بمعنى الذم - حسب رأي السمعاني - وتحمل معنى "بسئ"، وقد تكون بمعنى الدعاء - كما ذكرت سابقاً -، فقد يرد الدعاء بصيغة الفعل الماضي وهو يدعو على المنافقين والمشركين بسوء المصير.

الانتقال من الإنشاء إلى الخبر :

أود أن أتوه إلى أن دوائر التنقل بين الإنشاء والخبر متبادلة وتسير في اتجاهين فكما أن الخبر يخرج لدائرة الإنشاء كذلك قد يخرج الإنشاء إلى دائرة الخبر.

- فقد أشار السمعاني في تفسيره لذلك في مواضع عدة منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٣).

(أنذرتهم أم لم تنذرهم) "أي: خوفتهم أم لم تخوفهم، والإنذار: تخويف مع الإغلام.

وقيل: هو أشد التخويف، يعني: سواء خوفتهم أم لم تخوفهم لا يؤمنون، وردت هذه الآية في قوم بأعيانهم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون"^(٤).

(١) الفتح / ٦.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٤ / ٩٠).

(٣) البقرة / ٦.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٢٧).

فالملاحظ في الاستفهام السابق أنه لا يحمل معنى الطلب ولا ينتظر إجابة، بل هو يحمل معنى خبرياً بعدم إيمانهم فقد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم وكتب عليهم العذاب لا محالة.

- كما أن السمعاني أشار في أكثر من موضع أن " عسى " وهي من تحمل معنى الرجاء - من الإنشاء غير الطلبي - واجبة في القرآن الكريم ولا تحمل معنى الرجاء وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَتَعَبِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِكَ بِأَسِّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴾ (١).

{لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِكَ بِأَسِّ الَّذِينَ كَفَرُوا} " يَعْنِي: عَذَابَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَعَسَى مِنْ اللَّهِ وَاجِبٌ، وَالْمُرَادُ بِهِ: تَطْمِينِ الْمُؤْمِنِينَ" (٢).

فجملة عسى حملت معنى الإلزام وذكرت في سياق تشجيع المؤمنين، وحثهم على القتال في سبيل الله، والله غالب على أمره.

- ومثله كذلك قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿ وَعَاخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَعَاخِرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣).

"وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ (٤) وَغَيْرُهُ: عَسَى مِنْ اللَّهِ وَاجِبٌ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَحِلَّ أَوْلِيَاكَ الْقَوْمَ مِنَ السُّوَارِي، وَرُوِيَ عَنْ أَبِي عُمَانَ النَّهْدِيِّ (٥) أَنَّهُ قَالَ: أُرْجَى آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةُ" (٦).

(١) النساء / ٨٤.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣٥٦).

(٣) التوبة / ١٠٢.

(٤) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد (ت ١١٠هـ): تابعي، كان إمام أهل البصرة، وخبير الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب. انظر الأعلام للزركلي، (ج ٢ / ٢٢٦).

(٥) هو عبد الرحمن بن مل بكسر الميم وضمها أبو عثمان، النهدي قال أسلمت على عهد رسول الله ﷺ وأديت إليه ثلاث صدقات ولم ألقه وغزوت على عهد عمر. للاستزادة انظر الوافي بالوفيات (ج ١٨ / ١٦٩).

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٢ / ١٦٨).

أضرب الخبر:

تمتاز اللغة العربية- لغة القرآن الكريم- بدقتها وجمالها، فكل حرف وكل حركة وكل نبرة تلقي بظلالها على المعنى، ومن المعروف أن البلاغة العربية تهتم بحال المخاطب وتراعي مقتضياته فالبلاغة مطابقة الكلام لمقتضى حال السامعين، وتعدد فرص التعبير وأنماط الكلام ليس هو مجرد حشو أو تكرار إنما لكل مقام مقال، وهذا يذكرني برد أبي العباس المبرد على اتهام فيلسوف العرب الكندي^(١) بقوله: "إني أجد في كلام العرب حشواً يقولون عبد الله قائم ثم يقولون إن عبد الله قائم ثم يقولون إن عبد الله لقائم والمعنى واحد".

فرد المبرد: بل المعاني مختلفة فقولهم عبد الله قائم إخبار عن قيامه، وقولهم إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، وقولهم إن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه " (٢). وفي كلام أبي العباس المبرد ما يبين أضرب الخبر كما فصلها البلاغيون وهي^(٣):

١- الابتدائي: وهو الخبر الذي يخلو من المؤكدات لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه الخبر، فهو ليس بمنكر ولا متردد، نحو قولنا: محمد مسافر.

- قال تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴾ (٤).

وأغلب ما يكون ذلك في القرآن الكريم في الأمور المسلم بها والتي لا إنكار ولا اختلاف عليها.

٢- الطلبي: وهو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه، ولا يعرف مدى صحته فيحسن أن يؤكد الكلام بمؤكد واحد فقط لإزالة الشك وتمكين الخبر في نفس المخاطب.

- ومن أمثلته في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقُصِّصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (٥).

(١) هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي (ت ٢٦٠هـ)، أبو يوسف: فيلسوف العرب والإسلام في عصره، وأحد أبناء الملوك من كندة. ونشأ في البصرة. وانتقل إلى بغداد، فتعلم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك. وألف وترجم وشرح كتباً كثيرة، يزيد عددها على ثلاثمائة. انظر: الأعلام للزركلي (ج ٨ / ١٩٥).

(٢) انظر: الإيضاح (ص ٩٣).

(٣) انظر: الإيضاح (ص ٩٢-٩٣)، معجم مصطلحات البلاغيين: أحمد مطلوب، د.ط (لبنان - مكتبة لبنان، ٢٠٠٠م) (٤٧٩)، من بلاغة القرآن (ص ٢٤-٢٥).

(٤) الكهف / ٤٦.

(٥) النساء / ١٦٤.

{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} "إِنَّمَا كَلَّمَهُ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَلَا وَحِي، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كَلَامًا فِي الشَّجَرَةِ؛ فَسَمِعَهُ مُوسَى؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}"^(١).

فجاءت الآية بمؤكد واحد وهو المفعول المطلق "تكليماً"، لقطع الشك باليقين ممن يتردد أو يؤول طريقة تكليم الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام ويدلل على أن كلامه كان مباشرة وكلامه حقيقة وهذا هو مذهب أهل السنة.

- ومثله كذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾^(٢).

قوله تعالى: {وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ} "أخبر أنهم لن يتمنوا ذلك كأن الله صرفهم عن تمني الموت؛ تصديقاً للرسول، وتحقيقاً لمعجزته، إذ كان يمكن أن يتمنى بعضهم ذلك تكذيباً للرسول"^(٣).

{وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا} "كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الإحجام عما دعوا إليه الدال على كذبهم في دعواهم"^(٤).

فقد يكون السامع في تردد أو يرتابه الشك من إقدام اليهود على تمني الموت فأكد الجملة بقوله "أبداً".

٣- الإنكاري: هو الخبر الذي يتضمن أكثر من مؤكد؛ لأن المخاطب يكون في حالة إنكار للخبر فيحتاج ما يؤكد له صحته ويزيل عنه الشك.

- ومثله في القرآن الكريم قول الله -تبارك وتعالى- : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾^(٥).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣٩٨).

(٢) البقرة / ٩٥.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٧٦).

(٤) تفسير أبي السعود، (ج ١ / ١٣٢).

(٥) النساء / ١٥٠ - ١٥١.

{أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا} "إِنَّمَا حَقَّقَ كُفْرَهُمْ، لِيَعْلَمَ أَنَّهُمْ كُفَّارٌ مُطْلَقًا لِئَلَّا يَظَنَّ ظَانَ أَنَّهُمْ لَمَّا آمَنُوا بِاللَّهِ وَيَبْعَثُ الرَّسُلَ لَا يَكُونُ كُفْرَهُمْ مُطْلَقًا"^(١).

فورد في الآية الكريمة أكثر من مؤكد وذلك باستخدام الضمير (هم) وكلمة حقاً، وتأمل الفرق بين هذه الجملة وجملة " أولئك الكافرون "، وفي ذلك تأكيد على الكفر المطلق لأهل الكتاب الذين آمنوا بالله وبعض الرسل وأن الإيمان يجمع الإيمان بالله وجميع رسله.
وجاء في عقود الجمان^(٢):

فَلْيُقْتَصَرَ عَلَى الَّذِي يَحْتَاجُ لَهُ	مِنَ الْكَلَامِ وَلْيُعَامَلْ عَمَلَهُ
فَإِنْ يُخَاطَبُ خَالِيًا لِلدَّهْنِ مِنْ	حُكْمٍ وَمِنْ تَرَدُّدٍ فَلْيُعْتَنَنَّ
عَنِ الْمُؤَكَّدَاتِ أَوْ مُرَدِّدًا	وَطَالِبًا فَمُسْتَجِيدًا أَكَّدًا
أَوْ مُنْكَرًا فَأَكَّدَنَّ وَجُوبًا	بِحَسَبِ الْإِنْكَارِ فَالضُّرُوبًا
أَوَّلَهَا سَمًّا ابْتِدَائِيًّا وَمَا	تَلَاهُ فَهُوَ الطَّلَبِيُّ وَانْتَمَى
تَالِيَهُ لِلْإِنْكَارِ ثُمَّ مُقْتَضَى	ظَاهِرِهِ إِيْرَادُهَا كَمَا مَضَى

(١) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣٩٤).

(٢) عقود الجمان للسيوطي، (٣٣).

المبحث الثاني

الإنشاء

الإنشاء لغةً:

أَنْشَأَ إِذَا أَنْشَدَ شِعْرًا أَوْ خَطَبَ خُطْبَةً، فَأَحْسَنَ فِيهِمَا (١).

الإنشاء اصطلاحاً:

"قول لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، أي لا يجوز أن يقال لقائله: إنه صادق فيها أو كاذب إذ لا واقع للقول حتى يطابقه أو لا يطابق -أو هو قول يتوقف تحقق مدلوله على النطق به فقولك: "اكتب يا علي" إنشاء مدلوله طلب الكتابة منه، ولا يتعلق بهذا الطلب صدق ولا كذب- كما يتوقف تحقق مدلوله على النطق بهذا المطلب" (٢).

كما أن السمعاني فرق بين الخبر الذي يحتمل الصدق أو الكذب وبين الإنشاء الذي لا يحتمل ذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣).

{قال أعلم} "يقرأ بقراءتين: على الخبر، وعلى الأمر، أما على الخبر فمعناه: علمت أن الله على كل شيء قدير، وأما على الأمر قال لنفسه: {اعلم أن الله على كل شيء قدير}" (٤).

فقراءة (أعلم) هي على الخبر، وأما على قراءة (اعلم) فهي أمر لا يحتمل صدقاً ولا كذباً.

ينقسم الإنشاء إلى قسمين: إنشاء غير طلبي وإنشاء طلبي.

(١) انظر لسان العرب لابن منظور، (نشأ).

(٢) المنهاج الواضح للبلاغة، (ج ٢ / ٨٨).

(٣) البقرة/ ٢٥٩.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٩٤).

الإشياء غير الطلبي:

وهو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وله أساليب مختلفة^(١)، منها:

- **التعجب:** وله صيغتان معروفتان هما: (ما أفعله!) كقولنا: ما أجمل السماء! والصفة الثانية: (أفعل بـ)، كقول الله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢).

- وقد بين السمعاني هذا النوع من الإشياء الطلبي في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(٣).

"قَالَ الْكِسَائِيُّ وَالْفَرَاءُ: مَعْنَاهُ: فَمَا أَجْرَاهُمْ عَلَى النَّارِ، وَحَكَى الْكِسَائِيُّ: أَنَّ أَعْرَابِيَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَى قَاضٍ، فَحَلَفَ الْمُتَكَرِّمُ، فَقَالَ لَهُ الْمُدْعِي: مَا أَصْبَرَكَ عَلَى النَّارِ!، أَي: مَا أَجْرَأَكَ عَلَى النَّارِ! وَقَالَ بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ^(٤): مَعْنَاهُ: فَمَا أَبْقَاهُمْ فِي النَّارِ!، يُقَالُ: فَلَانَ مَا أَصْبَرَهُ عَلَى الْحَبْسِ!، أَي: مَا أَبْقَاهُ فِي الْحَبْسِ!، " وَمَا " لِلتَّعْجُبِ هَاهُنَا، قَالَ الْكِسَائِيُّ: التَّعْجُبُ مِنَ اللَّهِ بِمَعْنَى: التَّعْجُبُ لِلْخَلْقِ "^(٥).

- كما أورد السمعاني صيغة مختلفة عن المؤلف وذكّر أنها من صيغ التعجب في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٦).
{قاتلهم الله}: "فيه قول ثالث"^(٧): أن هذه كلمة تعجب، قال الشاعر^(٨):

(١) من بلاغة القرآن، (٢٧).

(٢) مريم / ٣٨.

(٣) البقرة / ١٧٥.

(٤) وهناك رأي لابن عباس ذكره السمعاني وهو بمعنى: أي شيء صبرهم على النار؟ ! فيكون استفهام لغرض التعجب. انظر تفسير السمعاني (ج ١ / ١٢٣).

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١ / ١٢٣).

(٦) التوبة / ٣٠.

(٧) القولان الأول والثاني هما بمعنى لعنهم الله أو بمعنى قتلهم الله. انظر تفسير السمعاني (ج ٢ / ١٣٠).

(٨) البيت على البحر البسيط وهو لابن الدمينية (ت ١٣٠هـ). انظر الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين: الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، (ت: نحو ٣٨٠هـ)، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (ت: ٣٧١هـ)، تحقيق: الدكتور محمد علي دقة، د. ط. (سوريا، وزارة الثقافة، ١٩٩٥م)، (ص ٧٤).

فَيَا قَاتِلَ اللَّهِ لَيْلَى كَيْفَ وَأَخْبِرُ النَّاسَ أَنِّي لَا أَبَالِيهَا

وَلَيْسَ الْمَعْنَى تَحْقِيقَ الْمُقَاتَلَةِ؛ وَلَكِنَّهُ كَلِمَةٌ تَعْجَبُ^(١).

١- القسم: وهو مما يكثر في الكلام ولكثرة استخدامه شاع حذف فعل القسم (أقسم)، واكتفي بالباء.

- ومنه قول الله تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

- وعوض عن الباء بالواو في الأسماء الظاهرة ومنه قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾^(٣)، وبالهاء في أسماء الله الحسنى ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّهِ لَقَدْ عَازَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾^(٤).

- وأورد السمعاني شواهد للقسم^(٥)، حذف فيها المقسم به وبقي حرف القسم الواو في قول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالظَّمَرَاتِ ﴿١٠٠﴾ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٦).

قوله تعالى: {ولنبلونكم بشيء من الخوف} "اللأم فيه لجواب القسم، وتقديره: والله لنبلونكم"^(٧).

- وفي قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٨).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٢ / ص ١٣٠).

(٢) التوبة / ٦٢.

(٣) الشمس / ١، ٢.

(٤) يوسف / ٩١.

(٥) للاستزادة في القسم وصوره في القرآن الكريم. انظر التبيان في أقسام القرآن لابن قيم الجوزية (٥١هـ)، تحقيق: محمد شريف سكر، د.ط (لبنان - دار إحياء العلوم، ١٩٨٨م).

(٦) البقرة / ١٥٥.

(٧) تفسير السمعاني (ج ١ / ص ١١٣).

(٨) البقرة / ٨٣.

حذف لحرف القسم الواو والمقسم به أيضاً وفي ذلك يقول السمعاني: " وَفِي هَذَا الْمِيثَاقِ عَهْدٌ وَقَسْمٌ، وَتَقْدِيرُهُ: وَاللَّهُ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ " (١).

٢- صيغ المدح والذم: ومن صيغ المدح قول الله -تبارك و تعالى-: ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٢).

وقوله: {فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} "أي: نعم عاقبة الدار" (٣)، وقد وردت صيغة المدح المعروفة " نعم"، وهناك ما ينصب على المدح بحذف فعل المدح.

- ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ (٤).

وقوله: {عينا يشرب بها عباد الله} "النصب على المذح، أعني عينا يشرب بها عباد الله" (٥).

- ومثله أيضاً قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ (٦).

وقوله: {عينا فيها تسمى سلسبيلا} " يُقَالُ: إِنَّ السَّلْسَبِيلَ هِيَ عَيْنُ الزَّنَجْبِيلِ أَيْضًا، وَنُصِبَ عَلَى الْمَذْحِ، وَمَعْنَاهُ: أَعْنِي عَيْنًا" (٧).

- وأما صيغ الذم فوردت في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا أَوْلَهُمْ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٨).

- ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴾ (٩).

وقوله تَعَالَى: {ولبئس المهاد} "المهاد: كل فراش يستقر المرء عليه" (١٠).

(١) تفسير السمعاني (ج ١ / ٦٩).

(٢) الرعد / ٢٤.

(٣) تفسير السمعاني (ج ٢ / ٣٥٨).

(٤) الإنسان / ٦.

(٥) تفسير السمعاني (ج ٤ / ٤٢٧).

(٦) الإنسان / ١٨.

(٧) تفسير السمعاني (ج ٤ / ٤٣٠).

(٨) النور / ٥٧.

(٩) البقرة / ٢٠٦.

(١٠) تفسير السمعاني (ج ١ / ١٥١).

٣- الرجاء: وله أداتان مشهورتان هما: لعل وعسى.

- بين السمعاني بعض الآيات التي تحمل معنى الرجاء بأداة الرجاء لعل ومنها قول الله تعالى:

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(١).

"أي: افعلوا ما تفعلوا على رجاء الرحمة" ^(٢).

- وقول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ

قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(٣).

"وقيل^(٤) مَعْنَاهُ: كونوا على رجاء التقوى"^(٥).

- وقول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم مَّذْمُومَةً

وَأَنْتُمْ أَلْفَاظُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٦).

"أي: كونوا على رجاء الفلاح، يعني: من ترك الربا وفيه الفلاح، وفي عطاء الربا الهلاك"^(٧).

- وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٨).

"أي: كونوا على رجاء الرحمة"^(٩).

- ومن أمثلة عسى في القرآن الكريم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ

قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعث لنا ملكا نقتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم

القتال ألا تقتلوا قالوا وما لنا ألا نقتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا

فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ﴾^(١٠).

(١) النور / ٥٦.

(٢) تفسير السمعاني (ج ٣ / ١٠٧).

(٣) البقرة / ٢١.

(٤) هذا الرأي الثاني الذي ذكره السمعاني والرأي الأول لأبي عبيدة وهو بمعنى لكي تتقوا. انظر تفسير السمعاني

(ج ١ / ٣٥).

(٥) السمعاني (ج ١ / ٣٥).

(٦) آل عمران / ١٣٠.

(٧) تفسير السمعاني (ج ١ / ٢٧٠).

(٨) آل عمران / ١٣٢.

(٩) تفسير السمعاني (ج ١ / ٢٧٠).

(١٠) البقرة / ٢٤٦.

"وَمَعْنَى الْآيَةِ: لَعَلَّكُمْ أَنْ تَجْبِنُوا عَنِ الْقِتَالِ فَلَا تَقَاتِلُوا"^(١).

فحملت عسى في هذه الآية معنى الرجاء، وللمعاني رأي في عسى حيث بين أن عسى من الله واجبة وكرر ذلك بين طيات التفسير أكثر من مرة.

- منه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَكَلِّبْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفْ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴾^(٢).

يَعْنِي: يكف عذاب الذين كفروا، "وَعَسَى مِنْ اللَّهِ وَاجِبٌ، وَالْمَرَادُ بِهِ: تَطْمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ"^(٣).

- وأيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾^(٤).

وأردف السمعاني قائلاً: " وَعَسَى " من الله واجب؛ لِأَنَّهُ لِلإِطْمَاعِ، وَاللَّهُ - تَعَالَى - إِذَا أَطْمَعَ عَبْدًا أَوْجِبَ لَهُ وَأَوْصَلَهُ إِلَيْهِ".

- وكذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾^(٥).

{فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} وَعَسَى مِنْ اللَّهِ وَاجِبٌ"^(٦).

وبذلك تكون عسى - التي من الله عز وجل - خرجت عن معنى الرجاء وأفادت التحقيق حسب رأي السمعاني - رحمه الله -.

تجدر الإشارة قبل الانتقال إلى الإنشاء الطلبي أن صيغ العقود مثل بعت واشتريت هي من الإنشاء غير الطلبي إلا أنها لم ترد - حسب ما رأيت - ضمن تفسير السمعاني.

(١) تفسير السمعاني (ج ١ / ١٨٢).

(٢) النساء / ٨٤.

(٣) تفسير السمعاني (ج ١ / ٣٥٦).

(٤) النساء / ٩٩.

(٥) التوبة / ١٨.

(٦) تفسير السمعاني (ج ٢ / ١٢٣).

الإشياء الطلبية:

والإشياء الطلبية هو ما "يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل"^(١)، وهو خمسة أنواع: الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، النداء.

أولاً - الأمر:

لغة: "تقيض النهي"^(٢).

اصطلاحاً: "هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام"^(٣).

فالأمر الحقيقي هو ما يتصف بالاستعلاء والإلزام، " والمراد بالاستعلاء هنا عدُّ الأمر نفسه عالياً سواء أكان عالياً في نفسه أم لا"^(٤)، والإلزام وجوب تنفيذ الطلب فإن أفرغ من دائرة الإلزام أو الإلزام أو الاثنين معاً خرج عن دائرة الأمر الحقيقي لأغراض بلاغية أخرى سنذكرها لاحقاً. وللأمر أربع صيغ هي:

١- فعل الأمر: وذلك كقول الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴾^(٥).

٢- المضارع المقرون بلام الأمر: كقول الله تعالى: ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾^(٦).

٣- اسم فعل الأمر: كقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مِّن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٧).

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر: مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا

(١) الإيضاح، للخطيب القزويني، (٢٢٧).

(٢) لسان العرب، (أمر).

(٣) معجم المصطلحات البلاغية، (١٨٤).

(٤) معجم البلاغة العربية، تأليف: بدوي طبانة، ط٣ (السعودية، دار المنارة، ١٩٨٨م) (٤٧).

(٥) المائة / ٩٢.

(٦) الطلاق / ٧.

(٧) المائة / ١٠٥.

تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾.

والشاهد في قوله تعالى (إحساناً) وهو مصدر عن فعل الأمر أحسنوا.

هذه هي الصيغ الأربع التي تفيد معنى الأمر الحقيقي على وجه الاستعلاء والإلزام، ويخرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى أغراض بلاغية أخرى إن اختلف وجه الاستعلاء أو الإلزام أو الاثنين معاً، بل قد يشارك في تحديد الغرض البلاغي للأمر النظرة ونبرة الصوت والحركة وسياق الكلام وقرائن الأحوال، وبين العلوي في كتابه الطراز عن المعاني البلاغية التي يخرج إليها الأمر أنها من باب المجاز فقال: "المعاني المستعملة في غير الطلب، فإنها على جهة المجاز" (٢).

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر:

١- **التعجيز:** وهو "مطالبة المخاطب بعمل لا يقوى عليه إظهاراً لعجزه وضعفه وعدم قدرته وذلك من قبيل التحدي" (٣).

٢- وبين السمعاني آيات قرآنية تحمل هذا الغرض وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤).

فقول الله - تبارك وتعالى-: {فأتوا بسورة من مثله} {فيه معنيان: أحدهما قاله ابن عباس وجماعة: أراد به من مثل القرآن.

فإن قيل: كيف قال: من مثل القرآن، ولا مثل له؟ قيل: أراد به من مثله على زعمهم.

وفيه قول آخر: أنه أراد به من مثل محمد؛ لأنهم كانوا يقولون: إنه مفترى فقال: فأتوا بسورة من مفترى مثله" (٥).

وعلى كلا الحالتين المخاطبون عاجزون عن الإتيان بمثل القرآن الكريم أو بمثل محمد ﷺ في كلامه. ويُنْبَعِغُ اللهُ -تبارك وتعالى- الأمر التعجيزي الأول بأمر تعجيزي آخر؛ ليكون أبلغ في

(١) البقرة / ٨٣.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالب الملقب بالمؤيد بالله (ت: ٥٧٤٥هـ)، د.ط (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، (ج ٣ / ٢٨٣).

(٣) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، د.ط (بيروت، دار النهضة العربية، د.ت) (٧٦).

(٤) البقرة / ٢٣.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣٧).

إلزام الحجة فيقول الحق -تبارك وتعالى-: {وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، "أَي: اسْتَعِينُوا بِأَعْوَانِكُمْ وَأَرْبَابِكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} فِيمَا تَزْعُمُونَ، وَقَائِدَتَهُ: أَنَّهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا وَأَحْضَرُوا أَرْبَابَهُمْ فَعَجَزُوا كَمَا أَبْلَغَ فِي الْإِلْزَامِ الْحُجَّةُ"^(١).

فإنه سبحانه يريد أن يربط على قلوب الكافرين شعورهم بالوهن والضعف فهم إن جمعوا كل أعوانهم وأربابهم وحشدوا طاقاتهم فهم عاجزون واهنون كاذبون في شكهم بصدق الرسول ﷺ وصدق القرآن ومكانته.

٢- التكوين^(٢): وهو أمر لا يكون للمخاطب فيه صنع ولا اختيار ويكون من الله سبحانه.

- وقد وضح السمعاني مفهوم التكوين في معرض تفسيره لقول الله تبارك وتعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ بقوله: "فإن كل من يريد فعلا فإما أن يقول قولاً، أو يفعل فعلاً. وَمَعْنَاهُ: التَّكْوِينُ فَحَسَبَ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: {فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ} لِأَنَّهُ كَذَا يَفْهَمُهُ النَّاسُ"^(٣)، فالله تبارك وتعالى لا يقصد طلباً بقوله (كن) إنما أراد أن يبين قدرته على الفعل فعبر عنه بالقول، وقد وافق هذا الرأي الشوكاني في تفسيره فقال: "وقد قيل: إن ذلك مجاز، وأنه لا قول وإنما هو قضاء يقضيه، فعبر عنه بالقول، ومنه قول الشاعر، وهو عمرو بن حممة الدوسي^(٤):

فَأَصْبَحَتْ مِثْلَ النَّسْرِ طَارَتْ إِذَا رَامَ تَطْيَارًا يُقَالُ لَهُ قَعٌ^(٥)

وقال آخر:

قَالَتْ جَنَاحَاهُ لِسَاقِيهِ إِحْقَا وَنَجِيَا لِحَمَكُمَا أَنْ يُمَرَّقَا^(٦)

(١) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣٧).

(٢) بعض العلماء يسميه التسخير إلا أن التكوين أعم من التسخير، للاستزادة راجع عروس الأفراح للسبكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط ١ (بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٣ م).

(٣) السمعاني، (ج ١ / ٩١).

(٤) وهو شاعر جاهلي معمر ويقال: إنه عاش ثلاثمائة وتسعين سنة، وأنشد له البيت المذكور أعلاه، وله من نسله صحابة كرام مثل جندب بن عمرو وغيرهم. للاستزادة انظر الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥ م).

(٥) البيت من الطويل وقد نسبه بعضهم للشاعر الجاهلي عامر العدوانى.

(٦) البيت من الرجز وقيل للأعشى.

وقد جادل بعض أهل الكلام في هذه الآية الكريمة كلاماً ناقشه السمعاني بقوله: "فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ قَالَ: (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ) والمعدوم لَا يُخَاطَبُ؟

قيل: قد قَالَ ابنُ الأَنْبَارِيِّ^(١): مَعْنَاهُ: فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ أَي: لِأَجْلِ تَكْوِينِهِ، فَعَلَى هَذَا ذَهَبَ مَعْنَى الْخُطَابِ.

وَقِيلَ: هُوَ وَإِنْ كَانَ مَعْدُومًا، لَكِنَّهُ لَمَّا قَدَرَ وَجُودَهُ، وَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، كَانَ كَالْمَوْجُودِ: فَصَحَّ الْخُطَابُ^(٢).

- ومن أمثلة أمر التكوين التي أوردها السمعاني قول الله - جل وعلا-: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٣).

{فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} " هَذَا أَمْرٌ تَكْوِينٌ لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهِ صِنْعٌ وَلَا اخْتِيَارٌ"^(٤).

وتجدر الإشارة إلى أن بعض العلماء المحدثين صنف الأمر التكويني ضمن الإنشاء غير الطلبي كونه لا يحمل معنى الطلب^(٥).

ولكن الأرجح أن يكون أمرًا مجازياً خرج لغرض بلاغي وهو التكوين أو التسخير.

٣- النصح والإرشاد:

- ومنه قول الله جل في علاه -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٦).

"ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً، أَي: ادْخُلُوا جَمِيعًا فِي الْإِسْلَامِ... فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ خَاطَبَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْادْخُولِ فِي الْإِسْلَامِ؟ قِيلَ: يَحْتَمَلُ مَعْنَاهُ: النَّبَاتُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَيَحْتَمَلُ أَنَّهُ خَاطَبَ لِلَّذِينَ

(١) هو أبو بكر محمد بن القاسم بشار الأنباري النحوي (ت ٣٢٨هـ)، فإنه كان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين، وأكثرهم حفظاً للغة؛ وكان زاهداً متواضعاً. أخذ عن أبي العباس ثعلب، وألف كتباً كثيرة في علوم القرآن والحديث واللغة والنحو. للاستزادة راجع نزهة الألباء في طبقات الأدباء: أبو البركات، ابن الأنباري، تحقيق: إبراهيم سامرائي، ط ٣ (الأردن، مكتبة المنار، ١٩٨٥م)، (١٩٧).

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٩١).

(٣) البقرة / ٦٥.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٦٠).

(٥) مثل الدكتور عبد الرحمن حبنكة الميداني (ت ١٤٢٥هـ) في كتابه البلاغة العربية.

(٦) البقرة / ٢٠٨.

آمَنُوا بِاللِّسَانِ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِالْقَلْبِ" (١).

فالله سبحانه وتعالى يثبت المؤمنين ويذكرهم بوجوب الطاعة والانصياع لأوامر الإسلام كافة، وينهاهم عن الانزلاق وراء خطوات الشيطان.

- ومن أمثله أيضاً قول الله تعالى في مطلع سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

"بَدَأَ مِنَ السُّورَةِ بِالْوَعظِ وَالتَّحذِيرِ، فَقَالَ: {اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَأَرَادَ بِالنَّفْسِ الْوَاحِدَةَ آدَمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - " (٣).

- ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٤).
تَفْهِيمُهُ: يَكُنِ الْإِيمَانُ خَيْرًا لَكُمْ" (٥).

٤- الإهانة والتحقير:

"ويكون ذلك بتوجيه الأمر إلى مخاطب بقصد استحقاره و استصغاره" (٦)، ومن أمثلة ذلك:

- مما أورده السمعاني - قول الله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ (٧).

"إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ مُبَالِغَةً فِي التَّعْذِيبِ وَالإِنْتِقَامِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلْعَدُوِّ إِذَا أَصَابَهُ الْمَكْرُوهُ: ذُوقْ" (٨)،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذُوقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (٩).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١ / ١٥٢).

(٢) النساء / ١.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣٠١).

(٤) النساء / ١٧٠.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٤٠٠).

(٦) من بلاغة القرآن الكريم، (٣٥).

(٧) الأنفال / ١٤.

(٨) تفسير السمعاني، (ج ٢ / ٨٤).

(٩) الدخان / ٤٩.

"أي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه" (١)، "وذلك إنَّ أبا جهل قال: ما بين حبلها رجل أعز ولا أكرم مني؛ فيقول له الخزنة هذا على طريق الاستخفاف والتحقيق" (٢).

ومن أمثلته أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣).

وقد ناقش السمعاني في تفسيره عن أصل كلمة البشارة من الناحية اللغوية فقال: "فإن قيل: ما معنى البشارة بالعذاب الأليم؟

قيل: أصل البشارة: كل خبر تتغير به بشرة الوجه، سارا كان أم مكروها، لكنه في الغالب إنما يستعمل في الخبر السار، فإذا استعمل في الخبر السيء كان على الأصل.

وقيل: أراد به: ضع هذا موضع البشارة، كما تقول العرب: تحينك السوط، وعقابك السيف، يعنى: وضعت السوط مع النحية (٤)، قال الشاعر (٥):

وخيل قد دلفت بها لخيل نحية بينهم ضرب وجيع (٦)

لعل من الملاحظ على كلام السمعاني أن كلمة البشارة تحمل معناها على الأصل في هذا الموضع وبذلك يكون أمراً يحمل معنى التهديد والوعيد أكثر منه للإهانة والتحقير أما على الرأي الثاني الذي أورده السمعاني -ولعله يضعفه بقوله (وقيل) - فيكون الأمر للإهانة لأن البشارة موضعها في الخبر السار أصلاً ووضعت في موضع الخبر السيء مجازاً وهو وارد عند العرب وهذا الرأي دعمه معظم المفسرين (٧).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: عبد القادر حسونة، د.ط (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦م) (ج ٥ / ١٦٤).

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط ١ (بيروت، دار إحياء التراث، ٢٠٠٢م) (ج ٨ / ٣٥٦).

(٣) النساء / ١٣٨.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣٨٩).

(٥) وهو عمرو بن معدى كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي (ت ٢١١هـ)، فارس اليمن وصاحب الغارات المذكورة، وفد على المدينة سنة ٩٩هـ، فأسلم، ولما توفي النبي (صلى الله عليه وسلم) ارتد ثم رجع إلى الإسلام، شهد اليرموك وذهبت فيها إحدى عينيه. للاستزادة راجع معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين: حاكم حبيب الكريطي، ط ١ (بيروت - مكتبة لبنان، ٢٠٠١م) (١٧٥).

(٦) البيت من الوافر وهو للشاعر عمرو بن معدى كرب الزبيدي.

(٧) من المفسرين الذين وافقوا الرأي الثاني: فخر الدين الرازي في مفاتيح الغيب، والشوكاني في فتح القدير، والزمخشري في تفسيره الكشاف، وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط، وأبي السعود في تفسيره، والبيضاوي في أنوار التنزيل، وإسماعيل حقي في روح البيان، ابن عاشور في التحرير والتنوير، ومحمد رشيد رضا في تفسيره المنار، أما الذي وافق الرأي الأول فلم أعثر إلا على أبو حفص النعماني في تفسيره اللباب في علوم الكتاب.

٥- التهديد: وهو "استعمال صيغة الأمر في مقام عدم الرضا"^(١).

- وقد بينه السمعاني في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾^(٢).

{فتربصوا حتى يأتي الله بأمره} "معناه: فانظروا... وهذا أمر تهديد وليس بأمر حتم ولا ندب ولا إباحة"^(٣).

- ومثله أيضاً قول الله تعالى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٤).

ففي الآية "معنى التهديد"^(٥)، وفسر أبو السعود هذه الآية بأنها ترغيب وترهيب للمؤمنين فقال: {وقل اعملوا} زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملة التوبة ولأولين في الثبات على ما هم عليه أي قل لهم بعد ما بان لهم شأن التوبة اعملوا ما تشاءون من الأعمال فظاهر ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب "^(٦).

- وكذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنْ أَسْتَعْطَمْتُمْ أَنْ تَنْفُدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنْفُدُوا لَا تَنْفُدُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾^(٧).
"وقوله: {فانفذوا} أي: اخرجوا، وهذا على طريق التهديد"^(٨).

وفي زماننا هذا حيث التقدم التكنولوجي والتنافس العلمي في غزو الفضاء الخارجي ، قد يكون الأمر خرج على سبيل التحدي، فالنفاذ إلى أقطار السموات والأرض لا يكون إلا بسلطان وقوة

(١) من بلاغة القرآن، ص ٣٢.

(٢) التوبة / ٢٤.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٢ / ١٢٦).

(٤) التوبة / ١٠٥.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٢ / ص ١٧٠).

(٦) تفسير أبي السعود، (ج ٤ / ١٠٠).

(٧) الرحمن / ٣٣.

(٨) تفسير السمعاني، (ج ٤ / ٢٠٧).

من الله وهو بمشيئته وقدرته.

- ومن الآيات التي بينها السمعاني أنها أمر خرج لغرض التهديد قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١).

قوله تعالى: {هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} "وَعِيد وتهديد" (٢).

٦- النذب: "هو ما أمر الشارع به على سبيل الاستحباب بحيث يؤدي فاعله ولا يعاقب تاركه، وله مترادفات أخرى مثل التطوع والسنة والنافلة والاستحباب" (٣).

- وذكر السمعاني العديد من الأمثلة على الأمر الذي يخرج للنذب ومنها قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (٤).

قوله تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا} "لما حرم الخمر، وأمر بالاجتناب عنها؛ ندبهم إلى طاعة الله والرَّسُول، والتوقي" (٥).

- وكذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٦).

قوله تعالى: {فَإِنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ} "هُوَ أمر ندب لا أمر حتم وإيجاب، مثل قوله تعالى: {وَإِذَا حُلْتُمْ فَاصْطَادُوا} (٧) (٨).

- ومثله أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ (٩).

(١) التوبة / ٣٥.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٢ / ص ١٣٤).

(٣) البحر المحيط في أصول الفقه: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد تامر، ط ٢ (بيروت - دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م)، (ج ١ / ٢٢٩).

(٤) المائدة / ٩٢.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٤٥٩).

(٦) الجمعة / ١٠.

(٧) المائدة / ٢.

(٨) تفسير السمعاني، (ج ٤ / ٢٩٧).

(٩) الإنسان / ٢٦.

وقوله: {وسبحه ليلاً طويلاً} "هُوَ النَّطْوَعُ من بعد صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْأَخِيرَةِ إِلَى الصُّبْحِ، وَهَذَا عَلَى النَّدْبِ وَالِاسْتِحْبَابِ"^(١).

٧- التَّسْوِيَةُ: وتكون في مقام يتوهم فيه أن أحد الأمرين أرجح من الآخر.

- ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ كُفْرًا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^(٢).

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا} هَذَا أَمْرٌ بِمَعْنَى الشَّرْطِ، وَمَعْنَاهُ: إِنْ أَنْفَقْتُمْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا {لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ} لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ، وَالْفِسْقُ هَاهُنَا هُوَ الْكُفْرُ"^(٣).

٨- الإِبَاحَةُ: "وذلك إذا استعملت صيغة الأمر في مقام يتوهم السامع فيه عدم جواز الجمع بين أمرين فيكون الأمر إنزاعاً له بالفعل فله أن يفعل، وله أن يترك"^(٤).

- كقول الله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾^(٥).

وقوله: {فَكُلُوا مِنْهَا} "هَذَا أَمْرٌ بِإِبَاحَةٍ، وَلَيْسَ بِأَمْرٍ إِجْبَابٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ أَمْرٌ (نَدْبٌ)، وَيَسْتَحِبُّ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا"^(٦).

ومن المعلوم أن المباح لا يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه -إلا إذا قرن بنية التقرب إلى الله فيتحول إلى عبادة- بينما الندب يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه و لعل هذا ما قصده السمعاني في غرض الأمر.

وجاء في عقود الجمان^(٧):

وَالْأَمْرُ مِنْ أَنْوَاعِهِ ثُمَّ الْأَصْحَحُ
لِطَلْبِ الْفِعْلِ مَعَ اسْتِعْلَاءِ
صِيغَتُهُ بِاللَّامِ أَوْ لَا قَدْ وَضَحَ
وَقَدْ يَجِي لِلْعَالِ كَالدُّعَاءِ

(١) تفسير السمعاني، (ج ٤ / ٤٣٣).

(٢) التوبة / ٥٣.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٢ / ١٤٣).

٤ من بلاغة القرآن، (٣٤).

(٥) الحج/٢٨.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٣ / ١٨).

(٧) عقود الجمان، (٥٩).

وَالْمَسَاوِي فَالْتِمَاسٌ وَتَرْدٌ
وَالِإِهَانَةَ وَاللِّسْنِخِيرَ
وَاللْتَمَنِّي وَامْتِنَانٍ وَالْعَجَبُ
وَقَالَ فِي الْمِفْتَاحِ لِلْفُورِ اقْتَضَى
إِبَاحَةً كَذَا لِتَهْدِيدِ قُصْدِ
وَالْخُبْرِ وَالتَّعْجِيزِ وَالتَّخْيِيرِ
تَسْوِيَةٍ وَالِإِحْتِقَارِ وَالْأَدَبِ
قُلْتُ أَعَمُّ مِنْهُ فِي الْقَوْلِ الرِّضَى

ثانياً - النهي:

لغة: "خلاف الأمر، نَهَاهُ بِنَهَائِهِ فَانْتَهَى وَتَنَاهَى: كَفَّ"^(١).

اصطلاحاً: "طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام"^(٢).

وللنهي صيغة واحدة هي المضارع المقرون بلا الناهية الجازمة كقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(٣).

(وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ} "نهى الشُّهُودَ عَنِ كِتْمَانِ الشَّهَادَةِ، وَهُوَ حَرَامٌ"^(٤)، فهو نهى حقيقي على وجه الاستعلاء والإلزام.

وقد بين العلماء نقاط الاتفاق والاختلاف بين النهي والأمر وهي على النحو الآتي^(٥):

نقاط الاتفاق :

- ١- الأمر والنهي كلاهما من الإنشاء الطلبي.
- ٢- لا بد من اعتبار الاستعلاء في كليهما.
- ٣- أنهما متعلقان بالغير، فلا يمكن أن يكون الإنسان أمراً لنفسه أو ناهياً لها - وإلا كان تجريداً -.
- ٤- لا بد من اعتبار حال فاعلها في كونه مريداً لهما.

(١) لسان العرب، (نهي).

(٢) معجم المصطلحات البلاغية، (٦٦٧).

(٣) البقرة / ٢٨٣.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٢١٠).

(٥) انظر الطراز، (ج ٣ / ٢٨٥).

نقاط الاختلاف :

- ١- لكل واحد منهم صيغة مختلفة فلأمر أربع صيغ -كما ذكرنا آنفاً - وللنهي صيغة واحدة.
 - ٢- الأمر دال على طلب الفعل والنهي دال على المنع.
 - ٣- الأمر لا بد فيه من إرادة مأمورة، والنهي لا بد فيه من كراهية منهيّة.
- وكما أن للأمر أغراضاً بلاغية فللنهي أغراض بلاغية تستفاد من السياق والقارئ، وهي متعددة مثل الدعاء والنصح والتأييس وبيان العاقبة وغيرها، إلا أنني لم أجد -فيما قمت بدراسته- للسمعي سوى غرض النصح والإرشاد ومن أمثلته ما يلي :

النصح والإرشاد:

وهو نهي يتحقق فيه الاستعلاء ولا يتحقق فيه الإلزام.

- ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَمْتَنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (١).

"قَالَ الْفَرَاء: هَذَا نَهْي تَأْدِيب وَتَهْذِيب، وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّهُ نَهْي تَحْرِيم" (٢).

ومن الملاحظ أن رأي الفراء يدل على كونه للنصح والتهذيب، وأما رأي غيره يجعله مما يلزم ويكون النهي حينها للتحريم.

- ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٣) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٤).

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ} الْأَسَى: هُوَ الْحُزْنُ وَالتَّوَدُّعُ، وَقَوْلُهُ: {وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} أَي: لَا تَبْطُرُوا وَلَا تَأْشُرُوا، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (٤) قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَيَحْزَنُ، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ

(١) النساء / ٣٢.

(٢) تفسير السمعي، (ج ١ / ٣٢٦).

(٣) الحديد / ٢٢-٢٣.

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس (ت ٦٨هـ) حبر الأمة، الصحابي الجليل. ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوة، فلزم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة. للاستزادة انظر الأعلام (ج ٤ / ٩٥).

بِالْآيَةِ هُوَ أَنْ نَشْكُرَ عِنْدَ النُّعْمَةِ، وَنَصْبِرَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ. وَعَنْ بَعْضِهِمْ مَعْنَاهُ: لَا يُجَاوِزُ مَا حَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى يَعْني: لَا يَجْزَعُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ جِزْعًا يُخْرِجُهُ إِلَى تَرْكِ الرِّضَا، وَلَا يَفْرَحُ عِنْدَ النُّعْمَةِ فَرَحًا يُخْرِجُهُ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، أَوْ يُمْسِكُهَا عَنِ حُقُوقِهَا، وَلَكِنْ إِذَا عَلِمَ أَنَّ الْأَكْلَ بِقِضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبِهِ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَخْطئه، هَانَ عَلَيْهِ مَا فَاتَ، وَلَمْ يَفْرَحْ بِمَا أَصَابَ^(١).

- ومثله أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِيهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

ففي قوله تعالى: {وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} "إِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ نَهَاهُمْ عَنِ الْمَوْتِ عَلَى الْكُفْرِ، وَالْمَوْتِ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ؟ ! قِيلَ: مَعْنَاهُ: دُومُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، حَتَّى إِذَا وَافَاكُمُ الْمَوْتُ أَلْفَاكُمُ عَلَى الْإِسْلَامِ، هَذَا كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِغَيْرِهِ: لَا رَأْيَ لَكَ تَفْعَلُ كَذَا. مَعْنَاهُ: لَا تَفْعَلُ كَذَا، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَكَ (لَا) أَرَاكَ عَلَى فِعْلِهِ"^(٣).

- وتكرر هذا النهي في سورة البقرة في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

وبشير السمعاني فيما سبق أن النهي عن مسببات الفعل يكون أبلغ من النهي عن الفعل نفسه، فالمقصود أن الله -جل وعلا- ينهى عباده المؤمنين من فعل ما يبغضه ويبعده عن تقواه؛ فنعاقب بسوء الخاتمة والعياذ بالله، ويضرب مثلاً تداولته العربية في ذلك فمن ينهاك عن رؤيتك في مكان ما، يعني أنه ينهاك عن إتيان المكان، وزيادة على هذا الرونق البلاغي، تأمل ما يحدثه هذا الأمر من إعمال للعقل ولقت للفكر، فكيف للمؤمن الذي يخاطبه الله بيا أيها الذين آمنوا والذي يأمره بالتقوى أن يموت على الكفر؟! وهذا سؤال يفتح أبواباً من التشبث بالحق والتزام طاعته فإله مقلب القلوب وببده خواتيم الأعمال، وهو يذكرنا بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(٥)، فاللهم إنا نسألك أن تبارك لنا في أعمالنا ونسألك حسن الخاتمة.

(١) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٢٤٥).

(٢) آل عمران / ١٠٢.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٥٩).

(٤) البقرة / ١٣٢.

(٥) صحيح مسلم، (كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، ج ١، ٧٦).

- وقريب من هذا الفن القرآني قوله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّر قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

قوله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي: لا يحزنك مسارعتهم في الكفر؛ فإن قيل: كيف لا يحزنه كفرهم، والإنسان يحزن على كفر الغير ومعصيته؛ شفقة على الذين؟ قيل: معناه: لا يحزنك فعل الذين يسارعون في الكفر، على معنى: أن فعلهم لا يضرک" (٢).

وجاء في تفسير أبي السعود: "وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهياً للكفرة عن أن يحزنوه عليه الصلاة والسلام بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهى له عليه الصلاة والسلام عن التأثر من ذلك والمبالاة بهم على أبلغ وجه وأكده فإن النهي عن أسباب الشيء ومبادئه المؤدية إليه نهى عنه بالطريق البرهاني وقلع له من أصله وقد يوجه النهي إلى المسبب ويزاد به النهي عن السبب كما في قوله لا أرينك هنا يريد نهى مخاطبه عن الحضور بين يديه" (٣).

وجاء في عقود الجمان (٤):

وَالنَّهْيُ فَاعْدُدْهُ مِنَ الْإِنْشَاءِ	وَحَرْفُهُ لَا وَهُوَ ذُو اسْتِعْلَاءِ
وَقَدْ يَجِي طَالِبٌ غَيْرِ الْكَفِّ	وَالتَّرْكَ كَالتَّهْدِيدِ لِلتَّشْفِي
قُلْتُ وَلِلتَّقْلِيلِ وَأَمْتِنَانِ	وَلِلدُّعَا الْإِشْرَادِ وَالْبَيَانِ

ثالثاً: الاستفهام:

لغَةً: "الفهم: معرفتك الشيء بالقلب... واستفهمه: سأله أن يفهمه" (٥).

(١) المائدة / ٤١.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٤٣٤).

(٣) تفسير أبي السعود، (ج ٣ / ٣٦).

(٤) عقود الجمان، (٥٩ - ٦٠).

(٥) انظر: لسان العرب، (فهم).

اصطلاحاً: "طلب العلم بشيء بأدواتٍ معروفة" (١)، وقد سماه بعض العلماء الاستخبار (٢).

أدوات الاستفهام:

للاستفهام أدواته وألفاظه الموضوعية له وهي على ثلاثة أشكال:

١- ما يفيد التصور والتصديق: وهي الهمزة (أ)

أما التصور: "فهو طلب تعيين المفرد" (٣)، والمسؤول عنه بالهمزة هو ما يليها كقولهم للاستفهام عن الفاعل: أنتَ ضربتَ زيداً؟، وفي الاستفهام عن المفعول تقول: أزيداً ضربتَ؟.

وأما التصديق: "فهو طلب تعيين النسبة أو الحكم" (٤)، كاستفهامك عن الفعل بقولك: أضربتَ زيداً؟ (٥)

٢- ما يفيد التصديق: وهي (هل)

وهي محصورة للسؤال عن الحكم فلا نسأل بها عن الأفراد ولذلك يمتنع أن يقال: هل زيدٌ قام أم عمرو؟

"لأنه يؤدي إلى التناقض وذلك؛ لأن هل تفيد أن السائل جاهل بالحكم، و(أم) تفيد أنه عالم بالحكم، وإنما يطلب تعيين أحد الأمرين، فيجتمع في الجملة الواحدة علمك بالحكم وجهلك به" (٦).

"وقبح أيضاً قولهم: (هل زيداً ضربتَ؟) لما سبق أن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل، والشك فيما قُدِّم عليه، ولم يقبح: (هل زيداً ضربتَه؟) لجواز تقدير المحذوف المفسر مقدماً" (٧).

٣- ما يفيد التصور: أدواته متعددة وتستعمل في طلب التصور فحسب وهي (ما - من - أي - أيان - كيف - متي - أين - أنى - كم) لكل أداة منهن حال خاصة تستعمل بها.

(١) شرح التلخيص: محمد هاشم دويدري، ط٢ (بيروت، دار الجيل، ١٩٨٢م)، (ص ٨٣).

(٢) ومنهم أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، انظر كتابه الصاحب في فقه اللغة (باب الاستخبار).

(٣) من بلاغة القرآن، (٤١).

(٤) المرجع السابق، (٤١).

(٥) انظر: شرح التلخيص، محمد هاشم دويدري، (٨٣).

(٦) من بلاغة القرآن، (٤٢).

(٧) الإيضاح، (٢٢٩).

وأود أن أشير إلى أن السمعاني فرق بين (أين) أداة السؤال عن المكان ، و(أنى) أداة السؤال عن الحال وبين أن أبا عبيدة خلط بينهما في قول الله عز وجل : ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

فقال السمعاني : "قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا" قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَعْنَاهُ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟، وَأَنْكَرْتَ النَّحَاةَ هَذَا، وَقَالُوا: هَذَا تَسَاهَلُ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ، ف " أَنَّى " لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجِهَةِ، وَ " أَيْنَ " لِلسُّؤَالِ عَنِ الْمَكَانِ " (٢).

والمتمأمل في هذا الكلام يلاحظ الفرق بين السؤالين ، فزكريا -عليه السلام- يسأل عن الطريقة التي حصلت بها مريم -عليها السلام - على غير المتوقع أو غير الموجود لا عن مصدره ومكانه، وما يدل على ذلك قول السمعاني في سياق تفسير الآيات : "وَذَلِكَ أَنَّ زَكَرِيَّا لَمَّا رَأَى مَرْيَمَ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا فِي غَيْرِ حِينِهِ نَحْوَ فَكِهَةِ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ ، طَمَعُ أَنْ يَرْزُقَ الْوَلَدَ فِي غَيْرِ حِينِهِ - عَلَى الْكَبَرِ - فَدَعَا اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ مِائَةَ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَبَلَغَتْ امْرَأَتُهُ ثَمَانَ وَتِسْعِينَ سَنَةً"^(٣).

وكما هو حال أنواع الإنشاء الطلبي، الاستفهام يخرج لأغراض بلاغية إن خرج عن معناه الحقيقي وذلك يكون عند علم المستفهم بالشيء، وهو ما يمكن ملاحظته من السياق، والوقوف على حال المخاطب والمتكلم، والله سبحانه -جل وعلا- هو العليم الخبير ولا تخفى عليه خافية ولذلك فإن كل استفهام في القرآن الكريم صادر عن رب العزة، فهو لا محال استفهام مجازي وغير حقيقي، أما إن كان استفهام على لسان غير الله سبحانه وتعالى فإنه ينظر فيه.

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام:

١- التقرير:

- وبينه السمعاني في أكثر من موضع ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٤).

(١) آل عمران / ٣٧.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٣٣).

(٣) المرجع السابق، (ج ١/ ٢٣٣).

(٤) البقرة / ١٠٦.

"قوله: {ألم تعلم؟} وَإِنْ كَانَ عَلَى صِيغَةِ الْإِسْتِفْهَامِ، لَكِنَّ الْمُرَادَ بِهِ النَّقْرِيرَ. وَمَعْنَاهُ: أَتَكَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (١).

فمن معاني التقرير التثبيت، إذ أن الهمزة أقوى ما تفيده الإنكار، والإنكار يتضمن معنى النفي، ودخلت على نفي وهو (لم)، فصار نفي النفي إثبات وهو التقرير الذي يتضمن حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف .

– وقوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۗ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٢).

"قوله: {أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ} " أم " ترد في اللُّغَةِ عَلَى وُجُوهِ، فَتَكُونُ بِمَعْنَى النَّقْرِيرِ وَهُوَ الْمُرَادُ هَاهُنَا، وَمَعْنَاهُ: أَنْتُمْ تُرِيدُونَ، وَقَدْ تَرَدَّ بِمَعْنَى التَّشْكِيكِ، يُقَالُ: رَأَيْتَ زَيْدًا أَمْ عَمْرًا؟ وَقَدْ تَرَدَّ " أم " بِمَعْنَى بَلْ، قَالَ الشَّاعِرُ:

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْنِقِ الضُّحَى وَصَوْرَتِهَا أَمْ أَنْتَ فِي الْعَيْنِ أَمْ لِحْ

أي: بل أنت في العين أَمْ لِحْ. (٣)

ولكن الشوكاني بين أن (أم) هنا منقطعة وتحمل معنى (بل) وغرضها التوبيخ والنقير فقال: " أَمْ هَذِهِ هِيَ الْمُنْقَطِعَةُ الَّتِي بِمَعْنَى بَلْ، أَيْ، بَلْ تُرِيدُونَ، وَفِي هَذَا تَوْبِيحٌ وَتَفْرِيعٌ " (٤). ولعل رأي الشوكاني هو الأرجح؛ لأن سياق الآيات يبين أن الخطاب موجه للصحابة ﷺ ولا يليق بمكانتهم أنهم يريدون فعلاً أن يكثروا على الرسول ﷺ بكثرة السؤال والإجفاف بمكانته ﷺ فيكون من باب التقريع والتوبيخ، أما إن كان الكلام موجهاً للمنافقين فقد يكون من باب التقيرير ؛ لأنهم لا يبتغون غير الفساد والله أعلم .

– وكذلك قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۗ قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيُظْمِنَ قَلْبِي ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۗ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٨٥).

(٢) البقرة / ١٠٨ .

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٨٦).

(٤) فتح القدير، (ج ١ / ١٤٩).

(٥) البقرة / ٢٦٠ .

- "قوله تعالى: {قَالَ أَوْ لِمَ تُؤْمِنُ؟} يَعْنِي: قَدْ آمَنْتَ فَلِمَ تَسْأَلُ؟ وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ (١):

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا؟

يَعْنِي: أَنْتُمْ كَذَلِكَ" (٢).

- ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُفْرَانِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ بِحُكْمِ بَيْنِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَن يُجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (٣).

"{قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ} يَعْنِي: كُنَّا مَعَكُمْ، فَاجْعَلُوا لَنَا نَصِيبًا مِّنَ الْغَنِيمَةِ" (٤).

ومن الملاحظ من تفسير السمعاني أن الغرض من الاستفهام هو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بحقيقة كونهم معهم ولذلك كان غرضه التقرير والله أعلم.

- ومنه قول الله عز وجل: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (٥).

قوله - تعالى - {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَأَمَنْتُمْ}، "هَذَا اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى التَّفْهِيمِ، وَمَعْنَاهُ: لَا يَعْذِبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ الشَّاكِرَ" (٦).

- ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٧).

(١) هذا صدر البيت وعجزه (وأندى العالمين بطون راح)، وهو لابن نباتة السعدي، على بحر الوافر.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١ / ١٩٤).

(٣) النساء / ١٤١.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣٩٠).

(٥) النساء / ١٤٧.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣٩٢).

(٧) الرعد / ١٦.

وَقَوْلُهُ: {قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} ، "مَعْنَاهُ: أَنْكُمْ مَعَ إِقْرَارِكُمْ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُكُمْ وَخَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ يَعْنِي: الْأَصْنَامَ" (١).

- وَقَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ} ، "مَعْنَاهُ: قَدْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ، قَالَهُ الْفَرَاءُ" (٣).

٢- النفى:

وهو على خلاف التقرير، وهو: حمل المخاطب على النفي بصورة من صور الاستفهام، وأورد السمعاني شواهد من القرآن الكريم لاستفهام خرج لغرض النفي.

- وَمِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٤).

"بِمَعْنَى: أَكُنْتُمْ شُهَدَاءَ وَالْمُرَادُ بِهِ مَا كُنْتُمْ شُهَدَاءَ" (٥).

- وَمِنْهُ أَيْضًا قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِتَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦).

وَقَوْلُهُ: {قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا}، "وَفِي الْقِصَّةِ: أَنَّ عَزِيرًا مَرَّ بِهَا وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ وَمَعَهُ النَّيْنُ وَالْعَصِيرُ فَقَالَ: أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟ !

(١) تفسير السمعاني، (ج ٢/٣٥٣)

(٢) الإنسان / ١.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٤/٤٢٥).

(٤) البقرة / ١٣٣.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١ / ١٠٠).

(٦) البقرة / ٢٥٩.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ قَالَ: أَنَى يَحْيَى هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَهَذَا يَكُونُ سَبَبَهُ الشُّكُّ فِي قُدْرَتِهِ؟
قِيلَ: لَمْ يَكُنْ شَاكَا فِيهِ؛ وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ اسْتِبْعَادًا عَلَى مَا يُقَالُ فِي الْعَادَةِ، أَي: لَا يَحْيَى هَذِهِ اللَّهُ
بَعْدَ خَرَابِهَا. قَالَ عَطَاءٌ: دَخَلَ فِي قَلْبِهِ مَا يَدْخُلُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ^(١).

ويتضح من كلام السمعاني أن الاستبعاد كان من جهته هو لا من جهة الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى - فالفاعل لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء إنما العقل البشري المنتصف بالقصور هو الذي يعتريه الشك والاستغراب وهو ما بينه عديد من العلماء، ودل عليه سياق الجملة أيضاً من تقديم المفعول به (هذه) على الفاعل (الله) في قوله تعالى: (أنى يحيى هذه الله) وقد بينا في مطلع حديثنا أن المشكوك به هو المقدم^(٢).

- ومن الاستفهام الذي خرج لغرض النفي أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٣).
"أي: لَا يَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ"^(٤).

- ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥).
قوله تعالى: {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}،
"يَعْنِي: لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ^(٦):

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا تَشْتَمَلِ السَّامُ غَارَةَ شَعْوَاءِ^(٧)؟

أي: لَا نَوْمَ لِي عَلَى الْفِرَاشِ"^(٨).

- ومثله أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ

(١) السمعاني، (ج ١ / ١٩٣).

(٢) للاستزادة انظر فتح القدير للشوكاني (ج ١ / ٣٢٠)، وتفسير أبي السعود (ج ١ / ٢٥٣).

(٣) آل عمران / ٨٠.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٢٥٢).

(٥) آل عمران / ٨٦.

(٦) وبعضهم يسمه عبيد، شاعر إسلامي مشهور من المدينة وله شعر في الغزل (ت ٩٨هـ). للاستزادة انظر تاريخ

الإسلام للذهبي، تحقيق: عمر تدمري، ط ٣ (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٨م) (ج ٦ / ٤٠٤).

(٧) البيت على البحر الخفيف.

(٨) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٢٥٣).

اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾

"قوله تعالى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ} قَالَ الْفَرَاءُ: كَلِمَةٌ " كَيْفَ " هَاهُنَا كَلِمَةٌ اسْتَفْهَامٌ بِمَعْنَى الْجَدِّ، وَمَعْنَاهُ: لَا يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ، يَعْنِي: وَلَا عِنْدَ رَسُولِهِ" (١).

وجاء في معاني القرآن للفراء: " وقوله: كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى التَّعَجُّبِ كَمَا نَقُولُ: كَيْفَ يُسْتَبْقَى مِثْلُكَ أَي لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَبْقَى، وَهُوَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةٌ) فَجَازَ دَخُولَ (لَا) مَعَ الْوَائِ لِأَنَّ مَعْنَى أَوَّلِ الْكَلِمَةِ جَدٌّ، وَإِذَا اسْتَفْهَمْتَ بِشَيْءٍ مِنْ حُرُوفِ اسْتَفْهَامٍ فَلَاكَ أَنْ تَدْعَهُ اسْتَفْهَامًا، وَلَكِ أَنْ تَنْوِي بِهِ الْجَدَّ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُكَ: هَلْ أَنْتَ إِلَّا كَوَاحِدٍ مِثًا؟! وَمَعْنَاهُ: مَا أَنْتَ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْهَا " (٢).

– ومن الاستفهام الذي يحمل معنى النفي أيضاً قول الله عز وجل: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (٣).

"ومعنى الآية: أَنَّ الْفَرِيقَيْنِ لَا يَسْتَوِيَانِ، فَحَذَفَ هَذَا لِفَهْمِ الْمُخَاطَبِ، وَهَذَا كَالرَّجُلِ يَقُولُ: مَنْ فَعَلَ الْخِيَارَ سَعِدَ، وَمَنْ فَعَلَ السَّيِّئَاتِ شَقِيَ. ثُمَّ يَقُولُ: أَفَمَنْ سَعِدَ كَمَنْ [شَقِيَ]، يَعْنِي: لَا يَكُونُ، وَحَذَفَ لِفَهْمِ الْمُخَاطَبِ" (٤).

٣- الأمر:

– ومنه قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحُمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُضِدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٥).

{فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} "مَعْنَاهُ: انْتَهَوْا، قَالَ الْفَرَاءُ: سَمِعْتُ بَعْضَ الْأَعْرَابِ يَقُولُ لِغَيْرِهِ: هَلْ أَنْتَ سَاكِتٌ؟ (هَلْ أَنْتَ سَاكِتٌ)؟ يُرِيدُ بِهِ: اسْكُتْ (٦)، وَهَذَا كَلَامُ الْعَرَبِ الْعَارِيَةِ" (٧).

(١) التوبة / ٧.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ١١٩).

(٣) معاني القرآن للفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد النجاتي، ومحمد النجار، وعبد الفتاح الشلبي، ط ١ (مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت) (ج ١/ ٤٢٣).

(٤) محمد/ ١٤.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٧٢).

(٦) المائة / ٩١.

(٧) انظر معاني القرآن للفراء، (ج ٣/ ١٥٤).

(٨) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٤٥٨).

وهذا الأسلوب، هو أسلوب راقٍ يبتعد عن المباشرة في الخطاب، فهو يعرض بالأمر تعريضاً، وقد يكون ذلك من باب الستر واللين مع المخاطب، وفيه نوع من التأدب في إلقاء الأوامر، كما أن فيه تأديباً في الخطاب، والملاحظ من الآية أن الاستفهام الذي يحمل معنى الأمر جاء في سياق مخاطبة المؤمنين، ولو كان الخطاب للمشركين لكان أشد غلظة . والله أعلم .

– وكذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ۗ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۗ ﴾ (١).

{أسلمتم؟}، "يعني: أسلموا، وقيل: ذكره على التهديد؛ كما يقال: أقبلت هذا مني؟ على وجه التهديد" (٢).

ومن الملاحظ أن السمعاني بين أن معنى الاستفهام هو الأمر وممن يوافقه في ذلك الفراء (ت٢٠٧هـ) حيث قال: "وقوله وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ وهو استفهام ومعناه أمر، ومثله قول الله «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ؟» (٣).

وقال ابن عاشور: " أَسْلَمْتُمْ، أَي فَكَّرَزْ دَعَوَتَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ. وَالْإِسْنِفَهَامُ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْإِسْنِبْطَاءِ وَالتَّحْضِيضِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ؟

وَجِيءَ بِصِيغَةِ الْمَاضِي فِي قَوْلِهِ: أَسْلَمْتُمْ دُونَ أَنْ يَقُولَ أَسْلِمُونَ عَلَى خِلَافِ مُفْتَضَى الظَّاهِرِ، لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ يَرْجُو تَحَقُّقَ إِسْلَامِهِمْ، حَتَّى يَكُونَ كَالْحَاصِلِ فِي الْمَاضِي" (٤).

وعلى الرأي الآخر الذي أورده السمعاني وهو معنى التهديد وممن يوافق هذا الرأي النحاس بقوله: "وقوله عز وجل أسلمتم قيل معناه أسلموا وحقيقته أنه على التهديد" (٥).

وبين أبو السعود أن غرض الأمر تقريع وتوبيخ فقال: "{أسلمتم} متبعين لي كما فعل المؤمنون فإنه قد أتاكم من البيئات ما يوجب ويقتضيه لا محالة فهل أسلمتم وعلمتم بقضيتها أو أنتم على كفركم بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسألة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان

(١) آل عمران / ٢٠.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٢٢٤).

(٣) معاني القرآن للفراء، (ج ١ / ٢٠٢).

(٤) التحرير والتنوير، (ج ٣ / ٢٠٢).

(٥) معاني القرآن للنحاس: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١ (مكة

المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ)، (ج ١ / ٣٧٤).

مسلكا إلا سلكه فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى {فهل أنتم منتهون} إثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه من استنصارهم وتعبيرهم بالمعاندة وقلة الإنصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة مالا يخفى " (١).

- ومن الاستفهام الذي خرج للأمر أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٢).

"[قَالَ أَقْرَرْتُمْ؟]، أي: أقرروا" (٣).

- ومثله أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٤).

"قوله تعالى: {ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده} هذا ظاهر، وقوله: {ويأخذ الصدقات} معناه: يقبل الصدقات. وقال بعض أهل المعاني قوله: {ألم يعلموا؟} هو بمعنى الأمر؛ كأنه قال: اعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده" (٥).

ومن الملاحظ من كلام السمعاني أنه أورد غرض الأمر على أنه رأي ثانٍ ولم يفصح عن الرأي الأول، واكتفى بقوله (هذا ظاهر)، أعتقد أنه يقصد غرض التقرير؛ لأن ظاهر الآية هو أن الله يعدد نعمه وكرمه على الإنسان وهو يقبل التوبة لا محالة، كما أن العديد من العلماء بين غرض الآية أنه التقرير مثل ابن عطية حيث قال: "وقوله تعالى ألم يعلموا تقرير" (٦).

٤ - النهي:

حيث يحمل معنى الاستفهام النهي عن الفعل على نقيض الغرض السابق وهو الأمر.

- ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٧).

(١) تفسير أبي السعود، (ج ٢/ ١٩).

(٢) آل عمران / ٨١.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٥٢).

(٤) التوبة / ١٠٤.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ١٧٠).

(٦) تفسير ابن عطية، (ج ٣/ ٧٩).

(٧) البقرة / ١٧٠.

"مَعْنَاهُ: كَيْفَ يَتَّبِعُونَ آبَاءَهُمْ، وَأَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ؟ ! وَفِي هَذَا نَهَى عَنِ تَقْلِيدِ الْأَبَاءِ فِي الدِّينِ"^(١).

٥- التعجب :

- ومن أمثله قول الله تبارك وتعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(٢).

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ} قَالَه تَعَجُّبًا، تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ بَعْدَ نَصْبِ الدَّلَائِلِ وَوَضُوحِ الْبُرَاهِينِ؟! "^(٣).

- وكذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٤).

"فَإِنْ قِيلَ: {أَتَجْعَلُ فِيهَا}. يَشْبَهُ الْإِعْتِرَاضَ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُمْ نَحْنُ {نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ} يَشْبَهُ النِّفَاحَ بِالْعَمَلِ؛ وَكِلَاهُمَا لَا يَجُوزُ عَلَى الْمَلَأِكَةِ. فَمَا مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ؟

قُلْنَا: أَمَا قَوْلُهُمْ: {أَتَجْعَلُ فِيهَا} مَعْنَاهُ: أَنْتَ جَاعِلٌ فِيهَا عَلَى سَبِيلِ التَّقْدِيرِ^(٥)، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحِ

يَعْنِي أَنَّهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ.

وَقَالُوا: إِنَّمَا قَالُوهُ عَلَى سَبِيلِ التَّعَجُّبِ طَلِبًا لَوْجِ الْحِكْمَةِ فِيهِ"^(٦).

- ومثله أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٧).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١ / ١٢١).

(٢) البقرة / ٢٨.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٤٠).

(٤) البقرة / ٣٠.

(٥) يقصد أن غرض الاستفهام في قوله تعالى: (أتجعل فيها) هو التقرير، واستشهد ببيت الشعر كما مر في غرض التقرير.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٤١).

(٧) المائدة / ٤٣.

قَوْلُهُ - تَعَالَى - : {وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ} "هَذَا تَعْجِيبٌ لِلرَّسُولِ، يَعْني: كَيْفَ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْكَ، وَفِي زَعْمِهِمْ أَنَّ عِنْدَهُمُ التَّوْرَةَ وَهِيَ الْحَقُّ، وَأَنْتَ كَاذِبٌ؟! (١)".

- وَكَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خِشْبٌ مُسْتَدَّةٌ يُحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْيُّ يُؤْفَكُونَ﴾ (٢).

"قَوْلُهُ: {أَنْيُّ يُؤْفَكُونَ} أَي: كَيْفَ يَصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ مَعَ ظُهُورِهِ؟ وَهُوَ يَتَضَمَّنُ تَقْيِيحَ فَعْلِهِمْ وَتَعْجِيبَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْهُمْ" (٣).

- وَمِنْهُ أَيْضاً قَوْلُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤).

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ}، قَالَتْ ذَلِكَ تَعْجِيباً، إِذْ لَمْ تَكُنْ جَرَّتِ الْعَادَةُ بِأَنْ يُوَلِّدَ وَلَدًا بِلَا أَبٍ" (٥).

٦- السخرية والاستهزاء :

- كَقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٦).

"هَذَا فِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ اسْتِهْزَاءً" (٧).

- وَأَيْضاً قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى لِسَانِ الْكُفَّارِ: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (٨).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٤٣٧).

(٢) المنافقون/٤.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٤/٣٠٣).

(٤) آل عمران /٤٧.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٣٨).

(٦) التوبة /١٢٤.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ٢/١٨٣).

(٨) محمد /١٦.

"وَقَوْلُهُ: {مَاذَا قَالَ أَنِفَا} أَي: مَاذَا قَالَ الْآنَ صَاحِبِكُمْ؟ وَأَنِفَا: قَرِيبَا، وَكَأَنَّهُمَا يَقُولُونَ هَذَا عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِهْزَاءِ يَعْنِي: إِنَّا شَغَلْنَا عَنْ سَمَاعِ كَلَامِهِ، فَمَاذَا قَالَ؟"^(١).

٧- الحث والترغيب:

- ومنه قول الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾^(٢).

"قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي الْآيَةِ حَثٌ لَطَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الرِّقَّةِ عِنْدَ الذِّكْرِ. وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى تَرْكِ الْخُشُوعِ وَالرِّقَّةِ إِلَّا أَرْبَعٌ سِنِينَ. وَعَنْ مِقَاتِلٍ: أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ أَخَذُوا فِي نُوْحٍ مِنَ الْمَرْحِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ وَعَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ أَصَابَتْهُمْ مَلَّةٌ فَقَالُوا: حَدَّثَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}، ثُمَّ أَصَابَتْهُمْ مَلَّةٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} ثُمَّ أَصَابَتْهُمْ مَلَّةٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ}.

وَقَالَ مِقَاتِلُ بْنُ حَيَّانٍ^(٣): إِنْ قَوْلُهُ: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا} هُوَ فِي مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ، حَثُّهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِالرَّسُولِ، وَعَنْ بَعْضِهِمْ: هُوَ فِي الْمُتَأَفِّفِينَ؛ آمَنُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِقُلُوبِهِمْ {وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} أَيِ الْقُرْآنِ^(٤).

ومن الملاحظ أن في الآية حث وترغيب للصحابة واستلهاباً لمشاعرهم الإيمانية على رأي ابن عباس ؓ أما على رأي ابن مسعود ؓ فالاستفهام يميل لغرض المعاتبة للمؤمنين لكثرة سؤالهم النبي ﷺ ليحدثهم .

٨- التسوية:

- ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٥). "أَي: خَوْفَتُهُمْ أَمْ لَمْ تَخَوْفَهُمْ. وَالْإِنذَارُ: تَخْوِيفٌ مَعَ الْإِعْلَامِ، وَقِيلَ: هُوَ أَشَدُّ

(١) تفسير السمعاني، (ج ٤ / ٧٤).

(٢) الحديد / ١٦.

(٣) مولى لبكر بن وائل بن ربيعة، ويقال مولى بني تميم الله، كان يسكن ببلخ، يكنى أبا بسطام الخزاز، وهو صدوق فاضل، مات قبيل الخمسين ومائة بأرض الهند، خرَّج له الجماعة إلا البخاري، وله «تفسير». للاستزادة انظر: طبقات المفسرين للدواودي، تحقيق: على عمر، ط ٢ (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٤م) (ج ٢ / ٣٢٩).

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٤ / ٢٤١).

(٥) البقرة / ٦.

التخويف. يَعْنِي: سِوَاءِ خَوْفَتِهِمْ أَمْ لَمْ تَخَوْفَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَرَدَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قَوْمٍ بِأَعْيَانِهِمْ عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ^(١).

ومن الملاحظ أن معنى الاستفهام هو جملة خبرية تفيد بأنهم على كل الأحوال لا يؤمنون، ولعل هذا السبب الذي دعا أبا عبيدة بتسمية هذا الاستفهام باستفهام الإخبار^(٢).

٩- الاستبطاء:

- كقول الله عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٣).

{حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ} " حَتَّى اسْتَبْطَنُوا نَصْرَ اللَّهِ"^(٤).

١٠- التواضع:

- ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أُنِّى يَكُونُ لِىْ غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِى الْكِبَرُ وَءَامْرَأَتى عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(٥).

" فَإِنْ قِيلَ: أَكَانَ شَاكَا فِي وَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى حِينَ قَالَ: {رَبِّ أُنِّى يَكُونُ لِىْ غُلَامٌ؟}، قِيلَ: إِنَّمَا قَالَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّوَاضُّعِ، يَعْنِي: مِثْلِي عَلَى هَذَا الْكِبَرِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْعَجُوزِ يَكُونُ لَهُ الْوَلَدُ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: كَيْفَ يَكُونُ لِىْ هَذَا الْغُلَامُ؟ أَتُرَدِّنِي لِحَالَةِ الشَّبَابِ، أَمْ يَكُونُ الْغُلَامُ عَلَى حَالِ الْكِبَرِ؟ {قَالَ كَذَلِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}"^(٦).

فهو لا يشك في وعد الله وقدرته، بل يتواضع ويصغر أمام قدرته ووافر عطائه ويستكثر على نفسه منة الله وفضله.

١١- التوبيخ:

- ذكر السمعاني شواهد للاستفهام تحمل معنى التوبيخ ومنها قول الله عز وجل: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٧-٢٨).

(٢) للاستزادة راجع مجاز القرآن لأبي عبيدة، تحقيق: محمد سزكين، د.ط (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨١هـ)، (ج ٢/ ١٥٨).

(٣) البقرة / ٢١٤.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٥٥).

(٥) آل عمران / ٤٠.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٣٥).

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ مَا أَنْتُمْ أَعْلَمُ
أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

"قوله تعالى {أَمْ تَقُولُونَ} يَعْنِي: أَنْتَقُولُونَ؟ وَالصِّيغَةُ صِيغَةُ الْإِسْتِفْهَامِ، وَمَعْنَاهُ التَّوْبِيخُ يَعْنِي
أَنْتَقُولُونَ: إِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى؟" (٢).

- ومثله أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّعْتُمْ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ
كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا
فَأُولَئِكَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٣﴾.

"{فِيمَ كُنْتُمْ؟}، يَعْنِي: فِي أَيِ الْفَرِيقَيْنِ كُنْتُمْ، فِي الْمُسْلِمِينَ أَمْ الْمُشْرِكِينَ؟ وَهَذَا سُؤَالُ تَوْبِيخٍ، لَا
سُؤَالُ اسْتِعْلَامٍ" (٤).

- وأيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ
اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ
إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ ﴿٥﴾.

{أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟}، "قيل: هَذَا سُؤَالُ تَوْبِيخٍ وَالْمُرَادُ بِهِ:
قَوْمَهُ، وَكَانَتْ الْحِكْمَةُ فِي سُؤَالِهِ عَنْهُ؛ حَتَّى يَسْمَعَ قَوْمَهُ إِنْكَارَهُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَدْعُونَ أَنْ عِيسَى
أَمْرَهُمْ بِاتِّخَاذِهِ إِلَهًا" (٦).

- وكذلك قول الله عز وجل: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أُرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٧﴾.

(١) البقرة/١٤٠.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٠٤).

(٣) النساء/ ٩٧.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٣٦٩).

(٥) المائدة/ ١١٦.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٤٧٥).

(٧) النور/ ٥٠.

"وقوله: {أفي قلوبهم مرض} استفهام بمعنى التوبيخ والذم، ومعناه: علة تمنع من قبول الحق" (١).

- وكذلك قول الله عز وجل: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٢).

قوله تعالى: {ليسأل الصادقين عن صدقهم} أي: ليسأل النبيين عن تبليغهم الرسالة، فإن قال قائل: وأي حكمة في سؤالهم عن تبليغ الرسالة؟

والجواب عنه: الحكمة في ذلك تكبت الذين أرسلوا إليهم، وعلى هذا المعنى قوله تعالى: {وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟} (٣).

١٢- الإنكار:

"ويكون المعنى فيه النفي، وما بعده منفي، ولذلك يعطف عليه النفي" (٤).

- وأورد السمعاني شاهداً عليه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا كُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٥).

قوله تعالى: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تنفقوا في سبيل الله}، "معناه: أي: فائدة لكم إذا تركتم الإنفاق في سبيل الله، وأموالكم تصير إلى غيركم؟ والمعنى: هو الإنكار، كأنه قال: ولم لا تنفقون أموالكم لتصلوا بها إلى ثواب الله، وهي لا تبقى لكم إذا لم تنفقوا؟" (٦).

- ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ (٧).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٣/ ١٠٣-١٠٤).

(٢) الأحزاب / ٨.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٣/ ٣٢٧).

(٤) معجم المصطلحات البلاغية، (١١١).

(٥) الحديد / ١٠.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٢٣٧).

(٧) النساء / ٥٣.

قوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا}، فالنقير: اسم تلك النقطة على ظهر النواة، ومنها تنبت النخلة، وفي الآية قولان: أحدهما: أنه استفهام بمعنى الإنكار والنفي، يعني: ليس لهم نصيب من الملك؛ إذ لو كان الملك لهم، فإذا لا يؤتون الناس نقيرا، وقد ذكرنا نزع الملك من اليهود، والقول الثاني: إنه بمعنى الإثبات، يعني لهم نصيب من الملك، وأراد بالملك المال، ثم هم إذا لا يؤتون الناس نقيرا، وصفهم بشدة البخل، وهذا على طريق ضرب المثل؛ إذ من اليهود من يؤتي المال^(١).

وفي هذه الآية مفارقات عجيبة في المعاني التي تحملها، فهي تحتل معنيين نقيضين وهما الإثبات والإنكار وكلاهما يصح به معنى الآية فسبحان من علمنا البيان، ووصح بواسع علمه اللسان.

رابعاً - التمني :

لغة: تشهي حصول الأمر المرغوب فيه^(٢).

اصطلاحاً: "طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله إما لكونه مستحيلاً، وإما لكونه ممكناً غير مطموح في نيته"^(٣).

وأداته المعروفة هي (ليت) وقد تستخدم حروف أخرى مثل (هل) و (لو) و (لعل). وقد أورد السمعاني شواهد للتمني بـ (لو).

- ومنها قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٤).

قوله تعالى: {ود كثير من أهل الكتاب}، يعني: أحب وتمنى كثير من أهل الكتاب {لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً}^(٥).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٤٠).

(٢) اللسان، (مني).

(٣) انظر معجم المصطلحات البلاغية، (٤١٨).

(٤) البقرة/١٠٩.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/٨٦).

– وكذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَعَاقِبُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (١).

{وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب} "أي: هلا أخرتنا إلى أجل قريب؛ فنموت بأجالنا، قيل: هذا قول المنافقين، وقيل: كان ذلك قول بعض أصحاب رسول الله: قالوا ذلك خوفاً وجبنا لا اعتقاداً" (٢).

وفرق العلماء بين التمني والترجي فقال الزركشي (٣): "والفرق بينه (يقصد الترجي) وبين التمني أن الترجي لا يكون إلا في الممكنات والتمني يدخل المستحيلات" (٤).

ولكن هذا الوصف خال من الدقة على وصف العلماء المحدثين فالتمني يكون في المستحيل وغير المستحيل، ولكن الفرق بين الترجي والتمني يكمن في كون التمني يحمل معنى الطلب، أما الترجي هو ترقب حصول الشيء ولذلك هو من الإنشاء غير الطلبي (٥).

(١) النساء / ٧٧.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣٥١).

(٣) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين (ت ٧٩٤هـ)، عالم بفقهاء الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاء. له تصانيف كثيرة في عدة فنون. انظر الأعلام للزركلي (ج ٦ / ص ٦٠).

(٤) البرهان في علوم القرآن، (ج ٢ / ٣٢٣).

(٥) انظر: من بلاغة القرآن، ص ٥٩.

المبحث الثالث

التعريف والتكبير

"المعرفة ما دل على شيء بعينه، والنكرة ما دل على شيء لا بعينه" (١).

ووسائل التعريف مختلفة منها:

١- الإشارة:

حيث يكون التعريف باستخدام اسم الإشارة للقریب أو البعيد ويكون ذلك لأغراض متعددة منها التعظيم.

- وقد ذكر السمعاني شاهداً لذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

"أما قوله: {ذَلِكَ الْكِتَابُ} أي هَذَا الْكِتَابُ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

أَقُولُ لَهُ وَالرَّمْحُ يَأْطُرُ مِثْلَهُ تَأْمَلْ خِفَافًا إِنِّي أَنَا ذَلِكَ (٣)

أي إنني أنا هَذَا.

وقيل: هَذَا مُضْمَرٌ فِيهِ، وَمَعْنَاهُ: هَذَا ذَلِكَ الْكِتَابُ الَّذِي وَعَدْتِكَ يَا مُحَمَّدٌ أَنْ أَنْزَلُهُ عَلَيْكَ عَلَى لِسَانِ الَّذِينَ قَبْلَكَ، وَ " هَذَا " لِلتَّقْرِيبِ وَ " ذَلِكَ " لِلتَّبْعِيدِ (٤).

فنلاحظ من الشاهد السابق أن الله أشار للقرآن الكريم باسم الإشارة للبعيد (ذلك) مع أن القرآن الكريم في متناول اليد وهو قريب منا ليدل على بعد القرآن عن الريب أو الزلل وهو في ذات المقام يرفع من قدره ويعظمه كما هو الغرض من بيت الشعر الذي ذكره المؤلف.

٢- الإضمار:

- ويكون ذلك في مقام المتكلم أو المخاطب أو الغائب ويكون لأغراض مختلفة أيضاً ومنها التقرير كقول الله ﷻ: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٥٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥).

(١) معجم المصطلحات البلاغية، (٣٨٢).

(٢) البقرة/٢.

(٣) البيت على البحر الطويل وهو لخفاف بن ندبة السلمي.

(٤) تفسير السمعاني، (ج/٢٤/١).

(٥) البقرة/١٤٧.

"قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ مَوْلِيهَا وَجِهَةٌ، يَعْنِي: الْقِبْلَةَ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ، عَنِ الْأَخْفَشِ مَعْنَاهُ: اللَّهُ مَوْلِيهَا.

فَقَوْلُهُ: " هُوَ " كِنَايَةٌ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى يَعْنِي: اللَّهُ مَوْلِي الْأُمَّمِ إِلَى قِبَلَتِهِمْ"^(١).

فكان التعريف بالضمير للغائب في لفظ (هو) والذي يعود على الله تبارك وتعالى المذكور في الآية السابقة لزيادة التقرير.

٣- الموصولية:

- فيتم تعريف المسند إليه باستخدام الاسم الموصول كقول الله عز وجل في وصف المتقين :

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾^(٢).

" فَهَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ " ^(٣).

- وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾^(٤).

" وَهَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقُرْآنِ وَسَائِرِ الْكُتُبِ قَبْلَهُ " ^(٥).

فالله سبحانه وتعالى عرّف عن فئات من المتقين فهم من مشركي العرب الذين دخلوا في الإسلام وآمنوا حق الإيمان، وهم أيضاً من أهل الكتاب الذين صدّقوا دعوة الرسول ﷺ وآمنوا بالقرآن الكريم وما سبقه من كتب سماوية.

- ويخرج لأغراض بلاغية أيضاً ومنها التخصيص مثل قول الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ

النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ

ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٦).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١١٠).

(٢) البقرة/ ٣

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٦).

(٤) البقرة / ٤.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٦).

(٦) البقرة / ٢٣٢.

"إِنَّمَا خَصَّهُمْ لِأَنَّ الْوَعْظَ إِنَّمَا يُؤْثِرُ فِي الْمُؤْمِنِينَ"^(١).

٤- التعريف بالألف واللام:

- وقد أورد السمعاني شواهد لهذا التعريف ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ أَلْكَتَبُ لَا

رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

"فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لم خص المتقين بالذكر وهو هدى لجميع المؤمنين؟ قيل: إِنَّمَا خَصَّهُم بِالذِّكْرِ تَشْرِيفًا"^(٣). فالله سبحانه وتعالى خص المتقين بالذكر وكان اللفظ معرفة بالألف واللام بغرض تشريفهم وتكريمهم.

ولعل التخصيص المذكور في الآية هو تخصيص الجنس فحدد الله عز وجل المتقين من بين المؤمنين ، مع ما تضيفه الألف واللام على جمال المعنى ، فهناك فرق بين هدى لمتقين ، وهدى للمتقين .

- وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ

عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾^(٤).

ذكر الله لفظ (الناس) معرف بالألف واللام ، وقد كانت مقصودة بغرض الذم ، حيث "نزلت الآية في الأحنس بن شريق حليف بني زهرة فإنه أتى النبي عليه السلام وقال: " إني أحبك ، وأريد أن أؤمن بك ، والله يعلم ما في قلبي ، وكان يبطن بغضه ، وكان عليه السلام يعجبه قوله ويسر به ؛ فنزلت الآية: {ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا} " يعنني في العلانية"^(٥).

- وفي ذات السياق استخدم الله لفظ (الناس) أيضاً ، ولكن في مقام المدح في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ

النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ أُبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٦).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/١٧٣).

(٢) البقرة / ٢.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٥).

(٤) البقرة / ٢٠٤.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/١٥٠).

(٦) البقرة / ٢٠٧.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ^(١): نَزَلَتْ الْآيَةُ فِي صُهِيبِ بْنِ سِنَانَ^(٢)، وَذَلِكَ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ فَتَبِعَهُ الْمُشْرِكُونَ وَلِحَقُّوهُ، فَنَثَرَ كِنَانَتَهُ وَقَالَ: إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي مِنْ أَرْمَاكُم، وَاللَّهِ لَا تَصَلُّونَ إِلَيَّ حَتَّى أُرْمِيَ جَمِيعَ مَا بَكَنَانَتِي ثُمَّ أَخَذَ سَيْفِي وَأَضْرَبَ حَتَّى أَعْجَزَ أَوْ تَرَجَعُوا عَنِّي وَمَالِكُمْ مَالِي ثَمَّةً، فَقَالُوا: أَيْنَ مَالِكُ؟ فَدَلَّهِمْ عَلَيْهِ، فَزَجَعُوا عَنْهُ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: "رِيحُ الْبَيْعِ يَا أَبَا يَحْيَى"^(٣).

(١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد (ت ٩٤هـ): سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاء. وكان أحفظ الناس لأحكام عمر ابن الخطاب وأقضيته، حتى سمي راوية عمر. الأعلام للزركلي، (ج ٣/ ١٠٢).

(٢) صهيب بن سنان بن مالك (ت ٣٨هـ)، من بني النمر بن قاسط: صحابي، من أرمى العرب سهمًا، وله بأس. وهو أحد السابقين إلى الإسلام. كان أبوه من أشرف الجاهليين. للاستزادة انظر الأعلام، (ج ٣/ ٢١٠).

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٠٧).

المبحث الرابع

التكرار

لغة: كرر الشيء أعاده مرة بعد أخرى، وكررت الشيء تكريراً وتكراراً^(١). التكرار لغة واصطلاحاً اصطلاحاً: "هو إعادة الشيء لفائدة"^(٢).

وبعض علماء البلاغة يسمونه (التكرير) ويصنفونه ضمن علم البديع^(٣)، إلا أن السمعاني يطلق عليه اسم التكرار تارة.

وذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَدَّعِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٤).

حيث تكرر قول الله ﷻ: (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا) في نفس السورة حيث قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٥).

ويقول السمعاني: "فإن قيل: أي معنى في هذا التكرار؟ قلنا: المهاجرون كانوا على طبقات، وكان بعضهم أهل الهجرة الأولى، وهم الذين هاجروا قبل الحديبية، وبعضهم أهل الهجرة الثانية، وهم الذين هاجروا بعد الحديبية قبل فتح مكة، وكان بعضهم ذا هجرتين، وهما الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة؛ فالمراد من الآية الأولى الهجرة الأولى، والمراد من الثانية الهجرة الثانية"^(٦).

فهو يسميه تكراراً ويبين الغرض من هذا التكرار فكل جملة يناط بها حكم جديد فالمهاجرون على طبقات، وقد كانت هناك أكثر من هجرة في عهد الصحابة ﷺ.

(١) انظر لسان العرب، (كرر).

(٢) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان: حسين بن محمد الطيبي (ت ٧٤٣ هـ)، تحقيق: عبد الستار زموط، ط١ (بيروت، دار الجيل، ١٩٩٦م)، (٤٧٦).

(٣) مثل الطيبي في كتابه التبيان في علم المعاني والبديع والبيان.

(٤) الأنفال / ٧٢.

(٥) الأنفال / ٧٤.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ١١٢).

ويطلق السمعاني لفظ التكرير تارة أخرى وذلك في تكرر قول الله تبارك وتعالى في سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

فيقول السمعاني: "فإن قال قائل: ما معنى تكرر قوله: ﴿فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في هذه السورة؟ وكان يُوقف على المعنى بالمرّة الواحدة؟

والجواب: أن القرآن نزل على لسان العزب على ما كانوا يعتادونه و يتعارفونه في كلامهم، ومن عادتهم أنهم إذا ذكروا النعم على إنسان، يكررون التثنية على الشكر أو ذكر التوبيخ عند عدم الشكر، والله تعالى عد النعم في هذه السورة، وذكر عند كل نعمة هذه الكلمة؛ لئلا ينسوا شكرها، ويعرفوا إحسان الله عليهم، ويجددوا الحمد عليها^(١).

فالله يكرر قوله بعد كل نعمة يذكرها لينبه المؤمن بالاستمرار على الشكر والحمد، وهو كذلك توبيخ لمن لا يشكر ويحمد الله على نعمه.

وصنف علماء البلاغة التكرار إلى قسمين :

١- أن يعاد اللفظ بعينه: حيث يكرر اللفظ ويحمل في ذلك غرضاً بلاغياً.

- ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

حيث كرر لفظ الهدى وذلك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

"فإن قيل: لم ذكر الهدى ثانياً وقد وصفهم بالهدى مرّة؟ قيل: كرّره لفائدة التأكيد أو يقال: الهدى الأول من القرآن، والهدى الثاني من الله، وفيه بيان أن الهداية من الله تعالى ومن كلامه كما هو مذهب أهل السنة"^(٤).

فكرر لفظ (الهدى) تأكيداً على أن الله هو الهادي وهدايته تأتي من كلامه ومن شرعه ﷻ.

- وأعاد الله في سورة البقرة هذه الآية الكريمة: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٥).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٢١٤).

(٢) البقرة / ٢.

(٣) البقرة / ٥.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٦).

(٥) البقرة / ٤٧، وآية ١٢٢.

وهو يخاطب في هذه الآية بني اسرائيل الذين أنعم الله عليهم بنعم كثيرة وفضلهم على كثير من خلقه، وجعل منهم الأنبياء والرسل، إلا أنهم رغم ذلك جحدوا بنعم الله، وعاثوا في الأرض فساداً، وقابلوا الإحسان بالإساءة، وكان الله سبحانه وتعالى بتكرار أمره لهم بالشكر يقيم الحجة عليهم في إنذارهم وتذكيرهم، وقد علق السمعاني على تكرار هذه الآية بقوله: "أَعَادَهُ تَأْكِيدًا لِمَا سَبَقَ"^(١).

– ويعلق الكرمانى^(٢) على هذا التكرار فيقول: "إِنَّمَا كَرَّرْتُ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا صَادَفَتْ مَعْصِيَةَ تَقْتَضِي تَنْبِيْهَا وَوَعظًا؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ وَقَعَتْ فِي غَيْرِ وَقْتِ الْأُخْرَى وَالْمَعْصِيَةَ الْأُولَى { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }"^(٣)، وَالثَّانِيَةَ^(٤) { وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ }"^(٥).

– وكرر الله سبحانه وتعالى قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٦).

"فَإِنْ قِيلَ: هَذَا تَكَرَّرَ؛ فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَهُ مَرَّةً.

قُلْنَا: أَمَا الْأَوَّلُ: كَانَ فِي الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ، وَهَذَا الثَّانِي: فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِي سَبَقَ ذِكْرُهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، أَوْ كَرَّرَهُ تَأْكِيدًا"^(٧).

فإما أن كل آية تقصد أمة مختلفة، فالأمة الأولى هم الأنبياء الذين سبقوا محمد صلى الله عليه وسلم والأمة الثانية هم اليهود والنصارى الذين تحدثت عنهم الآيات، أو أن غرض التكرار هو التأكيد حيث أراد التأكيد على أن لكل أمة ما لها وما عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى .

(١) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٩٤).

(٢) هو محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء (ت: ٥٠٥هـ)، عالم بالقراءات، نقل في (التفسير) آراء مستنكرة، في معرض التحذير منها، كان الأولى إهمالها، أتى عليه الجزري وذكر بعض كتبه، ومنها لباب التفاسير. للاستزادة انظر الأعلام للزركلي، (ج ٧ / ١٦٨).

(٣) البقرة / ٤٤.

(٤) أسرار التكرار في القرآن: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، د.ط. (د.ق. دار الفضيلة، د.ت)، (ص ٧٨).

(٥) البقرة / ١٢٠.

(٦) البقرة / ١٣٤، والآية ١٤١.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١ / ١٠٥).

وكرر أيضاً في قوله تعالى: ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾^(١).

حيث جاء في السورة نفسها قوله (عزوجل): ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٢).

فكرر قوله: (الحق من ربك)، "ذكره تأكيداً للأول"^(٣).

٢- والقسم الثاني من التكرار هو أن يعاد المعنى دون اللفظ :

وقد مثل له السمعاني بتكرار آيات الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين بأساليب وجمل مختلفة كقول

الله تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الأنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾^(٤).

"فإن قيل: ما الفائدة في تكرار الوعد والوعيد في القرآن؟ قيل: فائدته التوكيد قطعاً من سوء

التأويل، وقيل إنما كرر الوعد على تفاصيل الإيمان، وكرر الوعيد على تفاصيل الكفر"^(٥).

ومن الأغراض البلاغية التي يخرج إليها التكرار :

١- التأكيد والمبالغة:

- وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ

وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ

اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ

مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾^(٦).

"وقوله: {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا} أعاده ثانياً تأكيداً"^(٧).

(١) البقرة / ١٤٧.

(٢) البقرة / ١٤٩.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١١٠).

(٤) النساء / ١٢٢.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٣٨٠).

(٦) البقرة / ٢٥٣.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٨٧).

وذكر الألوسي في روح المعاني رأياً مخالفاً لما ذكره السمعاني بقوله: "فالتكرير ليس للتأكيد كما ظن، بل للتببيه على أن اختلافهم ذلك ليس موجباً لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك بقوله عز وجل: وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ حسبما يريد من غير أن يوجبه عليه موجب أو يمنع عنه مانع" (١).

ويعقب بقوله أن الغرض من تكرار هذه الجملة للعموم فمشيئة الله فوق كل فعل وحدث وليست مقصورة على حدث الاقتتال فقط (٢).

– ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٣).

قوله تعالى: {كذاب آل فرعون} إعادة الذكر للتأكيد، ويجوز أن هذا كان في قوم آخرين سوى الأولين (٤).

فبين السمعاني أن الغرض من التكرار هو التأكيد حيث أراد الله عز وجل أن يؤكد على سنته في تعامله مع الخلق، فكل من ظلم نفسه وكفر بالله سيكون مصيره كعادته مع التعامل مع آل فرعون حيث كان مصيرهم الهلاك، ويجوز أن يكون الغرض هو أن يناط حكم جديد فيقصد به قوماً غير الذين ذكرهم في السابق.

– وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٥).

(١) روح المعاني، (ج ٢/٥).

(٢) انظر روح المعاني، (ج ٢/٥).

(٣) الأنفال / ٥٢، ٥٣، ٥٤.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٢/١٠٣).

(٥) الممتحنة / ٤.

حيث كرر جملة (كان لكم فيهم أسوة حسنة) في نفس السورة في قول الله تبارك وتعالى:
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١).

قوله تعالى: {لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة} "كرر المعنى الأول على طريق التأكيد" (٢)،

وكذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣).

- حيث كرر هذا القول في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٤).

"فإن قيل: أيش معنى التكرار؟

وفي هذه الآية الجواب من وجهين: أحدهما: أنه للتأكيد.

والثاني: أن الآيتين نزلتا في طائفتين من المنافقين دون طائفة واحدة" (٥).

فإما أن يكون غرض التكرار هو التأكيد والتذكير بعدم الاغترار بأموال المنافقين وأولادهم في الحياة الدنيا، فهي إلى زوال لا محالة، والآخرة لهي الحيوان الدائم والنعيم المقيم، وإما أن كل آية تقصد طائفة دون الأخرى من طوائف المنافقين.

- وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَائِدِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَعَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٦).

(١) الممتحنة/٦.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٤/٢٨٠).

(٣) التوبة /٥٥.

(٤) التوبة /٨٥.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٢/١٦٠).

(٦) الحديد /٢٧.

وَقَوْلُهُ: {وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً} "الرأفة: أشد الرحمة، والمزاد بهؤلاء: هم الذين بقوا على دين الحق، ولم يُغيروا ولم يبدلوا بعد عيسى عليه السلام"^(١)، ففي قوله تعالى: "رأفة ورحمة" تكرار في المعنى دون اللفظ وغرضه المبالغة والتأكيد.

ولكن السؤال هو لماذا ذكر الرأفة وهي أشد الرحمة قبل ذكر كلمة الرحمة ولم يتدرج القول من الأخرى إلى الأشد بل بالعكس !

قد يكون ذلك له علاقة بما هو بعد ذلك في الآية الكريمة، حيث إن الذين اتبعوه ما رعو حق الرهبانية واتباع عيسى عليه وسلم حق اتباع، فنزلوا من منزلة الرأفة إلى منزلة الرحمة، وهذه هي الحال التي كان عليها النصارى قبل الإسلام من تبدل دينهم وأحوالهم من الأفضل إلى الأسوأ فمع مرور الزمن قل تمسكهم بشعائر دينهم وغيروا وبدلوا في كتبهم المقدسة. والله أعلم.

- وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾: أي: مُقَدِّرُ الْأَشْيَاءِ وَمَخْتَرِعُهَا، وَقَوْلُهُ: {البارئ} قيل: هو في معنى الخالق على طريق التأكيد، وقيل: إن معناه المحيي بعد الإماتة، قال الشاعر^(٣):

وَكُلُّ نَفْسٍ عَلَى سَلَامَتِهَا يُمِيتُهَا اللَّهُ ثُمَّ يُبْرِئُهَا

فنلاحظ من قول السمعاني الأول أن اسمي الله عز وجل (الخالق والبارئ) هما بنفس المعنى وكان التكرار للتأكيد والمبالغة.

وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٤).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٤/٢٤٧).

(٢) الحشر / ٢٤.

(٣) البيت من البحر المنسرح للشاعر إبراهيم بن هرمة والذي قيل إن الشعر المستشهد به ختم معه. انظر الموسوعة الشعرية الإلكترونية.

(٤) الممتحنة / ١.

- حيث كرر الله عز وجل في نفس السورة النهي عن موالاته الكفار حيث قال -تبارك و تعالیٰ-:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَيسُوْا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَيسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾^(١).

"فَقَوْلُهُ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } فِيهِ رُجُوعٌ إِلَى قِصَّةِ حَاطِبِ ابْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، وَتَأْكِيدَ النَّهْيِ عَنِ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ"^(٢).

- وكذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^(٣).

فَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: { إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ } "الرَّأْفَةُ: أَشَدُّ الرَّحْمَةِ"^(٤)، فَهُوَ تَكَرَّرَ فِي الْمَعْنَى لِلْمُبَالَغَةِ وَالتَّأْكِيدِ وَلَعَلَّ تَقْدِيمَ الرَّأْفَةِ عَلَى الرَّحْمَةِ لِدَفْعِ أَكْبَرِ كَمِيَّةٍ مِنَ الشُّحْنِ الْإِيمَانِي فِي تَشْجِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالتَّعَاطُفِ مَعَهُمْ.

- وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: { أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } وَمَعْنَى الصَّلَوَاتِ هَاهُنَا الرَّحْمَةُ بَعْدَ الرَّحْمَةِ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ مِنَ اللَّهِ: الرَّحْمَةُ، وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ: الْإِسْتِغْفَارُ، وَمِنَ النَّاسِ الدُّعَاءُ، قَوْلُهُ: (وَرَحْمَةٌ) ذَكَرَهَا تَأْكِيدًا لِلأُولَى^(٦).

وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٧).

(١) الممتحنة / ١٣.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٢٨٥).

(٣) البقرة / ١٤٣.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٠٧).

(٥) البقرة / ١٥٧.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١١٤).

(٧) البقرة / ١٨٤.

– أعاد الله عز وجل الحديث عن المريض والمسافر في حال الصيام فقال-جل وعلا- بعد هذه الآية: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

"إِنَّمَا أعاد هذا ليعلم أن هذا الحكم في النَّاسِخِ مثل ما كَانَ فِي الْمُنْسُوخِ"^(٢)، فالله سبحانه وتعالى أراد أن يؤكد الرخصة التي أتاحت للمريض والمسافر ويعيد الحكم السابق كما هو فكانت الإعادة لتقوية الحكم الشرعي وتقديره.

٢- أن يناط به حكم جديد:

– وذلك كقول الله تبارك وتعالى في سورة النساء: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَن اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۚ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٣).

"فإن قيل: أي فائدة في تكرار قوله: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} قيل: لكل واحد منها وجه، أما الأول فمعناه: ولله ما في السموات وما في الأرض، وهو يوصيكم بالتقوى، فاتقوه، واقلوا وصيته.

وأما الثاني فيقول: فإن لله ما في السموات وما في الأرض، وكان الله غنياً حميداً؛ فاطلبوا منه ما تطلبون.

وأما الثالث فيقول: ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً، أي: اتخذوه وكيلاً ولا تتكلموا على غيره"^(٤).

فكل تكرار للآية منوط به حكم جديد فالأول للتذكير بتقوى الله عز وجل، والثاني للطلب منه فهو الغني الحميد مالك السموات والأرض، والثالث للتوكل عليه فهو نعم الوكيل.

(١) البقرة/١٨٥.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/١٣٢).

(٣) النساء / ١٣٢، ١٣١.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٨٥).

– ومثله قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣٣) وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُمْ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُمْ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ (١).

قوله تعالى: { وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ } إِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ التَّفْهِيمُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ: { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ } ؟ قِيلَ: أَرَادَ بِالْأُولَى عَذَابَ الْإِسْتِئْصَالِ، وَبِهَذَا عَذَابَ السَّيْفِ، وَقِيلَ: أَرَادَ بِالْأُولَى عَذَابَ الدُّنْيَا، وَبِالثَّانِي: عَذَابَ الْآخِرَةِ^٢.

فكرر العذاب في الآيتين ولكن العذاب الأول يختلف عن العذاب الثاني فيما أن يكون الأول هو عذاب استئصال وإبادة أو عذاب الحياة الدنيا والعذاب الثاني هو عذب القتل بالسيف أو عذاب الآخرة.

٣- التكرار لأنه يُلْذُّ بذكره :

– وذلك كقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

{ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا }، " وَأَيْمًا لَمْ يَقُلْ: فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَسَوْفَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ أَجْرًا عَظِيمًا؛ غِيظًا عَلَى الْمُنَافِقِينَ " (٤).

فكرر الله سبحانه وتعالى لفظ المؤمنين في الآية الكريمة ولم يكتفِ بإعادة الضمير؛ لتلذذاً بذكر المؤمنين، ولزيادة غيظ المنافقين بترديد اسم المؤمنين وتخصيصهم بالأجر العظيم.

٤- الطرد والعكس:

– "وهو أن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثاني، وبالعكس" (٥)، وذلك كقول الله تبارك وتعالى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٦) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءَ مُؤْمِنُونَ ﴿ (٦).

(١) الأنفال / ٣٤.

٢ تفسير السمعاني، (ج ٢/ ٩٤).

(٣) النساء / ١٤٦.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٣٩٢).

(٥) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، (ص ٣٦٩).

(٦) المائدة / ٨٨.

"أكد ذلك النهي بهذا الأمر"^(١)، فبدأ بالنهي بعدم تحريم الطيبات التي أحلها الله سبحانه وتعالى وأعاد تكرار المعنى بالأمر بأكل هذه الطيبات ولكن في الآية الأولى كان نهى وفي الثاني أمر.

هـ- ينوه بشأن المذكور:

- وذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢). {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} "فإن قال قائل: ما هذا التكرار، فقد قال في أول الآية: لقد تاب الله على النبي؟

الجواب عنه: أنه ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب - وهو محض تفضل من الله، فلما ذكر الذنب أعاد ذكر التوبة، والمراد منه: القبول"^(٣). فكان الله أراد أن ينوه بشأن قبول توبة المهاجرين والأنصار بعد اقرار الذنب. والله أعلم.

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٤٥٦).

(٢) التوبة / ١١٧

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٢/١٧٨).

المبحث الخامس

التقديم والتأخير

تعريف التقديم: "من قدم أي وضعه أمام غيره، والتأخير نقيض ذلك"^(١).

ومن المعلوم أن النظم: "هو أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت عنها"^(٢).

وأساليب ترتيب الجمل ووضع الكلام تكاد لا تعد ولا تحصى وفيها العديد من الصور من الحذف والتكرار والتعريف والتتكير وغيرها، والتقديم والتأخير هو أحد هذه الأساليب البلاغية والتي وصفها الجرجاني بقوله: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة..."^(٣).

وقد تحدث البلاغيون عن التقديم والتأخير ضمن أبواب أحوال المسند والمسند إليه، إلا أن أبواب التقديم والتأخير أوسع من هذين البابين والنظرة في أحوال التقديم والتأخير واسعة المشارب وأغراضها متنوعة^(٤)، وكان عبد القاهر الجرجاني ممن أبدع في النظر إلى أحوال التقديم والتأخير وجعلها على وجهين^(٥):

تقديم على نية التأخير كتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم لا على نية التأخير، وينتقل الشيء فيه عن حكم إلى حكم ويكتسب إعراباً غير إعرابه السابق.

وكل ترتيب للجمل في القرآن الكريم يضم بين طياته سرّاً بلاغياً جميلاً، وأغراض التقديم والتأخير متعددة ومنها :

١- العناية والاهتمام:

حيث يقدم اللفظ المقصود من الكلام في البداية ومن أمثلته في القرآن الكريم:

– قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَاتَلْتُمُ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** ﴾^(٦).

(١) انظر: لسان العرب، (قدم).

(٢) دلائل الإعجاز، (٨١).

(٣) المرجع السابق، (١٠٦).

(٤) للاستزادة: انظر معجم المصطلحات البلاغية لأحمد مطلوب (٤٠٤).

(٥) انظر: دلائل الإعجاز، (١٠٦).

(٦) البقرة / ٧٢.

"هَذَا فِي التَّلَاوَةِ مُؤَخَّرٌ، وَفِي الْمَعْنَى مُقَدَّمٌ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ الْقِصَّةِ"^(١).

وهو يتحدث عن قصة البقرة والتي سميت السورة باسمها ؛ لأهمية هذه الحادثة وما تحمله من معانٍ ودلالات لسماة بني إسرائيل وتعنتهم مع أوامر الله عز وجل، وقد كان سبب ذبح البقرة هو قتل نفس إلا أن الله قدم حادثة البقرة على قتل النفس لأهميتها.

- وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

"فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَتَقْدِيرُهُ: يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَتَعْرِفُونَ فَضْلَ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا. فَتَزْهَدُونَ فِي الدُّنْيَا، وَتَتَفَقَّهُونَ رَغْبَةً فِي الْآخِرَةِ"^(٣).
ولعل تقديم (لعلكم تتفكرون) للعناية والاهتمام بالفعل وهو التفكير، فعلى المؤمن أن يتفكر في آيات الله التي أنعمها الله علينا في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

- وكذلك في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَال بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠٠﴾

وقوله تعالى: " {فصرهن إليك} أي: فصمهن إليك، وفيه تقديم وتأخير، وتقديره: فخذ أربعة من الطير إليك فصرهن، أي: فقطعن"^(٥).

فقدم فعل النقطيع لإبراز قدرة الله تبارك وتعالى في بعث الموتى وهم مقطعون مشنتون.

- وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنِي مَرْيَمَ قُلْ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ

(١) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٦٣).

(٢) البقرة / ٢١٩.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١ / ١٦١).

(٤) البقرة / ٢٦٠.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١ / ١٩٥).

مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١﴾.

"فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا مَعْنَى التَّوْفِي، وَعِيسَى فِي الْأَحْيَاءِ عَلَى زَعْمِكُمْ؟ فُلْنَا: فِيهِ أَقْوَالٌ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَعْنَاهُ: إِنِّي قَابِضُكَ مِنَ الْأَرْضِ، وَهُوَ صَحِيحٌ عِنْدَ أَهْلِ اللَّغَةِ، فَيُقَالُ: تَوَفَيْتُ حَقِي مِنْ فُلَانٍ. أَي: قَبِضْتُ.

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنِّي مَتَوَفَى عِدَّةَ آبَائِكَ فِي الْأَرْضِ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَمَّ فَهُوَ مَتَوَفَى، وَمَسْتَوَفَى، وَقَالَ الْفَرَاءُ: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَتَقْدِيرُهُ: إِنِّي رَافِعُكَ إِلَيَّ وَمَتَوَفَيْكَ " أَي: بَعْدَ النَّزُولِ مِنَ السَّمَاءِ" (٢).

فَعَلَى رَأْيِ الْفَرَاءِ قَدِمَ مَا يَدُلُّ وَيُبَيِّنُ أَنَّ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بَشَرٌ وَهُوَ مَيِّتٌ لَا مَحَالَةَ وَفِي ذَلِكَ رَدٌّ لِلشَّبَهَاتِ الَّتِي يَعْتَقِدُهَا أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْوَهْيَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدِمَ اللَّفْظُ لِأَهْمِيَّتِهِ.

- وَفِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (٣).

"ذَكَرَ عِدَّةٌ مِنَ الرُّسُلِ الَّذِينَ أَوْحَى إِلَيْهِمْ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَ قَدِمَ ذِكْرُ عِيسَى، وَهُوَ مُتَأَخِّرٌ؟ قِيلَ: " الْوَاوُ " لَا تَوْجِبُ التَّرْتِيبَ، وَإِنَّمَا هِيَ لِلْجَمْعِ، وَقِيلَ: ذَكَرَهُ اهْتِمَامًا بِأَمْرِهِ، وَكَانَ أَمْرُ عِيسَى أَهَمَّ" (٤).

فَلَمْ يَرَاعِ التَّرْتِيبَ الزَّمَنِيَّ لِلنَّبِيِّينَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَقَدِمَ فِيهَا عِيسَى لِبَيَانِ أَهْمِيَّةِ أَمْرِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

- وَفِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا أَنَّهُمْ يُخْفُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٥).

(١) آل عمران / ٥٥.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٢٤١).

(٣) النساء / ١٦٣.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣٩٨).

(٥) المائدة / ٤٤.

"وَقَوْلُهُ: {لِلَّذِينَ هَادُوا} فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَتَقْدِيرُهُ: فِيهَا هُدَى وَنُورٌ لِلَّذِينَ هَادُوا، ثُمَّ قَالَ: {يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَالرَّيَانِيُّونَ}"^(١).

فقدم قوله تعالى (يحكم)؛ لأهمية الحكم بما أنزل الله، فهو لا يكون هدى ونور بمجرد الإيمان به وتعظيم كتاب الله، إنما يكون بتحكيمة في أمور الحياة وتطبيقه، فيكون بذلك هدى ونور للذين أسلموا.

- ومثله قول الله تبارك وتعالى: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾^(٢).

{كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ} فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَتَقْدِيرُهُ: وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَهُ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ، يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ"^(٣).
فقدم الله سبحانه وتعالى فعل المجادلة في قوله (يجادلونك)؛ لأهميته، وكأن الله يعاتبهم على مجادلتهم للرسول ﷺ.

٢- تقوية الحكم وتقريره:

- وذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٤).

"قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ مُوَلِّيهَا وَجْهَةٌ، يَعْنِي: الْقِبْلَةَ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَخْفَشِ مَعْنَاهُ: اللَّهُ مُوَلِّيهَا".
فقدم الله عز وجل الضمير العائد عليه لتقوية الحكم وتقريره في نفس المخاطب بأن الله هو من يولي الناس إلى القبلة وإن كل شيء إلا بأمره.

- وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَتُّوْا لَهَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دَيْرِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْتُدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٤٣٧).

(٢) الأنفال / ٦،٥.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ٨١).

(٤) البقرة / ١٤٨.

ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا حِزْبٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

"فِيهِ تَقْدِيرٌ وَتَأْخِيرٌ. وَتَقْدِيرُهُ: وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ؛ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ، تَظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ" (٢).

وعلق أبو السعود على هذه الآية بقوله: "وأما تأخيرُهُ من الشرطية المعترضة مع أن حقه التقديم كما ذكره الواحدي فلأن نظمَ أفعالهم المتناقضة في سَمَطٍ واحدٍ من الذكر أدخل في إظهار بطلانها" (٣).

وكان الله أراد تثبيت حكم معصيتهم لله ونقضهم للعهد والمواثيق التي قطعوها على أنفسهم أمام الله عز وجل وقد كانت ترك القتل، وترك الإخراج، وترك المظاهرة، إلا أنهم فعلوا كل هذه المحرمات، وتعداد هذه المحرمات مجتمعة يزيد تأكيداً على مدى فسوقهم.

٣- التخصيص:

- يقدم اللفظ لخصوصيته دون غيره ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٥﴾ مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾.

"وَفِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَتَقْدِيرُهُ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ، وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ هُدَىٰ لِلنَّاسِ" (٥).
فقدم الله (هدى للناس) تخصيصاً للقرآن الكريم دون غيره من الكتب السماوية أنه هداية للناس وتأمل كلمة للناس فلم يقل للمؤمنين وإنما لجميع الناس فالقرآن هداية للبشرية جمعاء.

- وكذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿٦﴾.

(١) البقرة/٨٥.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٧١).

(٣) تفسير أبي السعود، (ج ١ / ١٥٢).

(٤) آل عمران / ٤، ٣.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٢١٤).

(٦) التوبة / ١٠١.

"وَفِي آيَةِ تَقْدِيمِ وَتَأْخِيرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ مَرَدُّوا عَلَى النِّفَاقِ وَمَنْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، هَكَذَا قَالَه أَهْلُ الْمَعَانِي" (١).

فقدم الله قوله (ومن أهل المدينة) وكأنه يريد أن يخصهم بالمرود على النفاق.

٤- تقديم الكثير على ما دونه :

- ومثله قول الله تبارك وتعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

قوله تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي} قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: إِنَّمَا بَدَأَ بِالْمَرْأَةِ، لِأَنَّ رِقَةَ الْقَلْبِ عَلَيْهِنَّ أَكْثَرُ، فَبَدَأَ بِهِنَّ لِئَلَّا يَنْتَرِكَ إِقَامَةُ الْحَدِّ عَلَيْهَا، وَيَكُونُ أَمْرُهَا لَهُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لِأَنَّ الشَّهْوَةَ فِيهِنَّ أَكْثَرُ، وَالزَّنَا نَتِيجَةُ الشَّهْوَةِ، وَبَدَأَ فِي حَدِّ السَّرِقَةِ بِالرَّجُلِ؛ لِأَنَّ الْقُوَّةَ وَالْجَرَاءَةَ فِي الرِّجَالِ أَكْثَرُ، وَالسَّرِقَةَ نَتِيجَةُ الْقُوَّةِ وَالْجَرَاءَةِ، وَهَذَا قَوْلُ حَسَنِ (٣).

فتقديم الزانية على الزاني لأن الشهوة فيهن أكثر ، كما أن الزنا لا يتم إلا بموافقة المرأة وإن لم يكن بموافقتها فلا يكون زنا إنما اغتصاب وتعدي ، فقدم المرأة في قضية الزنا ؛لأنها الأصل .

- والسمعاني ينبه لآية أخرى قدم فيها الرجل على المرأة في موضوع السرقة لأن الدافعية عنده أقوى والجرأة والقوة في الرجل أشد وذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤).

٥- التقديم لتقدمها في الزمن :

- وذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (٥).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ١٦٧).

(٢) النور / ٢.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٣/ ٦٩).

(٤) المائة / ٣٨.

(٥) الأحزاب / ٧.

" وَقَوْلُهُ: {ومَنك وَمَن نوح} اختلف القول في تقديم النبي، فأحد القولين: مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: "أَنَا أَوَّلُ النَّبِيِّينَ خَلَقًا وَأَخْرَهُمْ بَعَثًا"^(١).

وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: بَدَأَ بِهِ فِي الْخَلْقِ، وَخَتَمَ بِهِ فِي الْبَعْثِ، وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الْوَاوَ تَوْجِبُ الْجَمْعِ، وَلَا تَوْجِبُ تَقْدِيمًا وَلَا تَأْخِيرًا، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَخَذْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ، وَخَصَّ هَؤُلَاءِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ الشَّرَائِعِ وَهُمْ: نوح، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَمُحَمَّدٌ"^(٢).

فالسَّمْعَانِي يَرَى أَنَّ تَقْدِيمَ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ تَرْتِيبِيًّا مَنْطِقِيًّا بِدَلَائِلَ تَثَبَّتْ أَنَّ مُحَمَّدَ ﷺ أَوَّلَ مَنْ خَلَقَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّمَا أَنَّ الْوَاوَ لَا تَفِيدُ تَرْتِيبًا، وَقَدْ يَكُونُ تَقْدِيمُ الرَّسُولِ ﷺ تَكْرِيمًا وَتَشْرِيفًا لَهُ مِنْ بَيْنِ الرِّسَالِ وَاللَّهِ أَعْلَمُ.

(١) انظر: دلائل النبوة : أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت:

٤٣٠ هـ) ، تحقيق: محمد رواس و عبد البر عباس ، ط٢ (بيروت، دار النفائس ، ١٩٨٦ م) ، (ج١، ٤٢) .

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٣ / ٣٢٦) .

المبحث السادس

خروج الكلام عن مقتضى الظاهر

وله صور متعددة منها:

١- الالتفات :

لغة: (اللَّفْتُ) "الصَّرَفُ، يقال: ما لَفْتُكَ عن فلانٍ أي ما صَرَفْتُكَ عنه؟ واللَّفْتُ: لِي الشيء عن جهته" (١).

اصطلاحاً: "هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر أي: هو التعبير عن معنى من المعاني بطريق التكلم أو الخطاب أو الغيبة بعد التعبير عن ذلك المعنى بطريق آخر" (٢).

وقد سماه بعض العلماء بالانصراف وعرفوه بقولهم: "هو أن يرجع من الخبر إلى الخطاب، أو من الخطاب إلى الخبر" (٣)، مثل قوله تعالى: "حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم" (٤).

وذكره أيضاً ابن شيث القرشي بقوله: "هو أن تبتدئ المخاطبة بهاء الكناية ثم تتصرف إلى المخاطبة بالكاف" (٥).

والسمعاني لم يسمِّ الالتفات باسمه، ولكنه وصفه بالصرف وذلك في تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ (٦).

قوله تعالى: {قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا} أي: فإن تتولوا، وقيل: فإن يتولوا، بصرف خطابه المواجهة إلى المغايبه" (٧).

(١) لسان العرب، (لفت).

(٢) من بلاغة القرآن / ٨٧.

(٣) البديع في نقد الشعر: أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (المتوفى: ٥٨٤هـ)، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، د.ط (الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت) (٢٠٠).

(٤) يونس / ٢٢.

(٥) معالم الكتابة: أبو القاسم عبد الرحيم بن علي بن الحسين بن اسحاق بن شيث القرشي (ت: ٦٢٥هـ، تحقيق: محمد شمس الدين، د.ط (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م)، ٧٦.

(٦) النور / ٥٤.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ٣/ ١٠٥).

فوصف الالتفات في الآية بقوله (صرف)، وقد بينا أن الالتفات في اللغة هو الصرف فالمعنيان متقاربان.

وللالتفات ست صور ينتقل فيها الكلام ما بين الحالات الثلاثة المتكلم والغائب والمخاطب وقد بين السمعاني في تفسيره بعضاً من هذه الصور ومنها:

١- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

- وذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِأُولَئِكَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(١).

"قرأ أبو بن كعب وابن مسعود: "لا تعبدوا إلا الله" على الأمر، والقراءة المعهودة "لا تعبدون". وتقرأ بالياء والتاء ومعناها واحد؛ فإن العرب قد تذكر المخاطبة في موضع المغايبة، والمغايبة في موضع المخاطبة. وفي هذا الميثاق عهد وقسم، وتقديره: والله لا تعبدون إلا الله"^(٢).

ويبين السمعاني أن القراءة المعهودة بالتاء فيها التفات من الغيبة وهو يحدث عن ميثاق بني إسرائيل ثم ينتقل للخطاب المباشر بقوله (لا تعبدون) أي أنتم، أما على القراءة بالياء فلا وجه للالتفات في هذه القراءة. والله أعلم.

٢- الالتفات من الغيبة إلى الغيبة:

- وذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾^(٣).

"وقال مقاتل وجماعة: هو خطاب لأولئك المشركين يوم بدر، يقول الله: قل للمشركين: ستغلبون، وتحشرون إلى جهنم، وقد غلبوا وحشروا إلى جهنم، ويقرأ: "سيغلبون ويحشرون" بالياء - وهو بمعنى الأول، قال الفراء: وهو مثل قول الرجل: قل لزيد: إنك قائم. هو بمعنى قوله: قل لزيد: إنه قائم؛ فهما في المعنى سواء"^(٤).

(١) البقرة / ٨٣.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/٦٩).

(٣) آل عمران / ١٢.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/٢١٩).

ويتضح من كلام السمعاني أن القراءة بالتاء لا تحمل وجهاً للالتفات وإنما القراءة بالياء فيها التفات من الخطاب في قول الله تعالى (قل) والغيبة في قوله (سيغلبون ويحشرون)، كما أن السمعاني بين من خلال الاستدلال بكلام الفراء أن هذا اللون البلاغي متداول ومعروف عند العرب منذ القدم.

- ومثله قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

{ولتكن منكم أمة}، "أي: كونوا أمة {يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}، أي: وأنتم المفلحون"^(٢).

ففي قوله تعالى (هم المفلحون) التفات من الخطاب في قوله تعالى (ولتكن منكم) إلى الغيبة، حيث أشار في نهاية الآية إلى هذه الأمة بقوله (هم) وبين السمعاني أن المقصود هو ضمير المخاطب (أنتم).

- وكذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَلْحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٣).

"قوله تعالى: {يا أيها النبي إذا طلقتم النساء} فإن قيل: كيف خاطب النبي وحده في الإبتداء ثم قال: {إذا طلقتم النساء}؟ والجواب من أوجه^(٤): أحدها: أن خطاب النبي عليه الصلاة والسلام خطاب لأُمَّته، مثل خطاب الرئيس يكون خطاباً للاتباع وكأنه قال: يا أيها النبي والمؤمنون إذا طلقتم النساء.

- والجواب الثاني أن قوله: {إذا طلقتم النساء} على تحويل الخطاب إلى الغير، مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾^(٥) (٦).

(١) آل عمران / ١٠٤.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٦١).

(٣) الطلاق / ١.

(٤) والوجه الثالث هو أن نقدر محذوف في الآية فيكون التقدير: يا أيها النبي قل للمؤمنين إذا طلقتم النساء.

للاستزادة راجع تفسير السمعاني، (ج ٤/٣١٦).

(٥) يونس / ٢٢.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٤/٣١٦).

فعلى الجواب الثاني يكون التفاتاً من الخطاب بقوله يا أيها النبي إلى الغيبة في قوله (إذا طلقتم النساء)، أما على الجواب الأول فهي صورة أخرى من صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر حيث يوضع المفرد موضع الجمع وسيأتي ذكره لاحقاً إن شاء الله.

الفائدة البلاغية للتفاتات:

بين العلماء أن الالتفات هو لون من ألوان الجمال الذي يضيفي الحسن للتعبير الكلامية ومما قالوه في الالتفات: "وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقع بفتاوى" (١).

وجاء في المثل السائر اعتراض على قول الزمخشري، حيث بين المؤلف أن الانتقال لا يكون بغية الانتقال إلى الأحسن وكأن الكلام إذا مُلَّ انتقل فيه المتكلم إلى صيغة أخرى ودل على ذلك أن القرآن الكريم انتقل فيه الكلام وهو فيه من الإيجاز ما فيه وحاشاه من الملل أو النقص، وفي المقابل بين أن كل موضع من مواضع الالتفات يحمل غرضاً بلاغياً بقوله: "والذي عندي في ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى الخطاب، لا يكون إلا لفائدة اقتضتها، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تحد بحد، ولا تضبط بضابط، لكن يشار إلى مواضع منها؛ ليقاس عليها غيرها، فإننا قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب، ثم رأينا ذلك بعينه -وهو ضد الأول- قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود، وذلك المعنى يتشعب شعباً كثيرة لا تنحصر، وإنما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه" (٢).

ومن خلال ما سبق يتضح أن للتفاتات غرضاً بلاغياً عاماً وذلك بحسن إعمال العقل وتنشيط السامع والبعد عن الرتابة والصور الروتينية، وكل صورة من صور الالتفات تحمل سراً بلاغياً تحمله بين طياتها في ذات الوقت. والله أعلم.

(١) الكشاف، (ج ١ / ١٤).

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، د.ط. (القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت.)، (ج ٢/١٣٧).

٢- التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل :

وهي إحدى صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، ومثل ذلك:

– قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ عَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١).

"وأما قوله: {فلم تقتلون} معناه: فلم قتلتم، لكن العرب قد تضع الماضي في موضع المستقبل، والمستقبل في موضع الماضي، والدليل عليه قوله: {من قبل إن كنتم مؤمنين} يعني في زعمكم" (٢).

فالله سبحانه وتعالى في قوله (من قبل) يدل على أن كلامه عما سبق من أفعال بني اسرائيل إلا أنه استعمل لفظ المستقبل بصيغة الفعل المضارع (تقتلون) ليستحضر بشاعة الجرم الذي كان يرتكبه أولئك القوم، كما أن الفعل المضارع يدل على الاستمرارية وفهم مستمرين في منهج القتل وسفك الدماء. والله أعلم.

– ومثله أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمَرُوتَ ۗ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۗ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۗ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

{ما تتلوا الشياطين} "أي: ما تلت، مستقبل بمعنى الماضي، قال الحطيئة:

شَهِدَ الْحَطِيئَةُ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ أَنْ الْوَلِيدَ أَحَقَّ بِالْغَدْرِ (٤)

(١) البقرة / ٩١.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/٧٤).

(٣) البقرة / ١٠٢.

(٤) البيت على البحر الكامل .

يَعْنِي: يشهد^(١).

- وكذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٥﴾ مِنْ قَبْلِ هُدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾^(٢).

وقوله: {مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ}، "يَعْنِي: الْفُرْقَانَ مُصَدِّقٌ لِمَا قَبْلَهُ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَإِنَّمَا قَالَ: {لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ}؛ لِأَنَّهُ فِي تَصَدِيقِ مَا قَبْلَهُ، وَإِظْهَارِ صَدَقِهِ، كَالشَّيْءِ الْحَاضِرِ بَيْنَ يَدَيْهِ"^(٣).

وكان لابن عاشور رأيه في السر البلاغي من ذكر المستقبل بلفظ الحاضر بقوله: " وَمَعْنَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ أَنَّهُ مُصَدِّقٌ لِلْكِتَابِ السَّابِقَةِ لَهُ، وَجُعِلَ السَّابِقُ بَيْنَ يَدَيْهِ: لِأَنَّهُ يَجِيءُ قَبْلَهُ، فَكَأَنَّهُ يَمْشِي أَمَامَهُ"^(٤).

وقد يكون هناك سر بلاغي آخر لهذا التعبير؛ فالقرآن مصدق لما جاء قبله من كتب سماوية وهما التوراة والإنجيل، والله عبر عن الكتب السابقة بلفظ الحاضر للتأكيد على تصديق هذه الكتب جميعاً ، وأنها من الله الواحد الأحد، ولا بد أن يكون ما فيها مطابقاً ومصدقاً للقرآن الكريم أيضاً، فإن كان هناك تعارض فإن ما بين يدينا من كتب تحت اسم التوراة والإنجيل ما هي إلا كتب محرفة ومزيفة ، ولعل ما يدل على ذلك أن من مقاصد سورة آل عمران مجادلة أهل الكتاب في دينهم والانتصار لدين التوحيد. والله أعلم.

- وكذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾^(٥).

"وَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْكُفَّارَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مَا كَانُوا مُنْتَهِينَ عَنِ كُفْرِهِمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ أَي: حَتَّى أَتَاهُمُ الرَّسُولُ، مُسْتَقْبِلٌ بِمَعْنَى الْمَاضِي"^(٦).

فإنه سبحانه وتعالى عبر عن إتيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، بلفظ المستقبل والمعنى

في الماضي.

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٧٩).

(٢) آل عمران / ٣ ، ٤.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/٢١٤).

(٤) التحرير والتنوير، (ج ٣/١٤٨).

(٥) البيئنة / ١.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٤/٥٥٨).

٣- التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي :

وهو على عكس السابق، ويكون " للدلالة على أن الفعل محقق الوقوع مقطوع بصدقه لا شك فيه " (١).

- ومثل ذلك في القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (٢).

قوله - تَعَالَى - : {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} "اختلفوا في أن هذا القول متى يكون؟ قال السدي: إنما قال الله - تَعَالَى - ذلك حين رفعه إلى السماء؛ لأن قوله: " إذ للماضي، والصحيح أنه يكون في القيامة، والقيامة وإن لم تكن بعد، ولكنها في علم الله، فلما كانت كائنة لا محالة فهي كالكائنة؛ فصح قوله: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ} (٣).

فالله سبحانه وتعالى يسأل سيدنا عيسى عليه السلام هذا السؤال يوم القيامة ليقوم الحجة على من اتخذها إلهاً من دون الله عز وجل وجاء به بلفظ الماضي للتأكيد بأنه حاصل لا محالة.

- وكذلك قول الله تبارك و تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٤).

{وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} "وفي معناه أقوال (٥):

أحدها: أن هذا في قوم من المسلمين بقوا بمكة بعد هجرة الرسول، وما كان الله ليعذبهم وفيهم من يستغفر، وقيل: في قوم علم الله تعالى أنهم يؤمنون ويستغفرون من أهل مكة، وذلك مثل: أبي سفيان، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام، ونحوهم، فلما كان في علم الله تعالى أنهم لأصحابه يسلمون ويستغفرون؛ عدتهم مستغفرين في الحال (٦).

(١) من بلاغة القرآن / ٩٢.

(٢) المائدة / ١١٦.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٤٧٤).

(٤) الأنفال / ٣٣.

(٥) القولان الثالث والرابع أحدهما يقدر فيه محذوف، والآخر يعده جملة خيرية تحمل معنى الطلب حيث يأمرهم بالاستغفار. للاستزادة راجع تفسير السمعاني، (ج ٢/ ٩٢).

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ٩١).

فعلى الرأي الثاني الذي ذكره السمعاني يبين أنه عبر عن حالهم قبل الإسلام بالمستغفرين، تحقيقاً لعلم الله بحالهم في المستقبل من الإيمان والاستغفار. والله أعلم.

٤- وضع المفرد موضع المثني :

حيث يعبر عن الاثنين بلفظ الواحد، "ويكون ذلك للملازمة والمصاحبة بينهما حتى كأنهما صارا كالشيء الواحد لا شيئين مختلفين، فعبر عنهما بلفظ المفرد " (١).

- ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (٢).

"فِي قَوْلِهِ: {وَإِنَّهَا} قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَكِنَايَةٌ رَاجِعَةٌ إِلَى الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ جَمِيعًا. إِلَّا أَنَّهُ اِكْتَفَى بِأَحَدِ الْمَذْكُورِينَ وَالْكِنَايَةَ عَنْهُ. وَهُوَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقِيَارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ (٣)

أي: لغريبان إلا أنه اكتفى بأحدهما. وأورد الأزهري (٤) في كتاب التقریب قولاً حسناً، فَقَالَ: تَقْدِيرُهُ: وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ، وبالصلاة وإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ، إِلَّا أَنَّهُ حَذَفَ أَحَدَهُمَا وَاخْتَصَرَ الْمَعْنَى اخْتِصَارًا (٥).

لعل السمعاني يقصد بقوله (الكناية) أن ضمير الكناية عن الصبر والصلاة كان ضمير المفرد، وأما على رأي الأزهري فإن في الآية محذوف. والله أعلم.

- ومن ذلك أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا ۗ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۗ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ۗ ۝٤٥﴾

(١) من بلاغة القرآن، (٩٧).

(٢) البقرة / ٤٥.

(٣) البيت على البحر الطويل، لضابئ البرجمي (ت ٣٠هـ).

(٤) لعله يقصد به محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور (ت ٣٧٠هـ): أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان. نسبته إلى جده " الأزهر " عني بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها وقصد القبائل وتوسع في أخبارهم. للاستزادة انظر الأعلام للزركلي (ج ٥/٣١١).

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٤٩).

وَصُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ عَنَّا بَغْيًا حَقًّا ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١﴾.

ففي قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ} فَإِنْ قِيلَ: كَانَ لَهُمُ الْمَنُّ وَالسُّلُوبُ، فَلَمْ سَمَاهُمَا وَاحِدًا؟ ! قِيلَ: كَانُوا يَأْكُلُونَ أَحَدَهُمَا بِالْآخِرِ (فَكَانَ) كَطَعَامٍ وَاحِدٍ.
وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ أَبَدًا عَلَىٰ نَسَقٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ مِنْ حَيْثُ اتَّسَقَهُ كَطَعَامٍ وَاحِدٍ^(٢).

– وكذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٣).

فإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ قَالَ: {انْفَضُّوا إِلَيْهَا} وَقَدْ تَقَدَّمَ سَبَبَانِ؛ التِّجَارَةُ وَاللَّهُو، وَلَمْ يَقُلْ: "انْفَضُّوا إِلَيْهِمَا"؟ وَالْجَوَابُ أَنْ مَعْنَاهُ: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً انْفَضُّوا إِلَيْهَا، وَإِذَا رَأَوْا لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهِ، فَانْتَفَى بِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ الْعَرَبُ قَدْ تَذَكَّرَ شَيْئَيْنِ وَتَرَدَّ الْكِنَايَةُ إِلَىٰ أَحَدِهِمَا، وَالْمُرَادُ كِلَاهُمَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلَفٌ^(٤)

وَيُقَالُ: فِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ وَمَعْنَاهُ: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً انْفَضُّوا إِلَيْهَا أَوْ لَهْوًا وَالانْفِضَاضُ هُوَ الذَّهَابُ بِسُرْعَةٍ^(٥).

" وَقِيلَ: إِنَّهُ اقْتَصَرَ عَلَىٰ ضَمِيرِ التِّجَارَةِ لِأَنَّ الْإِنْفِضَاضَ إِلَيْهَا إِذَا كَانَ مَذْمُومًا مَعَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا كَيْفَ بِالْإِنْفِضَاضِ إِلَى اللَّهِو " ^٦.

فالسَّمْعَانِي يَبِينُ أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ مِنْ صُورِ خُرُوجِ الْكَلَامِ عَنِ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ هِيَ صُورَةُ مِتَدَاوِلَةٍ بَيْنَ الْعَرَبِ وَهِيَ مِنْ صَمِيمِ بِلَاغَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَيَسْتَدَلُّ عَلَىٰ وُجُودِهَا بِالشَّعْرِ وَيَخْرُجُ لِلآيَةِ رَأْيًا آخَرَ وَهُوَ التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ إِلَّا أَنَّهُ بِقَوْلِهِ (يُقَالُ) يَرْجَحُ الرَّأْيُ الْأَوَّلُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) البقرة / ٦١.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٥٧).

(٣) الجمعة / ١١.

(٤) البيت على البحر المنسرح، للشاعر الجاهلي أحيحة بن الجلاح .

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٢٩٨).

٦ الكشاف ، (ج ٥/ ٢٧٢).

- وأيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾^(١).

"قوله تَعَالَى: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ} أي: الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}. وَقِيلَ بَيْنَا لَهُ طَرِيقَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ"^(٢).

فعبّر الله سبحانه وتعالى عن الخير والشر وهما مثنى بالسبيل وهو مفرد، ولعله يحمل لوناً بدعيّاً وهو اللف والنشر المجمل حيث أجمل الطريقين بكلمة (السبيل) وبين هذين السبيلين في سياق الآية، وهو ما يشير إلى لفظة بلاغية من وجود عوامل مشتركة وارتباطات وثيقة بين المصطلحات البلاغية وأقسامها إلا أن كل مصطلح له علامات تميزه وتفرده عن غيره في ذات الوقت.

٥- وضع المثنى موضع المفرد:

وهو على عكس الصورة السابقة فيعبر عن المفرد بلفظ المثنى ويكون ذلك لغرض ما، ومثل ذلك:

- قول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۚ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۗ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۗ يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ ۗ ﴾^(٣).

"فإن قيل: قد قال: {يُخْرِجُ مِنْهُمَا} وأجمع أهل العلم بهذا الشأن أنه يخرج من الملح دون العذب. والجواب: أنه ذكرهما والمراد أحدهما، كما تقول العرب: أكلت خبزاً ولبناً، وإنما الأكل في أحدهما دون الآخر. قال الزجاج: لما ذكر البحرين ثم ذكر اللؤلؤ والمرجان، وهو يخرج من أحدهما^(٤)، صحب الإضافة إليهما على لسان العرب،

وذكر القفال الشاشي في تفسيره: أن اللؤلؤ والمرجان لا يكون إلا في ملتقى البحرين في أول ما يخلق، ثم حينئذ موضع الأصداف هو البحر الملح دون العذب، فصح قوله: {يُخْرِجُ مِنْهُمَا} لائتئها في ابتداء عند ملتقى البحرين، وهذا قول حسن إن كان كذلك^(٥).

(١) الإنسان / ٣.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٤/٤٢٦).

(٣) الرحمن / ٢٢.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت:

٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط ١ (بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٨م)، (ج ٥/١٠٠).

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٤/٢٠٤).

فموضع المثني موضع المفرد وارد عند العرب كما ذكر ذلك الزجاج، ولعل في تفسير القفال - الذي استحسنته السمعاني - للآية ما يبين السر البلاغي من ذكرهما بالمثني بأن الماء العذب يتدخل في تكوين اللؤلؤ والمرجان رغم كون اللؤلؤ لا يخرج إلا من الماء المالح.

٦- وضع المفرد موضع الجمع:

فيعبر عن المتعدد بلفظ المفرد وله أغراض متعددة سنبرز بعضاً منها أثناء الاستشهاد، ومن أمثلته:

- قول الله تبارك وتعالى: ﴿ حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(١).

قوله: {وعلى سمعهم}، "أي: أسماعهم، ذكر الجمع بلفظ الواحد، ومثله كثير في القرآن، معناه: على موضع سمعهم، فحتم على قلوبهم؛ كيلا يقبلوا الحق، وعلى سمعهم؛ كيلا يسمعوا الحق"^(٢).

فبين السمعاني أن هذا اللون كثير في القرآن الكريم، وكان لابن عاشور في تفسيره لطيفة بلاغية في إفراد السمع في قوله: " وَقَدْ تَكُونُ فِي إِفْرَادِ السَّمْعِ لَطِيفَةٌ رُوِعِيَتْ مِنْ جُمْلَةِ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ هِيَ أَنَّ الْقُلُوبَ كَانَتْ مُنْفَاوَتَةً وَاشْتِغَالَهَا بِالنَّفْكَرِ فِي أَمْرِ الْإِيمَانِ وَالِدَيْنِ مُخْتَلَفٌ بِاخْتِلَافِ وُضُوحِ الْأَدِلَّةِ، وَبِالْكَثْرَةِ وَالْقَلَّةِ وَتَنَاقُلِ أَنْوَاعٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْآيَاتِ فَلِكُلِّ عَقْلٍ حَظُّهُ مِنَ الْإِدْرَاكِ، وَكَانَتْ الْأَبْصَارُ أَيْضًا مُنْفَاوَتَةً النَّعْلُقِ بِالْمَرْئِيَّاتِ الَّتِي فِيهَا دَلَائِلُ الْوَحْدَانِيَّةِ فِي الْأَفَاقِ، وَفِي الْأَنْفُسِ الَّتِي فِيهَا دَلَالَةٌ فَلِكُلِّ بَصَرٍ حَظُّهُ مِنَ الْإِلْتِقَاتِ إِلَى الْآيَاتِ الْمُعْجَزَاتِ وَالْعَبَرِ وَالْمَوَاعِظِ، فَلَمَّا اخْتَلَفَتْ أَنْوَاعُ مَا تَتَعَلَّقَانِ بِهِ جُمِعَتْ. وَأَمَّا الْأَسْمَاعُ فَإِنَّمَا كَانَتْ تَتَعَلَّقُ بِسَمَاعِ مَا يُلْقَى إِلَيْهَا مِنَ الْقُرْآنِ فَالْجَمَاعَاتُ إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ سَمِعُوهُ سَمَاعًا مُتَسَاوِيًا وَإِنَّمَا يَتَفَاوَتُونَ فِي تَدْبِيرِهِ وَالتَّدْبِيرُ مِنْ عَمَلِ الْعُقُولِ فَلَمَّا اتَّحَدَ تَعَلُّقُهَا بِالْمَسْمُوعَاتِ جُعِلَتْ سَمْعًا وَاحِدًا"^(٣).

- وكذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَآرْهُبُونَ ﴾^(٤).

(١) البقرة / ٧.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٢٨/١).

(٣) التحرير والتنوير، (ج ٢٥٦/١).

(٤) البقرة/ ٤٠.

وقوله: {نعمتي} ، "أي: نعمي، ذكر الجمع بلفظ الوجدان، ومثله كثير في القرآن" (١).

– وكذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢).

{لَوْلَيْنَ اتبعت أهواءهم} "وإن كان الخطاب مع الرسول، ولكن المراد به الأمة كما سبق" (٣).

وجاء في المحرر الوجيز: "وقوله تعالى: وَلَيْنَ آتَبَعْتَ الآيَةَ، خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته، وما ورد من هذا النوع الذي يوهم من النبي صلى الله عليه وسلم ظلما متوقعا فهو محمول على إرادة أمته لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم وقطعنا أن ذلك لا يكون منه فإنما المراد من يمكن أن يقع ذلك منه، وخوطف النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما للأمر" (٤).

– وكذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٥).

{إن في خلق السموات والأرض، والسموات: جمع سماء، وهي سبع سماوات، وكذلك الأرضون سبع، على الصحيح، وإنما ذكر السموات بلفظ الجمع، والأرض بلفظ الواحد؛ لأن كل سماء من جنس آخر. والأرضون كلها من جنس واحد. وهو التراب} (٦).

– وكذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٧).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٤٦/١).

(٢) البقرة/١٤٥.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١٠٩/١).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية، (ج ٢٢٣/١).

(٥) البقرة/١٦٤.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١١٧/١).

(٧) آل عمران/٧.

{هن أم الكتاب}، "أي: أصل الكتاب، فإن قال قائل: لم لم يقل: هن أمّهات الكتاب؟ قيل: قال الفراء: تقديره هن الشيء الذي هو أصل الكتاب، وقال غيره: معناه كل واحدة منهن أصل الكتاب، كما يقال: القوم أسد علي، أي: كل واحد منهن أسد علي"^(١).

- ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾^(٢).

{أني قد جئتكم بآية من ربكم}، "معناه: آيات من ربكم، وإنما اكتفى بذكر الآية؛ لأن الكل دال على شيء واحد"^(٣).

- ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾^(٤).

"والخطاب وإن كان مع الرسول، فالمراد به: الأمة؛ وذلك معنى قوله - تعالى - : ﴿لَوْ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ قيل معناه: وما أصابك من حسنة أيها الإنسان فمن الله، وما أصابك من سيئة، فمن نفسك؛ فيكون الخطاب مع كل أحد من الناس، وقيل: معناه {وما أصابك من حسنة} أي: من النصر، والظفر فمن فضل الله {وما أصابك من سيئة} أي: من هزيمة، وقتل يوم أحد {فمن نفسك} أي: بذنب نفسك من مخالفة النبي كما سبق"^(٥).

- وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِّن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾^(٦).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٢١٦).

(٢) آل عمران / ٤٩.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٣٨).

(٤) النساء / ٧٩.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٥٢).

(٦) الأنفال / ٦٠.

{عَدُو اللَّهِ وَعَدُوكُمْ} "أي: أعداء الله وأعداءكم واحد بمعنى الجمع" (١) ، ولو ذكرهم على الجمع لكان تضخيماً لهم إلا أنه ذكرهم بالمفرد للتقليل من شأنهم ، كما أن ذكرهم بالمفرد يدل على أنهم متساوون في عداوتهم للمسلمين فهم كالشخص الواحد.

- وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَجِيرٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّئَبْيَنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُتْبِتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٢﴾

وقوله: {ثُمَّ نخرجكم طفلاً} ، "أي: أطفالاً، واحد بمعنى الجمع" (٣)، وذكرهم بصيغة المفرد مبالغة في وصف ضعف الإنسان الطفل فالإنسان خلق ضعيفاً .

- وكذلك قول الله ﷻ: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤﴾

وقوله: {أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا} "أي: الأطفال الذين لم يظهروا، واحد بمعنى الجمع" (٥).

- ومن أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا

(١) تفسير السمعاني، (ج ٢/١٠٥).

(٢) الحج / ٥.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٧/٣).

(٤) النور / ٣١.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٣/٨٩).

عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
عَمَمَتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ
لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى
أَنْفُسِكُمْ نَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكََةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿١﴾.

"وقوله: {أو صديقكم} الصديق هو الذي صدقك في المودة، ويقال: الصديق هو الذي ظاهره
مثل ظاهره، وباطنه مثل باطنك، والصديق ها هنا واحد بمعنى الجمع" (٢).

قال الشاعر:

دَعُونَ الْهَوَى نَمَّ ارْتَمِينَ بِأَسْهُمِ أَعْدَاءٍ وَهَنَّ صَدِيقُ (٣)

ومعنى البيت (وهن أصدقاء) إلا أنه عبر عن الجمع بلفظ المفرد، وقد يكون ذلك لشدة
اللحمة والترابط بين الأصدقاء فيصبحون كالشيء الواحد.

- وكذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ
الْبَيَانَ﴾ (٤).

وقوله (خلق الإنسان) "قال قتادة: هو آدم - صلوات الله عليه - وقال الضحاك هو محمد
وعن بعضهم هو جنس الناس واحد بمعنى الجمع مثل قوله تعالى {والعصر إن الإنسان لفي
خسر} (٥) أي الناس" (٦).

فهو على رأي الضحاك مفرد وضع موضع الجمع والمقصود به أن الله خلق الناس جميعاً.

(١) النور / ٦١.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٣ / ١١١).

(٣) البيت على البحر الطويل وهو لجرير.

(٤) الرحمن / ٣.

(٥) العصر / ١.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٤ / ٢٠٠).

- ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِيحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكُوتُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾^(١).

"قوله: {وَالْمَلَكُوتُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} أي: ظهراء وأَعْوَان، واحد بِمَعْنَى الْجَمْعِ، مثل قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَحَسَنَ أَوْلَادِكَ رَفِيقًا} (٢) أي: رُقَقَاء" (٣).

- ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

"قوله - تَعَالَى -: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} الْخَطَابُ مَعَ الرَّسُولِ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْجَمِيعُ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ؛ فَيَكُونُ خَطَابًا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ" (٥).

٧- وضع الجمع موضع المفرد:

وهو على عكس السابق حيث يعبر عن المفرد بلفظ الجمع.

- ومثله قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٦).

"مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ}، يَعْنِي عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدَ، ذَكَرَ الْوَاحِدَ بِخَطَابِ الْجَمْعِ عَلَى مَا هُوَ عَادَةُ الْعَرَبِ" (٧).

فهذا اللون من عادة العرب وهو من صميم العربية وقد يكون جاء اللفظ على الجمع في ذكر الرسول ﷺ تعظيماً وإعلاءً لمقامه صلوات الله عليه.

(١) التحريم / ٤.

(٢) النساء / ٦٩.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٣٣٠).

(٤) المائدة / ٤٠.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٤٣٤).

(٦) البقرة / ١٠٥.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٨٢).

- وكذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

وقيل أراد بالناس في قوله: {من حيث أفاض الناس} إبراهيم، وقد يُسمى الواحد ناساً، كما قال الله تعالى: {الذين قال لهم الناس} (٢) وأراد به: نعيم ابن مسعود الأشجعي وحده، وقرأ الضحاك، وسعيد بن جبير {من حيث أفاض الناس} يعني: آدم عليه السلام (٣).

فأطلق الله سبحانه وتعالى على لفظ إبراهيم عليه السلام أو على لفظ آدم عليه السلام في الآية الكريمة لفظ الناس.

- ومثله كذلك الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (٤).

وكانت الآية قد نزلت في نعيم بن مسعود الذي جاء ليثبط المؤمنين عن الخروج لغزوة بدر، فما كان ردهم إلا أن قال الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه-رضوان الله عليهم -: حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل وكان النصر العظيم في تلك الغزوة.

- ومن ذلك أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٥).

"فإن قال قائل: لم قال: تتوفاهم الملائكة والمتوفى ملك واحد، كما قال: {قل يتوفاكم ملك الموت}؟ قيل: ذكره بلفظ الجمع، والمراد به الواحد، ومثله شائع في كلام العرب، وقيل: إن لملك الموت أعواناً، فلعله أراد مع أعوانه؛ فلذلك ذكر بلفظ الجمع" (٦).

(١) البقرة/١٩٩.

(٢) آل عمران /١٧٣.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/١٤٧).

(٤) آل عمران /١٧٣.

(٥) النساء /٩٧.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٦٨).

- وكذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كِنِّ اللَّهِ يُسَلِّطْ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(١).

"وقوله: {وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ} أي: رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ"^(٢).

٨- وضع الجمع موضع المثني:

- وذلك مثل قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٣).

"إِن قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ قَالَ {أَيْدِيَهُمَا} وَالْمَذْكُورُ اثْنَانِ، وَلَمْ يَقُلْ: يَدَيْهِمَا؟ قِيلَ: لَمْ يَرِدْ بِهِ سَارِقًا وَاحِدًا، أَوْ سَارِقَةً وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْجِنْسَ؛ فَلِذَلِكَ ذَكَرَ الْأَيْدِي. قَالَ الْفَرَاءُ، وَالزَّجَاجُ: كُلُّ مَا يُوْحِدُ فِي الْإِنْسَانِ، فَإِذَا ذَكَرَ مِنْهُ اثْنَانِ يَجْمَعُ؛ يَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَى - {فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}^(٤) وَتَقُولُ الْعَرَبُ: مَالَتْ ظَهْرُهُمَا وَبَطُونُهُمَا ضَرْبًا، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وَاحِدٌ، فَكَذَلِكَ الْيَمِينُ لِلْإِنْسَانِ وَاحِدَةً؛ فَيَجْمَعُ عِنْدَ التَّنْبِيَةِ"^(٥).

- وهو يشير بذلك لقول الله تعالى: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيْلٌ وَصَلِيْحُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمَلٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظٰهِرِيْرٌ ﴾^(٦).

"وقوله: {فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} أي: مَالَتْ قُلُوبُكُمَا عَنِ الصَّوَابِ. وَقَدْ رَوَى " أَنَّهُ كَانَ يَصْغِي الْإِنَاءَ لِلْهَرَّةِ " أي: يَمِيلُ.

وقوله: {قُلُوبُكُمَا} أي: قَلْبَاكُمَا. قَالَ الْفَرَاءُ: هُوَ مِثْلُ قَوْلِ الْعَرَبِ: ضَرَبْتَ ظَهْرَكَمَا، وَهَشَمْتَ رُؤُوسَكَمَا أي: رَأْسَيْكَمَا وَظَهْرَيْكَمَا، وَيُقَالُ: إِنْ أَكْثَرَ مَا فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْجَوَارِحِ اثْنَانِ اثْنَانِ، وَإِذَا هِيَ تَذَكَّرُ بِاسْمِ الْجَمْعِ، فَمَا كَانَ وَاحِدًا جَرَى ذَلِكَ الْمَجْرَى، مِثْلُ: الرَّأْسِ وَالْقَلْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ذَكَرَهُ النَّقَاشُ"^(٧).

(١) الحشر / ٦.

(٢) تفسير السمعاني، (٤/٢٦٥).

(٣) المائدة / ٣٨.

(٤) التحريم / ٤.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/٤٣٣).

(٦) التحريم / ٤.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ٤ / ٣٣٠).

لغة: التغليب هو الترجيح، يقال تغلب على بلد كذا: أي استولى عليه قهراً.

اصطلاحاً: "إِعْطَاءُ الشَّيْءِ حُكْمَ غَيْرِهِ. وَقِيلَ تَرْجِيحُ أَحَدِ الْمَغْلُوبِينَ عَلَى الْآخَرِ أَوْ إِطْلَاقُ لَفْظَةٍ عَلَيْهِمَا إِجْرَاءً لِلْمُخْتَلِفَيْنِ مَجْرَى الْمُتَّفِقَيْنِ" (١).

وتعرض عديد من العلماء للتغليب وبينوا أنواعه وأسبابه، مثل ما جاء في منهاج البلغاء قولهم: "وكذلك التغليب في مثل القمرين إنما يغلب الأرجح من جهة الفصاحة أو البلاغة لفظاً أو معنى. وهذه جملة تحتاج إلى تفصيل" (٢).

وكثر ألفاظ التغليب عند العرب وقد ذكر المبرد منها مثل قولهم: "وكان يقال - وهو الجارى فى كلامهم -: الأسودان: التمر والماء، والأخمران: اللحم والنبيد. وقالوا أيضاً: الأحامرة: اللحم والنبيد والزعفران... والأبيضان: الشحم واللبن. وقيل: اللبن والماء. والأصرمان: الذئب والغراب. والأهيمنان: الجمل الهائج والسيل، وهما الأيهمان أيضاً..." (٣).

وقد ذكر السمعاني التغليب في تفسيره في عدة مواضع وبين أنواعه كذلك وهي كالاتي:

١- تغليب العاقل على غير العاقل :

- وذلك مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤).

"قرأ أبي بن كعب: " ثمَّ عرضها " وهي في الشواذ. ورجع الكناية إلى المسميات التي لا تعقل. والقراءة المعروفة: " ثمَّ عرضهم " فإن المسميات لما جمعت من يعقل ومن لا يعقل؛ كنى بلفظ من يعقل تغليباً له" (٥). يقصد أن القراءة المعروفة كانت بتغليب العاقل على غير العاقل خلافاً لما هي عليه قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه.

- ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ

(١) البرهان في علوم القرآن، (ج ٣/٣٠٢).

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، (ج ١/٣٢).

(٣) الفاضل: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمرير (ت: ٢٨٥هـ)، ط ٣

(القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٤٢١ هـ) (٢١).

(٤) البقرة / ٣١.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/٤٢).

اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ .

"فَإِنْ قِيلَ: قَالَ: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي} وَكَلِمَةٌ " مِنْ " لِمَنْ يَعْقِلُ لَيْسَ لِمَا لَا يَعْقِلُ، وَالْجَوَابُ عَنْهُ: أَنَّهُ إِنَّمَا ذَكَرَ بِكَلِمَةٍ " مِنْ " لِأَنَّ الْكَلَامَ إِذَا جُمِعَ مِنْ يَعْقِلُ، وَمَنْ لَا يَعْقِلُ غَلَبَ مِنْ يَعْقِلُ عَلَى مَا لَا يَعْقِلُ" (٢).

٢- تغليب المذكر على المؤنث:

- ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ .

"فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَمْ قَالَ: {فَمَنْ بَدَّلَهُ} بِعَلَامَةِ التَّنْكِيرِ، وَالْمَذْكَورُ مُؤنثٌ، وَهِيَ: الْوَصِيَّةُ؟ قِيلَ مَعْنَاهُ: فَمَنْ بَدَّلَ أَمْرَ الْوَصِيَّةِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: فَمَنْ بَدَّلَ قَوْلَ الْمُوصِي؛ لِأَنَّ الْوَصِيَّةَ تَصْدُرُ عَنِ قَوْلِ الْمُوصِي؛ فَرَجَعَ إِلَى الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ} (٤) أَي: جَاءَهُ وَعِظٌ، فَرَجَعَ إِلَى الْمَعْنَى، كَذَا وَأَرَادَ بِالتَّبْدِيلِ: تَبْدِيلَ الشُّهَدَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ" (٥). حيث غلب المذكر على المؤنث لوجود محذوف أو لأن المعنى يحمل صيغة المذكر بدلاً من المؤنث.

- وكذلك قول الله تعالى: ﴿يَمْرِيْمُ أَقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكُعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٦﴾ .

قَوْلُهُ: {وَأَسْجُدِي وَأَرْكُعِي} "أَي: وَارْكَعِي وَأَسْجُدِي، وَإِنَّمَا قَالَ: مَعَ الرَّاكِعِينَ، وَلَمْ يَقُلْ مَعَ الرَّاكِعَاتِ؛ لِيَكُونَ أَعْمَ وَأَشْمَلَ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: مَعَ الْمُصَلِّينَ فِي الْجَمَاعَةِ" (٧).

فالله سبحانه وتعالى دعا مريم -عليها السلام- للسجود والركوع مع الراكعين بصيغة المذكر وليس بصيغة المؤنث تغليبا للمذكر، وهو يفيد الشمول والعموم، فلفظ المذكر في القرآن الكريم يقصد به الرجال والنساء كما هي الآيات التي تحتوي على الأمر والنهي في القرآن الكريم. والله أعلم.

(١) النور / ٤٥ .

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٣ / ١٠٢) .

(٣) البقرة / ١٨١ .

(٤) البقرة / ٢٧٥ .

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١ / ١٢٦) .

(٦) آل عمران / ٤٣ .

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٢٣٧) .

٣- تغليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه:

"وهو تغليب ما يمارس بأداته المعهودة على غيره مما يمارس بغير هذه الأداة" (١).

- وذلك مثل قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

{وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}، " قيل: البَاءُ زَائِدَةٌ، وَتَقْدِيرُهُ: وَلَا تُلْقُوا أَيْدِيَكُمْ، وَعَبَّرَ بِالْأَيْدِي عَنِ الْأَنْفُسِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} (٣) أَي: بِمَا كَسَبْتُمْ. وَقِيلَ الْبَاءُ فِي مَوْضِعِهَا، وَفِيهِ حَذْفٌ، وَتَقْدِيرُهُ: وَلَا تُلْقُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ" (٤).

فهو على تقدير المحذوف في قوله ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة، ومن المعلوم أن إهلاك النفس يكون باليد وغيرها، لكنه ذكر اليد تغليباً على غيرها.

- ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٥).

{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ}، "يَعْنِي: بِمَا قَدَّمْتُمْ، وَذَكَرَ أَيْدِيَكُمْ تَأَكِيدًا" (٦).

٤- تغليب الكثير على القليل:

- مثل قول الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٧).

"فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَمْ يَكُنْ كُلُّ قُرَيْشٍ أُمِّيًّا، وَقَدْ قَالَ: {فِي الْأُمِّيِّينَ} وَالْجَوَابُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَاهُمْ أُمِّيِّينَ بِاعْتِبَارِ غَالِبِ أَمْرِهِمْ، وَقَدْ كَانَتْ الْكِتَابَةُ نَادِرَةً فِيهِمْ" (٨).

فأغلب من كان في قريش كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، فغلب الله عز وجل الأكثر على الأقل.

(١) من بلاغة القرآن / ١١٢.

(٢) البقرة / ١٩٥.

(٣) الشورى / ٣٠.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٤٠).

(٥) آل عمران / ١٨٢.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٩٤).

(٧) الجمعة / ٢.

(٨) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٢٩٣).

المبحث السابع

القصر

لغة: الحبس، قال تعالى: "حور مقصورات في الخيام"^(١)، أي قصرن وحبسن على أزواجهن^(٢).

اصطلاحاً: "تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"^(٣).

للقصر طرق متعددة في العربية، وقد بين السمعاني بعضاً منها وهي:

١- القصر بـ (إنما):

- وذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٤).

"قوله تعالى: {إِنَّمَا حرم عَلَيْكُم الميئة} "إنما" للنفي والإثبات؛ لأنها مركبة من حرفي النفي والإثبات "فإن" للإثبات "وما" للنفي"^(٥).

فالسمعاني لم يطلق على (إنما) إفادتها القصر بشكل مباشر، لكنه شرح معناها وبين معنى القصر الذي تحمله حيث أعقب تفسيره للآية بقوله: "تقول: إن في الدار زيدا، يفهم منه وجود زيد في الدار، فإذا قلت: "إنما زيد في الدار" يفهم منه أنه لا أحد في الدار إلا زيد"^(٦)، وهذا المعنى الذي تحمله (إنما) هو معنى القصر.

وهو في هذه الآية قصر التحريم على الميتة والدم... وما ذكرته باقي الآية الكريمة، من المعلوم لدينا أن الله أحل طيبات ما رزقنا وقصر بعض الأطعمة وجعلها من المحرمات، فالحلال كثير والحرام قليل ومحصور.

وفي هذه الآية قصر الصفة على الموصوف.

(١) الرحمن / ٧٢.

(٢) انظر لسان العرب، (قصر).

(٣) من بلاغة القرآن، (١١٣).

(٤) البقرة / ١٧٣.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٢٢).

(٦) المرجع السابق، (ج ١/ ١٢٢).

٢- القصر بالنفي والاستثناء:

- وذلك مثل قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(١).

"قوله تعالى: {الله لا إله إلا هو} ذكره مبالغة في الثناء، وهو مثل قولهم: لا كريم إلا فلان. أبلغ من قولهم: فلان كريم"^(٢).

يوضح السمعاني في كلامه بلاغة القصر وفائدته في الكلام، فقولنا: لا كريم إلا فلان فيه مبالغة في وصف الشخص بالكرم، وإن قلنا: فلان كريم، بدون إدخال النفي والاستثناء؛ فإن هذا التعبير لا يحمل المعنى الذي تحمله الجملة السابقة من المبالغة، وهذا ما ينطبق على الآية العظيمة آية الكرسي، والتي هي لتعظيم الله سبحانه وتعالى من ذكر نعمه وفضله علينا والاعتصام به والاتجاه إليه من كل سوء؛ فإن قلنا: الله إله، ما تناسب هذا الوصف مع مضمون الآية، بيد أن الله -جل وعلا- نفي الألوهية عن غيره وأثبتها له؛ فجعلها في أحسن سمط وأروع بيان ليستشعر القارئ عظمة الله ويبالغ في الثناء عليه. والله أعلم.

- وجاء القصر بالنفي والاستثناء أيضاً في قول الله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(٣).

{وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} "يعني: لا تختلوا بالنصرة عن الملائكة والجن، واعرفوا أن النصر من عند الله"^(٤).

فقصر النصر على الله ﷻ، وهو قصر الصفة على الموصوف.

- ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(٥).

(١) البقرة/٢٥٥.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/١٨٨).

(٣) آل عمران/١٢٦.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٦٨).

(٥) التوبة/٤٧.

'فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: قَدْ قَالَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ: {مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا} أَوْ كَانَ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ فِي خَبَالٍ حَتَّى يَزِيدُوا؟

الجواب: إن معنى الآية: ما زادوكم قُوَّةً؛ بل طلبوا لكم الخبال" (١).

فالله سبحانه وتعالى قصر الزيادة على الخبال -وهو الفساد- وهو قصر الموصوف على الصفة ويشير السمعاني للفتنة المهمة وهي كون الأمر المقصور عليه غير موجود أصلاً في الرسول وصحابته - رضوان الله عليهم - فحاشاهم أن يكون فيهم فساد أو ضعف.

والم تأمل في هذه الآية الكريمة ليجد من حسن السبك وفصاحة التعبير ما يجد، فالآية تتحدث عن أهل النفاق وقد ذكرتهم بالإضمار لضمير الغائب في قول الله عز وجل: (لو خرجوا) أي هم، وفي ذلك إهانة للمنافقين وتعفف عن التصريح بهم، وفي المقابل خاطب الرسول ﷺ بالخطاب المباشر باستخدام ضمير المخاطبة في قولهم: (ما زادوكم) أي أنتم، وهذا فيه تكريم لرسول الله للمؤمنين.

ولأن الآية تتحدث عن المنافقين، الذين هم مصيبة الأمة المسلمة وعامل بارز من عوامل خبالها وضعفها وخطرهم عليها أكبر من خطر الأعداء من المشركين وغيرهم، كانت كلمات هذه الآية متناسقة مع من تتحدث بشأنهم فلم يذكر الله عز وجل لفظ القوة في هذه الآية وإنما ذكر الخبال والفتنة بما يتناسب وموضوع الآية الكريمة. والله أعلم.

كما أن القصر في الآية الكريمة هو قصر موصوف على صفة، فهو قصر إضافي وليس حقيقياً، فالخبال غير مقصور على المؤمنين، وإنما يكون أيضاً في غيرهم، لا بل قد يكون مقصوراً على المنافقين أصحاب الفتن والإفساد في الأرض والله سبحانه وتعالى وصفهم بقولهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (٢).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٢/١٤٠).

(٢) البقرة/١٢.

المبحث الثامن

الفصل والوصل

لغة: الفصل هو بون ما بين الشئين^(١)، والوصل خلاف الفصل، واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع^(٢).

اصطلاحاً: "الفصل في البلاغة أو الكلام ترك عطف بعض الجمل على بعض، والوصل عطف بعضها على بعض"^(٣).

وقد اهتم العلماء منذ وقت مبكر بهذا الفن البلاغي، حتى إن بعضهم قصر البلاغة على معرفة الفصل والوصل وجاء في الصناعتين عن هذه الفن قولهم: "البليغ من كان كلامه في مقدار حاجته، ولا يجبل الفكرة في اختلاس ما صعب عليه من الألفاظ، ولا يكره المعاني على إنزالها في غير منازلها، ولا يتعمد الغريب الوحشي، ولا الساقط السوقي؛ فإن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام"^(٤).

فمن الكلام السابق يتضح أن الفصل والوصل هو الذي ينظم اللآلئ والدرر التي تحتويها البلاغة، وهذا الفن ذو صلة قوية بالمعنى والعلاقات بين الجمل، وذلك منحى دقيق لا يمتلك زمامه إلا ذو السليقة السليمة وهو ما أشار إليه عالم البلاغة عبد القاهر الجرجاني بقوله: "اعلم أن العلم بما ينبغي أن يُصنَع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تُستأنَفُ واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعرابُ الخُلص، وإلا قومٌ طُبِعُوا على البلاغة، وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد. وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدّاً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سُئل عنها فقال: "معرفة الفصل من الوصل"، ذاك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا كمل لسائر معاني البلاغة"^(٥).

(١) لسان العرب، (فصل).

(٢) انظر لسان العرب، (وصل).

(٣) معجم المصطلحات البلاغية، (٥٤٩).

(٤) الصناعتين: تأليف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، د.ط (بيروت-المكتبة العنصرية-١٤١٩ هـ)

(٤٣٨).

(٥) دلائل الإعجاز، (٢٢٢).

ويقول أيضاً: " وأعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه: "إنه خفي غامض ودقيق صعب" إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب"^(١).

وفيه يقول السكاكي أيضاً: " ومدار الفصل والوصل هو ترك العاطف وذكره على هذه الجهات وكذا طي الجمل عن البين ولا طيها وإنما لمحك البلاغة ومنتقد البصيرة ومضمار النظار ومتفاضل الأنظار ومعيار قدر الفهم ومسبار غور خاطر ومنجم صوابه وخطئه ومعجم جلائه وصدائه وهي التي إذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلى " ^(٢).

ومعرفة مواضع الفصل والفصل تتعكس على المعنى الذي يحمله الكلام وقد يؤدي إلى دلالات مختلفة، ومثل ذلك:

- قول الله ﷻ: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ ^(٣).

" قوله - تعالى - {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ} قيل ها هنا تم الكلام، ومعناه: أن الأرض المقدسة مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أبداً، ولم يرد به: تحريم تعبد، وإنما أراد به: تحريم منع، فَإِنَّهُمْ منعوا عنها فلم يدخلوها أبداً، وإنما دخلها أولادهم.

وقيل الآية مُتَّصِلَةٌ بَعْضُهَا بِالْبَعْضِ، وإنما حرمت عليهم أربعين سنة كما قال: {فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً} ^(٤).

فإذا كان الفصل عند قوله تعالى (محرمة عليهم) أي إن التحريم عليهم بدخول الأرض المقدسة أبدي، ولن تكون لهم تلك الأرض - وربما هذا يحمل لنا بشائر النصر القريب فالأرض المقدسة لعباد الله المؤمنين ولن يطول مكوث بني صهيون بها - ويكون التيه قد ضرب عليهم أربعين سنة، أما إذا كان الفصل عند قوله تعالى: " أربعين سنة" فإن التحريم يكون فقط لأربعين سنة والتيه مستمر ليوم القيامة ويكون بذلك وصف لهم، وهو يحمل أيضاً بشائر للنصر فبني صهيون لن تقوم لهم قائمة ولن يكون لهم مكان مستقر وهذا يعني أن دولتهم إلى زوال إن شاء الله.

(١) دلائل الإعجاز، (٢٣١).

(٢) مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ)

تحقيق: نعيم زرزور، ط٢ (لبنان - دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م) (٢٤٩).

(٣) المائدة / ٢٦.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٤٢٥).

كل هذه المعاني والاحتمالات يمكن أن تستنبط من إدراك مواطن الفصل والوصل، وقد حدد العلماء ثلاثة مواضع للوصل، وخمسة مواضع للفصل وقف السمعاني عند بعضها وهي كالاتي:

١- مواضع الوصل :

أ- عطف جملة خبرية على جملة خبرية أخرى:

- وذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةً وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١).

قول تعالى: {وعلى أبصارهم غشاوة} "هَذَا بِنْدَاءِ الْكَلَامِ وَمَعْنَاهُ: عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاءٌ" (٢).

وجاء في فتح القدير: "وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَعَلَى سَمْعِهِمْ هَلْ هُوَ دَاخِلٌ فِي حُكْمِ الْخَتْمِ فَيَكُونُ مَعْطُوفًا عَلَى الْقُلُوبِ أَوْ فِي حُكْمِ التَّغْشِيَةِ، فَقِيلَ: إِنَّ الْوَقْفَ عَلَى قَوْلِهِ: وَعَلَى سَمْعِهِمْ تَامٌّ، وَمَا بَعْدَهُ كَلَامٌ مُسْتَقِلٌّ، فَيَكُونُ الطَّبَعُ عَلَى الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ، وَالْغِشَاوَةُ عَلَى الْأَبْصَارِ كَمَا قَالَهُ جَمَاعَةٌ" (٣).

أي إن العطف بين الجملتين (ختم الله على قلوبهم)، وبين (وعلى أبصارهم غشاوة) هما جملتان خبريتان مستقلتان لاستقلال المعنى فالختم للقلوب والأسماع، أما الغشاوة فهي للأبصار.

ب- الوصل بقصد الإشراك في الحكم الإعرابي: وذلك بأن يكون للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد إشراك الثانية لها في الحكم وهو شبيه بعطف المفرد على المفرد.

- وذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٤).

(١) البقرة / ٧.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٢٨/١).

(٣) فتح القدير، (ج ٤٦/١).

(٤) المائدة / ٥.

{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ} "هَذَا رَاجِعٌ إِلَى النِّسْقِ الْأَوَّلِ، وَمِنْقَطَعٌ عَنِ قَوْلِهِ: {وَطَعَامِكُمْ حَلٌّ لَهُمْ}"^(١).

وجاء في التحرير والتنوير: "عُطِفَ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ عَلَى وَطَعَامِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ عَطْفَ الْمُفْرَدِ عَلَى الْمُفْرَدِ... فَالْتَفِيدُ: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ"^(٢).

وبكلام ابن عاشور يتضح مقصود السمعاني بقوله يرجع إلى النسق الأول، فجملة (المحصنات من المؤمنات) معطوف على طعام الذين أوتوا الكتاب، فكان الوصل بحرف العطف لإشراك الحكم الإعرابي. والله أعلم.

٢- مواضع الفصل :

أ- كمال الاتصال بين الجملتين وذلك أن تكون الجملة الثانية بدلاً من الأولى.

- وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^(٣)

فقوله تعالى: {يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم}، "مذكور على وجه البَدَلِ عَنِ قَوْلِهِ {يسومونكم} وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ^(٤):

مَتَى تَأْتِنَا تَلْمَمٌ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأْجِبَا

وقوله: "تلمم بنا في ديارنا" بدل عن قوله: "متى تأتينا"^(٥).

- أو أن تكون الجملة الثانية بياناً للأولى وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتِيمَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَيْدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٦).

{ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} "فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَيَّ اتِّصَالٍ لِهَذَا بِمَا سَبَقَ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْآيَةِ؟ قَالَ الْمَبْرِدُ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ: مَعْنَاهُ: أَنَّ

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٤١٣).

(٢) التحرير والتنوير، (ج ٦/١٢٣).

(٣) البقرة / ٤٩.

(٤) البيت من الطويل لعبيد الله الجعفي (ت ٦٨ هـ).

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/٥١).

(٦) المائدة / ٩٧.

ألهمتهم ذلك الاحترام، وأن لا يتعزضوا لأهل الحرم؛ فكأنه بين في الآية صنعه مع أهل الحرم، قال: ذلك لتعلموا أن كل ذلك بعلمي، والهامي إياهم.

وقال الزجاج: قد سبق في هذه السورة من الله - تعالى - الإخبار عن الغيوب، والكشف عن الأسرار، مثل قوله: {سمعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك} ومثل إخباره بتحريفهم الكتب ونحو ذلك؛ فقوله: {ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض} راجع إليه^(١).

فالسمعاني يشير باستشهاده بكلام المبرد أن الله أراد أن يبين في هذه الآية الكريمة أن الله عليم بما في السموات والأرض وكل ما سبق كان بقدرته وعلمه.

ب- الجملة الثانية قوية الارتباط بالجملة الأولى لوقوعها جواباً عن سؤال يفهم من الجملة الأولى.

- وذلك مثل قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

"ذكر في الآية الأولى أنهم لا يؤمنون، وذكر في هذه الآية علتها، فقال: {ختم الله على قلوبهم} والختم: هو الطبع، وحقيقته: الاستيثاق من الشيء؛ كيلا يدخله ما هو خارج منه، ولا يخرج عنه ما هو داخل فيه، ومنه الختم على الباب"^(٢).

فكان الله يجيب عن سؤال: لماذا هم لا يؤمنون؟ فيكون ذلك لأن الله ختم على قلوبهم، وهو ما بينه السمعاني بقوله: "ذكر في هذه الآية علتها".

- ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَظَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٨﴾

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٤٦٣).

(٢) البقرة/ ٦، ٧.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٨).

(٤) البقرة/ ٢١٧، ٢١٨.

وقبل الحديث عن موضع الفصل في هذا الموضع علينا أن نبين مناسبة هذه الآيات الكريمة وهي كالاتي: " سَبَبَ نَزُولِ الْآيَةِ: مَا رَوَى " أَنَّ النَّبِيَّ بَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ مَعَ ثَمَانِيَةِ نَفَرٍ قَبْلَ مَكَّةَ، وَدَفَعَ إِلَيْهِمْ كِتَابًا وَقَالَ: لَا تَفْكَوهُ إِلَّا بَعْدَ يَوْمَيْنِ، فَلَمَّا مَضَى يَوْمَانِ فَكُوا الْكِتَابَ، فَإِذَا فِيهِ: امضوا إِلَى بطن النَّخْلِ وَذَلِكَ مَوْضِعُ بَيْنِ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ وَفِيهِ اسْتَعْلَمُوا أَخْبَارَ قُرَيْشٍ، فَنَزَلُوا هُنَالِكَ، وَكَانُوا يَسْتَعْلَمُونَ حُفْيَةَ، فَمَرَّ بِهِمْ عَيْرٌ مِنَ الطَّائِفِ عَلَيْهِمْ عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ مَعَ زَيْبٍ وَأَدَمَ، فَرَمَاهُ وَاحِدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَتَلَهُ وَقَادُوا الْعَيْرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ. وَكَانَ ذَلِكَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرِ، أَوْ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ وَكَانُوا شَاكِنِينَ فِيهِ فَعَبَّرَهُمُ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلِهِمْ ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ "(١).

فجاءت هذه الآية الكريمة لتدافع عن المؤمنين وتبين أن جرم الكفر بالله، والصد عن سبيل الله وإخراج أهل مكة من بيوتهم بسبب إيمانهم أكبر جرماً من القتل في الأشهر الحرم.

ثم جاءت الآية التالية لها لترد على كلام المشركين وتؤكد أن عبد الله بن جحش هو على رجاء الرحمة من الله والله غفور رحيم، وبذلك يقول السمعاني: "قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}، هَذِهِ الْآيَةُ مُتَّصِلَةٌ بِالْأُولَى فِي الْمَعْنَى وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ لَمَّا مَرَّ بِالسَّرِيَةِ وَقَتَلَ ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ مِنْ قَتْلِهِ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنْ لَمْ يُصِيبُوا وَزُرَا فَلَا يَنَالُونَ خَيْرًا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} "(٢).

ج- كمال الانقطاع بين الجملتين: حيث لا ارتباط في المعنى بين الجملتين.

- وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٣).

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ}، قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: قَوْلُهُ {إِلَّا لِيُطَاعَ} كَلَامٌ كَافٍ مُفِيدٌ بِنَفْسِهِ، وَقَوْلُهُ: {بِإِذْنِ اللَّهِ} كَلَامٌ آخِرٌ وَمَعْنَاهُ يَعْلَمُ اللَّهُ وَقَضَاءُ اللَّهِ يَعْنِي: أَنَّ طَاعَتَهُ تَقَعُ بِإِذْنِ اللَّهِ" (٤).

ويتضح من كلام السمعاني أنه يختلف في رأيه عن الزمخشري في تفسير هذه الآية فيقول:

"وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ: وَمَا أَرْسَلْنَا رَسُولًا قَطُّ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ بِسَبَبِ إِذْنِ اللَّهِ فِي طَاعَتِهِ" (٥).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/١٥٧).

(٢) المرجع السابق، (ج ١/١٥٨).

(٣) النساء / ٦٤.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٤٦).

(٥) الكشف، (ج ١/٥٢٨).

فالزمخشري يربط الجملتين بعلّة أو سبب، ولعل ذلك ينعكس على المعنى ويتعلق بأن الإنسان أهو مخير أم مسير في طاعته؟

فإن كانت الآية (بإذن الله) سبب لما قبلها يعني أن الطاعة حصلت بسبب مشيئة الله وإرادته، وكأنه بذلك يفرغ إرادة الإنسان من الطاعة.

أما على المعنى الذي يفسره السمعاني فيتضح أنه لا علاقة بينهما، فالطاعة تكون للرسول ﷺ بكامل إرادة الأمور وهو مسئول عن طاعته ومعصيته، وأمر الطاعة يكون؛ لأن الله أذن بأن يطاع رسوله وهو ما يجب أن يكون، ومن الناس من يعصي الرسل وفي هذه الحالة هو من يتحمل وزر معصيته، فالطاعة والمعصية هي بعلم الله وقضائه.

وهو يردُّ بذلك على المعتزلة الذين يرون أن الطاعة تتم بأمر من الله، وأن الله لم يوجد إلا الخير للإنسان، والشر هو من صنع البشر، أما عقيدة أهل السنة والجماعة يرون أن الله خلق الخير والشر، والإنسان وُضِعَ أمام سبيلين ليختار بينهما ويحاسب على أفعاله بعد ذلك.

المبحث التاسع

الإيجاز والإطناب والمساواة

وهي ثلاث طرق للتعبير عن المعنى، "فإذا جاء التعبير على قدر المعنى، بحيث يكون اللفظ مساوياً لأصل ذلك المعنى فهذه هي المساواة، وهي الأصل الذي يكون أكثر الكلام على صورته، والدستور الذي يقاس عليه.

وإذا أراد التعبير على قدر المعنى لفائدة، فذاك هو الإطناب، فإن لم تكن الزيادة لفائدة فهي حشو أو تطويل.

وإذا نقص التعبير على قدر المعنى الكثير، فذلك هو الإيجاز"^(١).

ولا يُعدّ الكلام في صورة من هذه الصور بليغاً: إلا إذا كان مطابقاً لمقتضى حال المخاطب، ويدعو إليه مواطن الخطاب، فإذا كان المقام للإطناب مثلاً، وعدلت عنه إلى: الإيجاز أو المساواة لم يكن كلامك بليغاً"^(٢).

أولاً: الإيجاز :

"وهو قلة عدد اللفظ مع كثرة المعاني"^(٣)، حيث يعبر عن معانٍ كثيرة بألفاظ قليلة، ولا بد أن تكون مطابقة لحال المخاطب، وواضحة المعاني وهو قسمان:

١- إيجاز بالحذف: بأن يحذف شيء من الجملة، بشرط عدم الإخلال بالمعنى، ووجود دليل يدل على المحذوف وفي ذلك يقول ابن عاشور: " إِنَّكَ تَجِدُ فِي كَثِيرٍ مِنْ تَرَائِبِ الْقُرْآنِ حَدْفًا وَلَكِنَّكَ لَا تَعْتَرُّ عَلَى حَدْفِ يَخْلُو الْكَلَامُ مِنْ دَلِيلٍ عَلَيْهِ مِنْ لَفْظٍ أَوْ سِيَاقٍ، زِيَادَةً عَلَى جَمْعِهِ الْمَعَانِي الْكَثِيرَةَ فِي الْكَلَامِ الْقَلِيلِ " ^(٤).

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ)، تحقيق: يوسف الصميلي، د.ط (بيروت - المكتبة العصرية، د.ت) (١٩٥).

(٢) انظر: جواهر البلاغة (١٩٥).

(٣) انظر: البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، د.ط (بيروت - دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣ هـ) (ج ٢/٢٠).

(٤) التحرير والتنوير، (ج ١/١٢٢).

والإيجاز بالحذف هو كثير في القرآن الكريم، و بين السمعاني العديد من مواضع الحذف في القرآن الكريم، حتى إن الزمخشري بين أنه نهج التنزيل بقوله: " لكلام جيء به على الحذف والاختصار، كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه"^(١).

كما أن للحذف فائدة بلاغية، " وأصل بلاغتها في هذه الوجازة التي تعتمد على ذكاء القارئ والسامع، وتعول على إثارة حسه، وبعث خياله وتنشيط نفسه، حتى يفهم بالقرينة ويدرك بالمحة، ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير"^(٢).

وفي ذلك يقول العلامة عبد القاهر الجرجاني عن الحذف: " هو بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسحر، فإنك ترى به تركَ الذكر، أفصحَ من الذكر، والصمتَ عن الإفادة، أزيدَ للإفادة، وتجدك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تتطَّق، وأتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تبين"^(٣).

— ومن أمثلة الحذف في القرآن الكريم والتي أوردتها السمعاني قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ} " يَعْني: فَضْرِبْ وَنْفَجَرَتْ. هَكَذَا تَقْدِيرُهُ"^(٥).

— ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٦).

" قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ} أي: فَكَيْفَ حَالَهُمْ {إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ} من الْجَزَاءِ {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} "^(٧).

(١) الكشاف، (ج ٤/٦٥٥).

(٢) خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لعلم المعاني): محمد محمد أبو موسى، ط ٧ (القاهرة - مكتبة وهبة، ١٩٩٦ م) (١٥٣).

(٣) دلائل الإعجاز، (١٤٦).

(٤) البقرة / ٦٠.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/٥٧).

(٦) آل عمران / ٢٥.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٢٦).

ومن المعلوم أن كيف أداة للسؤال عن الحال، فحذف كلمة الحال لدلالة السياق عليه.

- ومن الحذف أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١).

" تَقْدِيرُهُ: قَالَتِ الْيَهُودُ: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَهُودِيًّا. وَقَالَتِ النَّصَارَى: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا؛ فَاخْتَصَرَ اخْتِصَارًا" (٢).

- ومثله أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٣).

" مَعْنَاهُ: وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ إِلَّا بِالْيَهُودِيَّةِ، وَلَا النَّصَارَى إِلَّا بِالنَّصْرَانِيَّةِ" (٤).

و حذف لسهولة تقديره وفهمه من سياق الآية.

- وكذلك قدر محذوف في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَايِمِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ إِنَّهُ لَمَلِكٌ تَقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٥).

(قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا) ، {وأبنائنا} أي: أخرجنا من أبنائنا بالسببي، والسببي فيه مُضْمَر، ومثله قول الشاعر (٦):

وَرَأَيْتَ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى مَتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

أي: وحاملاً رمحاً (٧).

(١) البقرة / ١١١.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٨٨).

(٣) البقرة / ١٢٠.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٩٣).

(٥) البقرة / ٢٤٦.

(٦) البيت من البحر الكامل، وهو للشاعر عبد الله بن الزبير (ت ١٥هـ).

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٨٢).

- ومثله أيضاً قول الله تبارك وتعالى: " رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ " (١).

"إن الله لا يخلف الميعاد { فلا تزغ قلوبنا، وارحمنا، ولكنه أوجزه ولم يذكر تمام الدعاء" (٢).

فحذف باقي الكلام لدلالة السياق عليه، فهو مقدر مفهوم من خلال الكلام.

- ومن مواضع الحذف أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوْتِي الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣).

وفي الآية أكثر من موضع للحذف ومنه قوله تعالى: "وتعز من تشاء وتذل من تشاء" فيه ثلاثة أقوال أحدها: تعز من تشاء بالنصر، وتذل من تشاء بالفقر.

والتأني: تعز من تشاء بالغنى، وتذل من تشاء بالفقر.

والتأني: تعز من تشاء بالهداية، وتذل من تشاء بالضلالة" (٤).

ونلاحظ أن ترك المحذوف وتقديره جعل الآية تحتمل أكثر من معنى وهو جانب من جوانب الإعجاز القرآني فقد تكون العزة بالنصر، أو بالغنى أو بالهداية والعكس صحيح كذلك.

وفي ذات الآية حذف آخر في قوله - تعالى - : "بِيَدِكَ الْخَيْرُ" أي بِيَدِكَ الْخَيْرِ وَالشَّرُّ، كَمَا قَالَ: {سرابيل تقيكم الحر} (٥) أي: تقيكم الحر والبرد، فأكتفى بأحد المذكورين عن الآخر" (٦).

فحذف الله عز وجل كلمة (الشر)، تفاعلاً بالخير لأنه مطلوب العباد، أو لأن إضافة الشر إلى الله تعالى ليس من باب الأدب، كما هو قول الرسول ﷺ: والشر ليس إليك.

(١) آل عمران / ٩.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/٢١٩).

(٣) آل عمران/٢٦.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٢٧).

(٥) النحل / ٨١.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٢٧).

- كما أن الحذف مثله في القرآن الكريم في سورة النحل في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (١).

أي سراويل تقيكم الحر وتقيكم البرد أيضاً، لكنه اكتفى بذكر أحدهم وقدر المحذوف الآخر وبعضهم يسمي هذا النوع من الحذف بالطي أو حذف الاكتفاء.

- ومثله قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢).

قوله تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا} "أي: محضر لها ما عملت من الخير والشر، فتسر بما عملت من الخير" (٣).

فالتقدير أن ما عملت من خير محضر وما عملت من شر محضر أيضاً ولكنه اكتفى بذكر أحدهما دون الآخر لدلالة السياق عليه وسهولة تقديره.

- وأيضاً حذف في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٤).

(وأنبثها نباتا حسنا)، "أي وأنبثها فنبتت نباتا حسنا، قال أبو العباس بن عطاء الصوفي: لما أنبتها الله نباتا حسنا، فانظروا إلى ثمرته كيف أثمر الثبات؟ يعني: عيسى صلوات الله عليه" (٥).

- ومن أمثلة الحذف أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٦).

(١) النحل / ٨١.

(٢) آل عمران / ٣٠.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٢٩).

(٤) آل عمران / ٣٧.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٣٢).

(٦) آل عمران / ٥٣.

قيل: مَعَ الشَّاهِدِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ؛ لِأَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ لِلرَّسْلِ بِالْبِلَاغِ، وَقِيلَ: مِنَ الشَّاهِدِينَ عَلَى نُبُوَّةِ عِيسَى^(١).

فَقُدِّرَ مَحذُوفٌ بَعْدَ الشَّاهِدِينَ وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ مَعَ الشَّاهِدِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَوْ مِمَّنْ يَشْهَدُ نُبُوَّةَ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

- ومثله أيضاً قول الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).
 {مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَاتَّقَى الشَّرْكَ^(٣).

- ومن الحذف أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

{فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ}، "قُرئ: " فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ " عَلَى الْوَحْدَانِ، وَهِيَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وَالْمَعْرُوفُ: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ} مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ: مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ: وَهُوَ الْحَجَرُ الَّذِي فِيهِ أَثَرُ أَصَابِعِ قَدَمِ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ قَدْ بَقِيَ أَثَرُهُ فِيهِ، فَانْدَرَسَ مِنْ كَثْرَةِ الْمَسْحِ بِالْأَيْدِي، وَقِيلَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ: جَمِيعُ الْحَرَمِ.

وَمِنَ الْآيَاتِ فِي النَّبِيِّتِ أَيْضًا: أَنَّ الطَّيْرَ يَطِيرُ فَلَا يَعْلُو فَوْقَهُ، كَذَا قِيلَ، وَمِنْهَا: أَنَّ الْجَارِحَةَ إِذَا قَصَدَتْ صَيْدًا، فَإِذَا دَخَلَ الصَّيْدُ الْحَرَمَ كَفَتْ عَنْهُ، وَمِنْهَا: أَنَّهُ مَا قَصَدَهُ جَبَّارٌ إِلَّا قَصَمَهُ اللهُ -تَعَالَى-، وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَطَرَ إِذَا أَصَابَ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ؛ كَانَ الْخَصْبُ بِالْيَمَنِ، وَإِنْ أَصَابَ جَانِبَ الشَّامِ؛ كَانَ الْخَصْبُ بِالشَّامِ، وَإِنْ أَصَابَ جَمِيعَ الْجَوَانِبِ كَانَ الْخَصْبُ جَمِيعَ الْجَوَانِبِ^(٥).

فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَشَارَ أَنَّ لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ وَلَكِنَّهُ عَرَضٌ وَاحِدَةٌ مِنْهَا وَحَذَفَ الْبَاقِي، وَلَعَلَّ ذَلِكَ لِبَيَانِ عِظَمَةِ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَخَصَّهُ بِالذِّكْرِ، وَالتَّنْوِيهِ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ لِتَعَدُّدِ الْآيَاتِ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ.

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٤٠).

(٢) آل عمران / ٧٦.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٤٩).

(٤) آل عمران / ٩٧.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٥٧).

- ومثل الحذف أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَآوَوْا رُدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١).

"وَفِي الْآيَةِ إِضْمَارٌ، وَتَقْدِيرُهَا: وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ قَصَرُوا فِي الْإِخْبَارِ بِهِ، وَكْتَمُوا، [وَإِذَا] جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ" (٢).

والآية تصف المنافقين الذين يكتُمون خبر النصر للمؤمنين ويشيعون خبر الهزيمة؛ ليبينوا الخوف والرعب في صفوف المؤمنين، وما أشبه اليوم بالأمس.

- ومن الحذف أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوِّهِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ (٣).

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: "إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ" مَعْنَاهُ: إِنْ تَبْدُوا شَيْئًا مِنَ الصَّدَقَاتِ؛ لِيَقْتَدِيَ بِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ؛ مَخَافَةَ الرِّيَاءِ {أَوْ تَعْفُوا عَن سُوِّهِ} تَصَابُونَ بِهِ {إِنِ اللَّهُ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا} (٤).

- ومن الحذف أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٥).

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ} "فِيهِ حَذْفٌ، أَيْ: ثَالِثُ ثَلَاثَةِ آلِهَةٍ، وَلَا بُدَّ مِنْ هَذَا التَّقْدِيرِ؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، كَمَا قَالَ: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} (٦).

وقد بين السمعاني وجوب تقدير محذوف لثلاث يخل معنى الآية الصحيح، فما من إله إلا الله وحده لا شريك له.

(١) النساء / ٨٣.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٣٥٥)

(٣) النساء / ١٤٩.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٣٩٣).

(٥) المائدة / ٧٣.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٤٥١).

- ومن الحذف أيضاً قوله تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ عَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

{أجعلتم سقاية الحاج} "وَمَعْنَاهُ: أ جعلتم أهل سقاة الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله. وقرئ: " أ جعلتم سقاة الحاج وعمارة المسجد الحرام " وعلى هذه القراءة لا يحتاج إلى تقدير الأهل" (٢).

فقدر الأهل في القراءة المعروفة حتى تكون المقارنة بين أهل السقاية وأهل عمارة المسجد الحرام من الكفار من جهة وبين أهل الإيمان والتقوى من جهة أخرى، أما على القراءة الثانية، فلا يحتاج المعنى لتقدير محذوف؛ لأن السقاة هم أهل السقاية .

- ومن الحذف أيضاً قول الله تبارك و تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣).

قوله تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتجاورات} " فِيهِ قَوْلَانِ (٤) أَحدهما: أَنْ فِيهِ حَذْفًا؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتجاورات وَغَيْرُ مُتجاورات، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَسَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ} يَعْنِي: وَسَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَالْبُرْدَ" (٥).

أي أن فيه حذف طي أو اكتفاء، ومنهم من يرى أنه لا حذف في الآية وأن المعنى صحيح.

- وكذلك من شواهد الحذف التي ذكرها السمعاني قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ عَامَنُوا أَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

(١) التوبة / ١٩.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ١٢٣).

(٣) الرعد / ٤.

(٤) والقول الثاني أن صحيح وليس فيه حذف. للاستزادة انظر تفسير السمعاني، (ج ٢/ ٣٤٥).

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ٣٤٤).

{وَلَوْ أَن فُرْزْنَا سِيرتِ بِهِ الْجِبَالِ} "مَعْنَاهُ: وَلَوْ قَضِيَتْ أَنْ أُسِيرَ الْجِبَالُ بِكِتَابٍ أَوْ أَقْطَعَ الْأَرْضَ بِهٍ أَوْ أَحْيِي بِهٍ الْمَوْتَى لَفَعَلْتُ بِهَذَا الْقُرْآنَ.

فَإِنْ قِيلَ: هَذَا الْجَوَابُ الَّذِي تَقُولُونَ غَيْرَ مَذْكَورٍ فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا زِيَادَةٌ؟

الْجَوَابُ عَنْهُ، أَنَّ الْجَوَابَ مَحْذُوفٌ، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا، قَالَ الشَّاعِرُ^(١):

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنهَا نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفَسًا

وَمَعْنَاهُ: وَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ لَتَسَلَيْتُ بِهَا، وَلَكِنهَا أَنْفُسٌ كَثِيرَةٌ. وَذَكَرَ الْفَرَاءُ أَنَّ الْجَوَابَ هُوَ: {وَلَوْ أَن فُرْزْنَا سِيرتِ بِهِ الْجِبَالِ أَوْ قَطَعْتَ بِهِ الْأَرْضَ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى} لَمْ يُؤْمِنُوا؛ لَمَا سَبَقَ فِي عَلْمِنَا مَنْ تَرَكَهْمُ الْإِيْمَانُ"^(٢).

فحذف جواب الشرط وهو كثير في العربية، واستدل على ذلك السمعاني ببيت الشعر.

– ومثله في حذف الجواب أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾^(٣).

"جَوَابُ الْآيَةِ مَحْذُوفٌ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الرَّجُلِ إِذَا شَتَمَهُ إِنْسَانٌ: أَيُّهَا الرَّجُلُ لَوْلَا كَذَا أَيُّ: لَوْلَا كَذَا لَشَتَمْتِكَ، فَعَلَى هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} لَنَالَ الْكَاذِبُ مِنْكُمْ الْعَذَابَ فِي الْحَالِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ وَإِمِهَالِهِ لَعَجَلَ عَذَابَهُ"^(٤).

– ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٥). "مَحْذُوفُ الْجَوَابِ، وَجَوَابُهُ: لَنَالَكُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ فِي الْحَالِ"^(٦).

ومن شواهد الحذف قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾^(٧).

(١) البيت من البحر الطويل وهو لامرئ بن القيس.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٢/٣٦١)

(٣) النور / ١٠.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٣/٧٥).

(٥) النور / ٢٠.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٣/٨٠).

(٧) محمد / ٢٠.

"فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ أَخْبَرَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ابْتِدَاءِ الْآيَةِ ثُمَّ قَالَ: {رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَهُمْ الْمُتَنَافِقُونَ، وَالْمُتَنَافِقُ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا؟ وَالْجَوَابُ عَنْهُ: أَنْ فِي الْآيَةِ حَذْفًا، وَمَعْنَاهُ: فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ، فَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ وَاسْتَأْنَسُوا بِهَا. وَرَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}"^(١).

فبتقدير المحذوف اتضح معنى الآية وزال اللبس.

- ومن المحذوف أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِمَّنْ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾^(٢).

"وَقَوْلُهُ: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ} أَي: لَا يَسْتَوِي مَنْ أَنْفَقَ وَقَاتِلَ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَمَنْ أَنْفَقَ وَقَاتِلَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ. وَإِنَّمَا لَمْ يَسْتَوِيَا؛ لِأَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ نَالَهُمْ مِنَ التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ وَالْمَكْرُوهِ وَالشَّدَّةِ قَبْلَ الْفَتْحِ مَا لَمْ يَنْلَهُمْ بَعْدَهُ"^(٣).

- ومن الحذف أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا} "أَي: لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ إِذَا جَاءَ الْأَجَلُ"^(٥).

فكما أن الله لا يؤخر النفس إذا جاء أجلها، فهو أيضاً لا يقدمها، وهذا المعنى مفهوم من سياق الآية والدلالة عليه واضحة.

- ومن الحذف أيضاً قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ} "فِيهِ حَذْفٌ، وَالْمَعْنَى: إِذَا رَأَيْتَ مَا ثُمَّ رَأَيْتَ"^(٧).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٤/٧٧).

(٢) الحديد / ١٠.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٤/٢٣٧).

(٤) المنافقون / ١١.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٤/٣٠٧).

(٦) الإنسان / ٢٠.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ٤/٤٣١).

فالمقدر المحذوف هو ما يراه الإنسان في الجنة من نعيم وملك وقدره السمعاني ب (ما)، وتفسير الآية هو: " وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ، أَيْ إِذَا رَأَيْتَ بَبَصْرِكَ وَنَظَرْتَ بِهِ نَمَّ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ، رَأَيْتَ نَعِيمًا، لَا يُوصَفُ، وَمُلْكًا كَبِيرًا" (١).

ومن المعلوم أن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فحذف المفعول به في الجملة ليترك للفكر البشري القاصر أن يتخيل ما يمكن أن يراه في الجنة، ولن يقدر أن يرسم صورة عن الجنة، نسأل الله أن نكون من أصحابها وأن يرزقنا الله رؤيتها والنتعم بها، إنه هو السميع العليم.

٢- إيجاز بالقصر: "وهو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة من غير حذف" (٢).

- ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣).

"وقيل (٤): الآية في جميع الأمانات، نهي العباد عن الخيانة في الأمانات، وتدخل في الأمانات الطاعات؛ فإن الطاعات أمانات عند العباد على معنى أنها بينهم وبين ربهم أودها أو لم يؤدوها" (٥).

فقصر جميع الطاعات المكلف بها الإنسان بكلمة الأمانات، فهي أمانة على العباد أن يؤدوها بحقها.

- ومن الإيجاز بالقصر أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ (٦).

"وقوله: {وهدوا إلى الطيب من القول} قال ابن عباس: هو شهادة أن لا إله إلا الله، ويقال هو: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وقيل: هو قول أهل الجنة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١ (بيروت - دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ) (ج٥/١٩٤).

(٢) من بلاغة القرآن، (١٣٨).

(٣) الأنفال/ ٢٧.

(٤) أورد السمعاني هذا الرأي بعد ربط الأمانات بسبب نزول الآية وكانت الأمانة في إفشاء سر الرسول صلى الله عليه وسلم -، للاستزادة انظر تفسير السمعاني، (ج٢/٨٨).

(٥) تفسير السمعاني، (ج٢/٨٩).

(٦) الحج/ ٢٤.

صدقنا وعده} وَعَنْ قَطْرِب: أَنَّهُ الْقُرْآنُ، وَيُقَال: هُوَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَقِيلَ: هُوَ الْقَوْلُ الَّذِي يَثْبُتُ بِهِ الْخَلْقُ، وَيَثْبُتُ عَلَيْهِ الْخَالِقُ^(١).

فأوجز الله سبحانه وتعالى كل ما يقال من ذكر وعبادات وتوحيد وعلم وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وإصلاح ذات البين وغيره في كلمة (الطيب)، فسبحانه ما أعظمه وأحلمه وأفصحه وأعجزه.

– ومثل ذلك أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

"وقوله: {وافعلوا الخير} أي: صلة الأرحام ومكارم الأخلاق وسائر وجوه البر"^(٣).
فأوجز كل أفعال البر والإحسان بكلمة الخير.

ثانياً الإطناب :

كما أشرنا فيما سبق، فإن الإطناب هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، وإلا فيكون الكلام حشواً، وحاشى كلام القدوس أن يكون حشواً، إنما لكل حركة وهمسة في القرآن فائدة عظيمة علينا أن نتفكر ونسأله سبحانه أن يهدينا إلى خبايا آيته وحكمته فيها.
وللإطناب صور متعددة ذكر السمعاني بعضاً منها :

١- الإيضاح بعد الإبهام :

– وذلك في مثل قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^(٤).

{يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم} "مذكور على وجه البَدَلِ عَن قَوْلِهِ {يسومونكم} ومثله قول الشاعر^(٥):

(١) تفسير السمعاني، (ج ٣/١٥).

(٢) الحج / ٧٧.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٣/٣٦).

(٤) البقرة / ٤٩.

(٥) البيت من الطويل، لعبد الله الجعفي.

مَتَى تَأْتَانَا تَلْمَمُ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأْجَجَا

وَقَوْلُهُ: " تَلْمَمُ بِنَا فِي دِيَارِنَا " بَدَلَ عَنِ قَوْلِهِ: " مَتَى تَأْتَانَا " (١).

أَيُّ إِنَّهُ بَعْدَ قَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ - يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَضَحَّ بَعْدَ إِبْهَامٍ عَنِ مَا هِيَ الْعَذَابُ مِنْ ذَبْحٍ لِلْأَبْنَاءِ وَسَبِيٍّ لِلنِّسَاءِ.

- وَمِنْهُ أَيْضًا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُورًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُورًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢).

(وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُورًا وَلَعِبًا) " هَذَا بَيَّانٌ لِاتِّخَاذِهِمُ الدِّينَ هُزُورًا فِي الْآيَةِ الْأُولَى " (٣).

فَفِي الْآيَةِ الْأُولَى بَيَّنَّ اللَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الْكَفَّارَ يَتَّخِذُونَ الدِّينَ هُزُورًا، ثُمَّ وَضَحَ بَعْدَ ذَلِكَ وَفَصَّلَ الْقَوْلَ بِاسْتِهْزَائِهِمْ بِالصَّلَاةِ عِنْدَ سَمَاعِهِمْ لَصَوْتِ الْأَذَانِ.

- وَمِنْ أَمْثَلِهِ أَيْضًا قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٦٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٤).

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها} فِي الْخَبَرِ عَنِ أَبِي رَزِينِ الْعَقِيلِيِّ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى؟ فَقَالَ: " أَرَأَيْتَ أَرْضًا مَخْلَاءَ ثُمَّ أَرَأَيْتَهَا خَضْرَاءَ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: هُوَ كَذَلِكَ " (٥).

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِتَوْضِيحِهِ قُدْرَتَهُ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَرْضِ الْمَيِّتَةِ بِإِنْبَاتِ الزَّرْعِ فِيهَا، هُوَ يَشْرَحُ وَيَقْرُبُ الصُّورَةَ فِي قُدْرَتِهِ تَعَالَى لِإِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ، وَكَذَلِكَ فِي إِحْيَاءِ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ الَّتِي طَالَ عَلَيْهَا الْأَمَدُ فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ فَاللَّهُ هُوَ الْهَادِي وَالرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ.

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٥١).

(٢) المائدة / ٥٨، ٥٧.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/٤٤٥).

(٤) الحديد / ١٦، ١٧.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٤/٢٤٢).

٢- ذكر الخاص بعد العام:

- ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١).

"وقوله: {وَجِبْرِيلَ وَ مِيكَالَ} وَإِنْ دَخَلَ فِي جَمَلَةِ الْمَلَائِكَةِ الرَّسُلِ؛ لَكِنْ خَصَّهْمَا بِالذِّكْرِ تَشْرِيفًا" (٢).

فالله سبحانه وتعالى ذكر الملائكة عموماً، ثم خص جبريل وميكائيل بالذكر تشريفاً لهم.

- ومثله أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (٣).

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} حُكِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: الرَّمَّانُ لَيْسَ مِنَ الْفَاكِهَةِ، وَكَذَلِكَ الرُّطْبُ؛ لِأَنَّهُمَا أُفْرِدَا بِالذِّكْرِ عَنِ الْفَاكِهَةِ، وَذَكَرَ الْفَرَاءُ هَذَا أَيْضاً. وَهَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَ غَرِيبٍ، وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الْجَمِيعَ فَاكِهَةٌ؛ لِأَنَّ الْفَاكِهَةَ مَا يَنْفَكُ بِهِ، وَالْإِفْرَادُ بِالذِّكْرِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى نَوْعِ فَضْلِ، لَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْفَاكِهَةِ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى} (٤) وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ} (٥).

فالسمعاني يشير إلى أن النخل والرمان من الفاكهة وخصهم بالذكر بعد العام لبيان فضلهم.

- كما أنه يشير لشاهد آخر وهو قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٦).

فالله سبحانه وتعالى خص الصلاة الوسطى بعد ذكر الصلوات جميعاً بياناً لفضل هذه الصلاة وأهميتها.

(١) البقرة / ٩٨.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٧٨).

(٣) الرحمن / ٦٨.

(٤) البقرة / ٢٣٨.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٢١٢).

(٦) البقرة / ٢٣٨.

- ومن أمثلته أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّتِي يَيْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَى حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمِّرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسْتَزْضِعْ لَهُنَّ أُخْرَى﴾ (١).

"وقوله: {وإن كن أولات حمل} تخصيص بعض ما تناوله اللفظ الأول بالذكر مثل قوله تعالى: {وجبريل وميكال} بعد ذكر الملائكة، قال بعضهم: الآية لبيان مدة النفقة يعني: أن النفقة تجب للحامل وإن طألت مدة حملها إلى أن تضع الحمل" (٢). فالله سبحانه وتعالى ذكر في الآية الأولى (أولات الأحمال)، ثم ذكر بعد ذلك (وإن كن أولات حمل) فحسب رأي السمعاني هو تخصيص بعد ذكر العام كما قوله تعالى: (جبريل وميكال) بعد ذكر الملائكة.

٣- ذكر العام بعد الخاص:

- وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ (٣).

قوله - تعالى - : {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا} فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أي معنى لقوله: {وظلموا} وقد قال: {كفروا} وظلمهم كفرهم؟ قيل: معناه: كفروا بالله، وظلموا محمداً بكتمان نعته، وقيل: ذكره تأكيداً (٤).

والكفر هو ظلم، ولكن الظلم أنواع وهو أعم من الكفر، فقد يكون بذلك ذكر العام بعد الخاص. والله أعلم.

(١) الطلاق / ٤، ٥.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٤/٣٢٢).

(٣) النساء / ١٦٨.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/٤٠٠).

٤- التتميم: "وهو تقييد الكلام بتابع يفيد مبالغة أو صيانة عن احتمال مكروه"^(١).

- وهو من صور الإطناب ومثله قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(٢).

(إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ) {وَمَعْنَاهُ: ابْتِغَاءَ مرضاة الله، وقيل: هُوَ عَلَى الْمُبَالَغَةِ، فَإِنْ قَوْلَ الرَّجُلِ: عملت لوجه فلان أبلغ وأشرف من قوله: عملت لفلان، فَذَكَرْنَا شَرَفَ اللَّفْظَيْنِ"^(٣).

أي أنه زاد لفظ (وجه) للمبالغة في تعظيم الله عز وجل وتشريفه وجاء في روح المعاني: " وإقحام الوجه للتعظيم ودفع الشركة لأنك إذا قلت فعلته لوجه زيد كان أجلاً من قولك: فعلته له لأن وجه الشيء أشرف ما فيه ثم كثر حتى عبر به عن الشرف مطلقاً، وأيضاً قول القائل: فعلت هذا الفعل لفلان يحتمل الشركة وأنه قد فعله له ولغيره ومتى قال: فعلته لوجه انقطع عرق الشركة عرفاً، وجعله كثير من الخلق بمعنى الذات"^(٤).

- ومن التتميم أيضاً قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٥).

{وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ} "إِنَّمَا قَالَ: بِغَيْرِ حَقٍّ تَأْكِيدًا، لِأَنَّ قَتْلَ النَّبِيِّينَ لَا يَنْقَسِمُ إِلَى الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ"^(٦).

- ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧).

{يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ} وقيل: أَرَادَ بِالنِّعْمَةِ: قَدْرَ الْكِفَايَةِ، وَبِالْفَضْلِ: مَا زَادَ عَلَى الْكِفَايَةِ، وَمَعْنَاهُ: لَا يَضِيقُ عَلَيْهِمْ، بَلْ يُوسِعُ فِي الْعَطَاءِ، وَقِيلَ: ذَكَرَ الْفَضْلَ تَأْكِيدًا لِلنِّعْمَةِ"^(٨).

(١) التبيان، (٣٧٧).

(٢) البقرة / ٢٧٢.

(٣) تفسير السمعي، (ج ١/ ٢٠٢).

(٤) روح المعاني، (ج ٢/ ٥٤).

(٥) آل عمران / ٢١.

(٦) تفسير السمعي، (ج ١/ ٢٢٥).

(٧) آل عمران / ١٧١.

(٨) تفسير السمعي، (ج ١/ ٢٩٠).

فَأْتَمَّ قَوْلُهُ بِ (نعمة) بزيادة قوله (وفضل) ليدل على عظم الأجر الذي يكون عليه الشهداء في الجنة، جعلنا الله وإياكم من رفقاءهم في الجنة.

- ومثله أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١).

{سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم} وذكر عدد السبعين للمبالغة في إثبات اليأس (٢).

٥- تكميل الاحتراس: "وهو أن يؤتى بكلام في فن فيرى ناقصاً فيتم بكلام آخر" (٣).

- ومثله في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ} "أي: من حلال ما كسبتم، وفي هذا دلالة على أن الكسب يتنوع إلى الطيب، والخبيث" (٥).

فكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن ينوه إلى أن الإنفاق لا يكون إلا من الطيبات ومما يكسب بالحلال، فهو بذلك يؤكد نوعية الإنفاق، ليتم نقصاً قد لا يفهم جيداً من الآية الكريمة.

- ومثله أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضِلُّهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يَوْمَهُمُ الْمَوْتُ﴾ (٦).

(١) التوبة / ٨٠.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ١٥٧).

(٣) التبيان، (٣٧٣).

(٤) البقرة / ٢٦٧.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٩٩).

(٦) التوبة / ٣٠.

قوله: {ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ} فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: الْإِنْسَانُ لَا يَقُولُ قَوْلًا إِلَّا بِفَمِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ؟

الجواب: أن معناه: أنهم قالوا هذا القول بلا حجة ولا بيان ولا برهان، وإنما كان مجرد قول بلا أصل^(١).

فقول الله عز وجل بأفواههم ليؤكد على أن قولهم كان بلا حجة ولا برهان من تلقاء أنفسهم ولم يكن قولاً من الله ﷻ، وفي ذلك احتراس عن الظن بالله ظن السوء - تعالى وقُدس -.

- ومثله أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٢).

وقوله: {تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} هَاهُنَا عَلَى طَرِيقِ التَّكْيِيدِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ}^(٣) وَمِثْلَ قَوْلِ الْقَائِلِ: نَظَرْتُ بَعِينِي وَمَشَيْتُ بِقَدَمِي^(٤).

٦- الترفي: "هو أن يذكر معنى ثم يردف بأبلغ منه، كقولك عالم نحري، وشجاع باسل"^(٥).

- ومثله في القرآن الكريم قول الله عز وجل: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَادِ ۗ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٦).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٢/١٣٠).

(٢) الحج / ٤٦.

(٣) آل عمران، ١٦٧.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٣/٢٦).

(٥) عروس الأفراح، (ج ٤ / ٤٧٣).

(٦) آل عمران / ١٥، ١٤.

{وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَأْبِ} "فِيهِ تَزْهِيدٌ فِي الدُّنْيَا وَتَرْغِيبٌ فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ أَكَدَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مَطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ}" (١).

فالله سبحانه وتعالى ذكر حسن المأب ثم أردف ذلك بالحديث عن هذا المأب ووصف ما فيه من جنات وأنهار وأزواج مطهرة ورضوان من الله وهو بذلك يزيد بلاغة على بلاغة ويزيد الرغبة فيما هو عند الله عما في الدنيا من نعيم زائل، وبذلك يرتقي الإنسان عن أهوائه ويتعلق بالخالق.

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٢١).

الفصل الثاني

الصورة البيانية في كتاب تفسير السمعاني

ويشتمل على:

- أولاً التشبيه
- ثانياً: الحقيقة والمجاز
- ثالثاً: الاستعارة.
- رابعاً: الكناية.
- خامساً: التعريض.

الفصل الثاني

الصورة البيانية في كتاب تفسير السمعاني

أولاً: تعريف البيان

البيان لغةً: "البيانُ الفصاحةُ واللِّسَنُ، وفي الحديث: "إنَّ من البيان لسحراً"^(١)، وفلان أبيضٌ من فلانٍ، أي أفصح منه وأوضح كلاماً، والبيانُ: ما يَبَيِّنُ به الشيءُ من الدلالة وغيرها"^(٢).

وتطرق السمعاني لتعريف البيان أيضاً أثناء تفسيره لسورة الرحمن في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٣)، فقال: " وَقَوْلُهُ {عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} فَعَلَى الْقَوْلِ الَّذِي قُلْنَا إِنَّ الْمُرَادَ بِهِ آدَمَ فَمَعْنَى تَعْلِيمِ الْبَيَانَ تَعْلِيمِ الْأَسْمَاءِ وَعَلَى الْقَوْلِ الَّذِي يَقُولُ إِنَّهُ مُحَمَّدٌ فَمَعْنَى تَعْلِيمِ الْبَيَانَ هُوَ أَنَّهُ بَيَّنَّ لَهُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَيُقَالُ بَيَّنَّ لَهُ طَرِيقَ الْهُدَى وَطَرِيقَ الضَّلَالَةِ، وَيُقَالُ بَيَّنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَإِذَا حَمَلْنَا عَلَى جِنْسِ النَّاسِ فَمَعْنَى الْبَيَانَ هُوَ الْمُنْطَقُ وَالْكَلامُ وَكُلُّ عَاقِلٍ مُمَيِّزٍ لَهُ بَيَانَ يَعْقِلُهُ وَتَمَيِّزُهُ"^(٤).

فعلى المعنى الخاص بالآية البيان هو التعليم، أما على المعنى العام للناس جميعاً فهو الكلام الفصيح وهو ما عبر عنه بمنطق الكلام .

وهو قريب من مفهوم البيان لدى الجرجاني الذي يعتبر الفصاحة والبيان والبلاغة شيئاً واحداً بقوله: "ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد"^(٥) .

ومع تطور علم البلاغة أصبح البيان علماً بذاته، وهو من أهم فروع البلاغة، وفي ذلك يقول السكاكي: "أما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالانقصاص"^(٦) .

ويشمل علم البيان الموضوعات التالية: التشبيه، والمجاز، والاستعارة، الكناية والتعريض، وبين السمعاني صوراً لهذه الموضوعات سنبينها في هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

(١) صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١ (د.ق. ، دار طوق النجاة ، ١٤٢٢هـ) ، (كتاب النكاح ، باب الخطبة ، ج٧ ، ١٩) .

(٢) الصحاح ، (بين) .

(٣) الرحمن /٤

(٤) تفسير السمعاني ، (ج٤/٢٠٠) .

(٥) دلائل الإعجاز ، ٤٣ .

(٦) مفتاح العلوم ، (١٤٠) .

أولاً التشبيه

لغة: "الشَّبهُ والشَّبهُ والشَّبِيه: المِثْلُ، والجمع أشْبَاهُ، وأشْبَهَ الشيءُ الشيءَ: ماثله، والتَّشْبِيه: التمثيل" (١).

وكان القدماء قد أكثروا من استعمال كلمة " التشبيه " من دون أن يعرفوه، كما أنهم كانوا يعدونه لوناً فنياً جميلاً يفتخرون به ويوردونه في أشعارهم ويعتبرونه من علامات الجودة مثل قول بشار بن برد حين سئل عن سبب سبقه لأبناء عصره في الشعر فقال: "لأنني لم أقبل كل ما تورده علي قريحتي، ويناجيني به طبعي، وبيعته فكري، ونظرت إلى مغارس الفطن، ومعادن الحقائق، ولطائف التشبيهات، فسرت إليها بفكر جيد، وغريزة قوية، فأحكمت سبرها، وانتقيت حرها، وكشفت عن حقائقها، واحترزت عن متكلفها" (٢).

ويتضح من كلام ابن برد أن للتشبيه ضوابط وسمات تبرز من قيمته وتوضح جودته، فلطائف التشبيهات ما كان فيه إعمال فكر جيد وكانت محكمة السبر منتقاة بعيدة عن التكلف فكانوا يعيرون على الشعراء التشبيه الغريب ومن ذلك استغراب الصفدي (٣) من قول الشاعر في وصف شيخ منحني:

كَالْعَيْنِ شَيْخٍ مُنْحَنِ مُطَيَّلِيسٍ أَعْرَفُهُ
تَقْوِيْسُهَا كَظَهْرِهِ وَرَأْسُهَا رَفْرُفُهُ

قلت: هذا تشبيه عجيب، وتخيل غريب إلى الغاية (٤).

ولعل المتأمل في كلام الصفدي بقوله: تخيل غريب، يجد مسلكاً جميلاً في تعامل العرب مع التشبيه فهم يرسمون التشبيه بصورة ذهنية، ويحكمون على جمالها وتناسق صورتها، ولذلك تسمى هذه الموضوعات بالصورة البيانية لأنها تترجم كصورة، والصورة عندهم لا تقتصر على الهيئة أو الرسم بل تتعدى أكثر من ذلك.

(١) انظر لسان، (شبه).

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٥ (د.ق، دار الجيل، ١٩٨١ م) (ج ٢/٢٣٩).

(٣) هو صلاح الدين الصفدي، خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة، ولد في صغد بفلسطين واليها نسبته، وتعلم في دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها، ثم ولع بالأدب وترجم الأعيان. وتولى ديوان الإنشاء في صغد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها . الأعلام للزركلي، (ج ٢/٣١٥) .

(٤) أعيان العصر واعوان النصر: صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (ت: ٧٦٤ هـ)، تحقيق: علي أبو زيد ومجموعة، ط ١ (لبنان، دار الفكر، ١٩٩٨ م) (ج ٤/٣٧٩).

وانظر إلى ما قاله ابن طباطبا العلوي^(١) في كتاب عيار الشعر: "التشبيهات على ضروبٍ مختلفة، فمنها تشبيه الشيء بالشيء صورةً وهيئةً، ومنها تشبيهه به معنىً، ومنها تشبيهه به لوناً، ومنها تشبيهه به صوتاً، ومنها تشبيهه به حركةً وإبطاءً وسرعةً، وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض، فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معانٍ من هذه الأصناف قوي التشبيه، وتأكد الصدق، وحسن الشعر، للشواهد الكثيرة المؤيدة له"^(٢).

فالتشبيه قد يكون هيئةً أو صوتاً أو معنىً أو حركةً أو يكون صورةً تنطق بالحياة وتمتدح فيها كل هذه الصفات .

وكان الشعراء يتنافسون فيما بينهم بتعدد التشبيهات في البيت الواحد كما كان يقول ابن برد: " لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرَهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

أعمل نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في بيت حتى قلت:

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ ^(٣).

فكما شبه امرئ القيس قلوب الطير الرطبة بالعناب، واليابس بالحشف البالي، كذلك شبه بشار بن برد ظلمة النقع بالليل، والسيوف التي تلمع وسط هذا الغبار بالكواكب المضئية، مع ما في هذه الصورة من حركة وصخب فهي تصف السيوف وهي تهوي على الرقاب في وسط المعركة فالصورة الأولى تشبيه متعدد أما الصورة الثانية تشبيه مركب.

و جاء عن ابن أبي الإصبع^(٤) تعريف التشبيه حيث قال: " التشبيه عبارة عن العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حال أو عقد، هكذا حد الرماني^(٥).

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (ت ٣٢٢هـ): شاعر مفلح

وعالم بالأدب، مولده ووفاته بأصبهان. له كتب، منها " عيار الشعر ". الأعلام للزركلي، (ج ٣٠٨/٥).

(٢) عيار الشعر: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (ت: ٣٢٢هـ)

/ تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، د.ط (القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ت) (ص ٢٥).

(٣) الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق: إحسان وبكر عباس، إبراهيم السعافين

ط، ٣ (بيروت، دار صادر، ٢٠٠٨م)، (ج ٣/١٣٦).

(٤) عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت ٦٥٤هـ)، شاعر، من

العلماء بالأدب. مولده ووفاته بمصر. له تصانيف حسنة، منها " بديع القرآن - ط " في أنواع البديع الواردة في

الآيات الكريمة، و " تحرير التحبير"، (ج ٣٠/٤).

(٥) أبو الحسن الرماني، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني (ت ٣٨٤هـ): باحث معتزلي

مفسر، من كبار النحاة، أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد. الأعلام للزركلي، (ج ٣١٧/٤).

وهذا هو التشبيه العام الذي يدخل تحته التشبيه البليغ وغيره^(١).

كما بين أن التشبيه يكون بين شيئين غير متطابقين تمام التطابق، والمشبه به يكون أعلى جودة من المشبه بقوله: "واعلم أن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل وجه، فإن الشئيين إذا تشابها من جميع الجهات اتحدا، ولا يشبه الشيء بما هو دونه في الصفة الجامعة بينهما"^(٢).

وقد بين ذلك السمعاني بقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ط خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣).

"{إن مثل عيسى} أي: صفة عيسى {عند الله كمثال آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون}، يعني: إن خلق عيسى بلا أب مثل خلق آدم بلا أب، ولا أم، وخلق عيسى بلا أب ليس بأبدع من خلق آدم بلا أب ولا أم.

وقال فيه أيضاً: "واعلم أن فيما سبق من التمثيل على جواز القياس دليل، على أن القياس هو رد فرع إلى أصل بنوع شبهه.

وقد رد الله تعالى عيسى إلى آدم بنوع؛ فدل على جواز القياس، والمثل: هو ذكر سائر يستدل به على غيره في معناه"^(٤).

فخلق آدم عليه السلام بدون أم ولا أب هو أبدع وأقوى حجة على من ينكرون خلق عيسى عليه السلام - بدون أب، وقد كان المشبه به الأصل، والمشبه هو الفرع.

وقد عرفه الخطيب القزويني^(٥) بقوله: "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى"^(٦).

(١) تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع

العدواني، البغدادي ثم المصري (ت: ٦٥٤هـ)، تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، د.ط (الجمهورية العربية

المتحدة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ت)، (ج ١/١٥٩).

(٢) تحرير التحرير، (ج ١/١٦١).

(٣) آل عمران / ٥٩.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٤٣).

(٥) هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي (ت ٧٣٩هـ)، المعروف بخطيب

دمشق، من أحفاد أبي دلف العجلي: قاض، من أدباء الفقهاء، أصله من قزوين، ومولده بالموصل، الأعلام

للزركلي، (ج ٦/١٩٢).

(٦) الإيضاح، (٣٢٨).

أما **السمعاني** في تفسيره فقد كثر عليه استخدام لفظ (مثل) في صور التشبيه التي تتطرق لها وعرف المثل بقوله: " المثل: قول سائر في عرف الناس، يعرف به معنى الشيء من الشيء، وهذا أحد أقسام القرآن؛ فإن القرآن على سبعة أقسام" (١).

فالمثل عند السمعاني هو لمعرفة المعاني من خلال التقارب بين الأشياء، ولعله بذلك يقصد التشبيه.

وهو قريب من تعريف الجرجاني للاستعارة بقوله: "أن تُرِيدَ تشبيهَ الشيءِ بالشيءِ، فنَدَعَ أَنْ تُفْصَحَ بالتشبيهِ وتُظْهِرَهُ، وتجيء إلى اسمِ المشبَّه به فتُعَيِّرُهُ المِشْبَبَةَ وتُجْرِيهِ عليه" (٢).

إلا أن تعريف السمعاني يختلف عن تعريف الجرجاني، فالتمثيل يكون لتقريب المعنى والربط بين لمثبه والمثبه به بوجه شبه، أما الاستعارة فجعل المثبه به محل المثبه، وهي أبلغ في التشبيه.

أنواع التشبيه:

تعددت تقسيمات التشبيه وبيان أنواعه بين العلماء المتقدمين، فمنهم من صنفه لنوعين:

التشبيه الأول: تشبيه شيئين متفقين كتشبيه ماء النيل بماء الفرات، وتشبيه شيئين مختلفين بالذات يجمعهما معنى مشترك كقولنا حاتم كالضرعام، ويعتبر التشبيه الأول تشبيه حقيقي وأما التشبيه الثاني هو تشبيه مجاز للمبالغة (٣).

التشبيه الثاني: هو التشبيه المقصود بالبلاغة، وهو ما عناه المبرد بقوله: "واعلم أن للتشبيه حدًا؛ لأن الأشياء تتشابه من وجوه، وتتباين من وجوه؛ فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر فإنما يراد به الضياء والرواق، ولا يراد به العظم والإحراق" (٤).

وهو بذلك يشير إلى المعنى المشترك بين أطراف التشبيه، ويقصد وجه الشبه.

وجاء في كتاب المصون في الأدب أن العرب تشبه على أربعة أضرب وهي: "تشبيه مفرط وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه فمن المفرط قولهم للسحى: هو كالبحر، وسما حتى بلغ النجم ثم زادوا في ذلك فمنه قول بعضهم:

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٢).

(٢) دلائل الإعجاز، (٦٧).

(٣) للاستزادة انظر التحرير والتحرير، (ج ١/١٥٩).

(٤) الكامل في اللغة والأدب، تأليف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣ (القاهرة - دار الفكر العربي، ١٩٩٧م) (ج ٣/٤١).

لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِغْشَارَ جُودِهَا عَلَى الْبِرِّ كَانَ الْبِرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ
وَلَوْ أَنَّ خُلِقَ اللهُ فِي مِسْكِ فَارِسٍ وَيَارِزِهِ كَانَ الْخَلِيُّ مِنَ الذُّعْرِ" (١).

وعند استقرار علوم البلاغة تعددت أنواع التشبيهات لتعدد الاعتبارات، فمنها ما يكون باعتبار طرفي التشبيه، ومنها باعتبار الأداة ومنها باعتبار وجه الشبه، وقد تعرض السمعاني لبعض من هذه الأنواع كالاتي:

← التشبيه باعتبار الطرفين (المحسوس والمعقول) :

١- تشبيه محسوس بمحسوس:

أي أن طرفي التشبيه يدركان بالحواس.

- كقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٢).

وَقَوْلُهُ: {فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ} "أي: الجبال، وَيُقَالُ: كَالْأَعْلَامِ أَي: كَالْقُصُورِ، وَعَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّ السَّفِينَ فِي الْبَحْرِ كَالْجِبَالِ فِي الْبِرِّ" (٣).

فهو يشبه السفن بالجبال وكلاهما محسوس ومعلوم .

- ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ يُحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ (٤).

{كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ} "أي: هم مناظر بلا مخابر، وصور بلا معاني، وَإِنَّمَا مِثْلُهُم بِالْخَشَبِ؛ لِأَنَّ الْخَشَبَ لَا قَلْبَ لَهُ وَلَا عَقْلَ، وَلَا يَعِي خَبْرًا وَلَا يَفْهَمُهُ، وَيُقَالُ فِي الْعَادَةِ: فَلَانَ خَشَبٌ أَي: لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا فَهْمٌ" (٥).

(١) المصون في الادب، تأليف: أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري (ت: ٣٨٢هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٢ (الكويت - مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م)، (٥٧).

(٢) الرحمن / ٢٤.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٢٠٥).

(٤) المنافقون / ٤.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٣٠٢).

فشبه الأجسام الخاوية من المضمون التي لا تعي ولا تفهم بالأخشاب، ومن الملاحظ أن طرفي التشبيه جسيين إلا أن وجه الشبه معقول ويتضمن خواء الجسم من العقل وعدم الفهم .

– ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١) .

وَقَوْلُهُ: {كزرع} مَعْنَاهُ: هم كزرع.

وَقَوْلُهُ: {أخرج شطأه} أي: فزاعه، يُقَالُ: أَشْطَأَ الزَّرْعَ إِذَا فَرَخَ، وَمَعْنَى الْفِرَاحِ: هُوَ أَنَّهُ يَنْبُتُ مِنَ الْحَبَّةِ الْوَاحِدَةِ عَشْرَ سَنَابِلٍ وَأَقْلَ وَأَكْثَرَ.

وَقَوْلُهُ: {فأزره} أي: قواه، وَقُرِيءَ: " فأزره " بِغَيْرِ مَدٍّ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْأَوَّلِ، وَقَوْلُهُ: {فاستغلظ} أي: استحکم واشتدَّ وَقَوِي، وَقَوْلُهُ: {فاستوى على سوقه} أي: انتصب على ساق، وَقَوْلُهُ: {يعجب الزراع} أي: الحراث.

وَهَذَا كُلُّهُ ضَرْبٌ مِثْلَ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ، وَذَكَرَ صِفَتَهُمْ وَمَا قَوَى اللَّهُ بِهِمُ النَّبِيَّ وَنَصَرَهُ بِهِمْ^(٢).

" ولقد ضرب الله لهم مع النبي مثلاً من أروع الأمثلة، فقد بدأ النبي ﷺ الدعوة وحده ثم آمن به قليل من الناس، هذا القليل كثر وزاد حتى أصبح الكل قوة لا يستهان بها كما تقوى الطاقة الأولى من الزرع بالفروع التي تنبت حول الأصل حتى تعجب الزراع، فعل الله معهم ذلك ليغيب بهم الكفار"^(٣).

فضرب مثل تزايد المسلمين وتعاضم قوتهم بنمو الزرع وتزايد وكلاهما محسوس ومعلوم .

٢- تشبيه معقول بمعقول :

أي أن طرفي التشبيه يدركان بالعقل.

(١) محمد / ٢٩ .

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ١٠٣) .

(٣) التفسير الواضح، تأليف: محمد محمود الحجازي، ط ١٠ (بيروت - دار الجيل، ١٤١٣هـ) (ج ٣/ ٤٩٧) .

– مثل قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١).

"يَعْنِي يَبَسَتْ وَجَفَتْ، وَجَفَّافَ الْقَلْبِ بِخُرُوجِ الرَّحْمَةِ وَالرِّقَّةِ عَنْهُ... {فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ} يَعْنِي فِي الصَّلَابَةِ {أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} .

وَلَمْ شَبِهَ بِالْحِجَارَةِ، وَالْحَدِيدُ أَصْلَبُ مِنَ الْحِجَارَةِ؟

وَإِنَّمَا لَمْ يَشَبِهَ بِالْحَدِيدِ؛ لِأَنَّهُ قَابِلٌ لِللِّينِ، فَإِنَّهُ يَلِينُ بِالنَّارِ، وَقَدْ لَانَ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْحِجَارَةُ لَا تَلِينُ قَطًّا" (٢).

فَشَبِهَ قَسْوَةَ الْقَلْبِ بِقَسْوَةِ الْحِجَارَةِ فَيَكُونُ بِذَلِكَ تَشْبِيهُهُ مَعْقُولٌ بِمَعْقُولٍ، وَهُوَ مَا أَيْدِيهِ الزَّرْكَشِيُّ فِي كِتَابِهِ الْبُرْهَانِ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: " أَوْ عَقْلِيَّانِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} " (٣).

فَعَدَّ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ شَوَاهِدِ تَشْبِيهِهِ الْمَعْقُولِ بِالْمَعْقُولِ، وَبَعْضُهُمْ اعْتَبَرَ أَنَّ التَّشْبِيهِ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالْحِجَارَةِ وَبِذَلِكَ يَكُونُ تَشْبِيهُهُ مَحْسُوسٌ بِمَحْسُوسٍ وَمِنْ هَؤُلَاءِ السِّيَاطِي الَّذِي رَدَّ عَلَى رَأْيِ الزَّرْكَشِيِّ بِقَوْلِهِ: " وَمِثَالُ الثَّانِي: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} كَذَا مَثَلٌ بِهِ فِي الْبُرْهَانِ وَكَأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ التَّشْبِيهِ وَقَعَ فِي الْقَسْوَةِ وَهُوَ غَيْرُ ظَاهِرٍ بَلْ هُوَ وَقَعَ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالْحِجَارَةِ فَهُوَ مِنَ الْأَوَّلِ " (٤).

أَيُّ أَنَّ التَّشْبِيهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ النَّوْعِ الْأَوَّلِ وَيَقْصِدُ بِهِ تَشْبِيهِهُ الْمَحْسُوسِ بِالْمَحْسُوسِ (٥).

– وَمِنْهُ أَيْضاً قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ

(١) البقرة / ٧٤.

(٢) انظر: تفسير السمعاني، (ج ١/ ٦٤).

(٣) البرهان في علوم القرآن، (ج ٣/ ٤٢٠).

(٤) الاتقان في علوم القرآن، (ج ٣/ ١٤٣).

(٥) بعضهم اعتبر هذه الصورة استعارة تصريحية مثل الزحيلي في تفسيره، واعتبرها الألوسي استعارة تمثيلية تبعية في تفسيره روح المعاني.

الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرَّبُّواَ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ
وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾.

وقوله: {لَا يَقَوْمُونَ إِلَّا كَمَا يَقوم الَّذِي يتخبطه الشَّيْطَانُ من المَسِّ} "الخبط: ضرب على غير استئواء، يُقال: فلان يخبط خبط عشواء، إذا كان يسلك طريقاً لا يَهْتَدِي إِلَيْهِ. وَمِنْهُ قول الشاعر:

رَأَيْتَ الْمَنَائِيَا خَبِطَ عَشْوَاءَ مَنْ نُصِبَ تُمْتُهُ وَمَنْ تَخَطِيءُ يَعْمُرُ فِيهِمْ

وَمَعْنَاهُ: أَنْ آكل الرِّبَا يَحْشُر يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَثَلِ السَّكَرَانِ، يَقوم تَارَةً، وَيَقَع أُخْرَى، وَقِيلَ: هُوَ مَنْ تخبط الشَّيْطَانُ، وَذَلِكَ أَنْ يَدْخُلَ الْإِنْسَانَ فيصرعه، والمَسِّ: الْجُنُونُ، والخبط: أولُ الْجُنُونِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَحْشُر يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَثَلِ المَصْرُوعِ؛ وَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَكَلَةُ الرِّبَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٢).

فهو يشبه آكل الربا -وفي هذا اللفظ مجاز وإنما المقصود به الآخذون الربا- بمن يقوم مثل المصروع من الجنون وفي كل صورة عقلية يمكن أن نتخيلها، وفي ذلك يقول العلامة العز بن عبد السلام (٣): "يَتَخَبَّطُهُ" يتخنقه الشيطان في الدنيا. {مِنَ الْمَسِّ} وهو الجنون، وذلك لغلبة السوداء، فنسب إلى الشيطان تشبيهاً بما يفعله من إغوائه به، أو هو فعل للشيطان، لجوازه عقلاً، وهو ظاهر القرآن" (٤).

٣- تشبيه المعقول بالمحسوس :

أي أن المشبه معقول والمشبه به محسوس، ولعل هذا النوع هو الأكثر في القرآن الكريم لأنه يرسم الصورة العقلية بصورة حسية تقرب المعنى وترسخه في الأذهان، وهو منطوق جميل لا ينعكس على البلاغة والأدب فحسب، بل إنه منهج من مناهج طرق التدريس الحديثة التي تتجه

(١) البقرة/ ٢٧٥.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٠٤).

(٣) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسليمان العلماء (ت ٦٦٠هـ): فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق، وزار بغداد سنة ٥٩٩ هـ فأقام شهراً، وعاد إلى دمشق، فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي. الأعلام للزركلي، (ج ٤/ ٢١).

(٤) تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي): أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسليمان العلماء (ت: ٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط ١ (بيروت، دار ابن حزم، ١٩٩٦ م)، (ج ١/ ٢٤٥).

نحو تمثيل المعاني في صور حسية لترسيخها في العقل، والله سبحانه وتعالى قد استخدم هذه الطريقة منذ مئات السنين ليعلمنا أمور ديننا، فسبحانه خير معلم وهادي .

- ومن أمثلة هذا النوع قول الله تبارك وتعالى تصويراً لحال المنافقين: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكُهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(١) " {كمثل الذي استوقد ناراً} ضربه مثلاً لما أظهروا باللسان من الإسلام.

{فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ} يعنى: ما استفادوا بذلك الإسلام الظاهر من التجمل والعز والأمان في الدنيا، {ذهب الله بنورهم} قيل: فيه معان: أحدها: ذهب الله بما أظهروا من الإسلام بإظهار عقيدتهم على لسان النبي وقيل: معناه ذهب الله بنورهم، يعنى في القبر. وقيل: في القيامة؛ يعنى أن ما استفادوا به في الدنيا لا ينفعهم في الآخرة إذا كان مصيرهم إلى النار^(٢).

"وذلك أن الله تعالى شبه أعمال المنافقين واغترارهم بما اعتقدوه من مخادعة المؤمنين في إظهار موافقتهم وإبطان مخالفتهم، وأن ذلك يقضي لهم بالفلاح والنجاح، فقال: مثلهم في ذلك وإن كان لا ينفعهم ولا يدفع السوء عنهم، بل يرجع بالويل عليهم، كمثل رجل أوقد ناراً وهو يظن استبانة الطريق بها، فجاءت ضعيفة في إنارتها، ولما أضاعت ما حولها وقدر بقاها على ما بها، خمدت فعاد وهو أسوأ حالاً وأشدّ عمى لأن الناظر في ظلمة بعد ضياء أضعف تبيناً"^(٣).

- ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٤).

وقوله: {فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها} "العروة: الكوز والدلو، والمراد هاهنا بالعروة الوثقى: العقد الوثيق المحكم في الدين.

(١) البقرة / ١٧.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٢).

(٣) الأزمنة والأمكنة: أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت: ٤٢١هـ)، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ) (٣٣٦).

(٤) البقرة / ٢٥٦.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَرَادَ بِهِ كَلِمَةً لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ مُجَاهِدٌ: أَرَادَ بِهِ الْإِسْلَامَ. وَقِيلَ: هُوَ الْقُرْآنُ وَمَعْنَاهُ: فَقَدْ تَمَسَّكَ بِتَمَسُّكَ^(١).

فإنه سبحانه وتعالى وشبه العقيدة وهي اعتقاد وفكر يعتقده الإنسان بالعروة وهي محسوس ؛ لتقريب الصورة وبيان شدة وثوق العقيدة ورسوخها في من يؤمن بالله ﷻ حق الإيمان، جاء في فتح القدير قوله: "وَقَدْ اِخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ الْعُرْوَةِ الْوُثْقَى بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمَثِيلِ لِمَا هُوَ مَعْلُومٌ بِالِدَّلِيلِ، بِمَا هُوَ مُدْرَكٌ بِالْحَاسَةِ"^(٢).

— ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى في تصوير حال من يتبع نفقته بالمن والأذى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

"وَمَعْنَى هَذَا الْمَثَلِ: أَنَّ الَّذِي يَرَائِي بِالْإِنْفَاقِ يَفْرُقُ نَفَقَتَهُ، وَلَا يَفُوزُ بِشَيْءٍ مِنَ النَّوَابِ، كَالْتُرَابِ الَّذِي يَكُونُ عَلَى الْحَجَرِ فَيُصِيبُهُ الْوَابِلُ؛ فَيَفُوتُ الَّذِي عَلَيْهِ، وَيَبْقَى أَمْلَسُ، بِحَيْثُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ"^(٤).

— ويصور القرآن الكريم أيضاً الصورة المقابلة لهذه، أي يصور حال المنفق ابتغاء مرضاة الله ﷻ لا يطلب رياءً ولا يتبع بأذى أو من بقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٥).

"وَمَعْنَى هَذَا الْمَثَلِ: أَنَّ الَّذِي يَنْفِقُ خَالِصًا لَوْجِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَخْلَفُ نَفَقَتَهُ، بَلْ تَنْمُو وَتَزْكُو بِكُلِّ حَالٍ: كَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي عَلَى الرَّبْوَةِ لَا تَخْلَفُ، بَلْ تَنْمُو وَتَزْكُو بِكُلِّ حَالٍ سَوَاءً أَصَابَهَا الْوَابِلُ، أَوْ أَصَابَهَا الطَّلُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الطَّلَّ إِذَا كَانَ يَدُومُ يَعْمَلُ عَمَلَ الْوَابِلِ الشَّدِيدِ"^(٦).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/١٩١).

(٢) فتح القدير، (ج ١/٣١٦).

(٣) البقرة / ٢٦٤.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/١٩٧).

(٥) البقرة/ ٢٦٥.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/١٩٨).

— كما أن الله تعالى ضرب مثلاً أيضاً فيمن يضيع كل عمله وليس مجرد إنفاقه؛ لأنه يحبطه برباء أو سوء في آخر عمره بقوله تعالى: ﴿ أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نُجَيْلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١).

"وَتَمَامِهِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ضَرَبَ هَذَا مَثَلًا لِلَّذِي يَعْمَلُ طَوِيلَ عَمْرِهِ عَمَلًا، ثُمَّ يَحْبُطُهُ بِرِبَاءٍ أَوْ بِشَيْءٍ فِي آخِرِ عَمْرِهِ، فَيَفُوتُهُ ذَلِكَ، وَلَا يَنْفَعُهُ فِي أَحْوَجِ حَالٍ يَكُونُ إِلَيْهِ؛ كَالَّذِي لَهُ بُسْتَانٌ ذَاتُ أَشْجَارٍ، وَثَمَارٍ وَأَنْهَارٍ، فَيُدْرِكُهُ الْكِبَرُ، وَلَهُ عِيْلَةٌ كَبِيرَةٌ وَأَوْلَادُهُ صَعَارٌ، فَلَمَّا قَرِبَ إِذْرَاكُهُ وَاحْتِيَاجُ إِلَيْهِ، أَصَابَتْهُ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْهُ، فَيَفُوتُهُ ذَلِكَ (وَلَا يَنْفَعُ) فِي أَحْوَجِ حَالٍ يَكُونُ إِلَيْهِ" (٢).

"وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ؟ أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَالَ عُمَرُ: يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلَا تُحَقِّرْ نَفْسَكَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضَرَبْتَ مَثَلًا لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: أَيُّ عَمَلٍ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِرَجُلٍ عَنِ يَعْزَلِ لِبَطَاعَةِ اللَّهِ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمَلَ فِي الْمَعَاصِي حَتَّى أَعْرَقَ عَمَلَهُ، وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عُمَرَ قَالَ: هَذَا مَثَلٌ ضَرِبَ لِإِنْسَانٍ يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ آخِرِ عَمْرِهِ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ عَمَلٌ عَمَلِ السُّوءِ" (٣).

— ويصور الله ﷻ من ينفق ماله رياء بصورة أخرى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٤) مَثَلٌ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٤).

"شَبَّهَ إِنْفَاقَهُمْ بِزَرْعِ اجْتَاخَتِهِ جَائِحَةٍ أَوْ أَصَابَتْهُ رِيحٌ بَارِدَةٌ فَأَهْلَكَتَهُ، وَاجْتَلَفُوا فِي تِلْكَ النَّفَقَةِ: قَالَ بَعْضُهُمْ: أَرَادَ بِهِ: إِنْفَاقَ أَبِي سُفْيَانَ يَوْمَ بَدْرٍ وَأَحَدَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَقِيلَ أَرَادَ

(١) البقرة / ٢٦٦.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٩٨).

(٣) فتح القدير، (ج ١/ ٣٣١).

(٤) آل عمران / ١١٧.

به: إِنْفَاقَ الْمَرْءِ الَّذِي يَنْفِقُ مَالَهُ رِيَاءَ وَسُمْعَةً، لَا يَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ" (١).

– ومن صور تشبيه المعقول بالمحسوس أيضاً تصوير الله ﷻ حال المنافقين وقت الشدائد والمحن فيقول الله ﷻ: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴾ (٢).

و {رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} "أي: شخصوا بأبصارهم نحوك، ونظروا نظراً شديداً، شبه الشاخص بصره عند الموت، وإنما أصابهم مثل هذا؛ لأنهم إن قاتلوا خافوا الهلاك، وإن لم يقاتلوا خافوا ظهور النفاق" (٣).

– فهم من شدة خوفهم وذعرهم كانت نظراتهم كالمحتضر الذي اقترب من الموت، وهذه الصورة مكررة في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٨) أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالْأَسِنَّةِ جِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (٤).

وقوله: {فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} "والمغشي عليه من الموت قد ذهب عقله، وشخص بصره، وهو المحتضر الذي قرب من الموت" (٥).

ومن يدقق النظر في الآيتين السابقتين يجد أن آيات القرآن تفسر بعضها بعضاً في توضيح الصورة البيانية مما يعكس قوة الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ففي الآية الأولى ذكر الله وجود تشابه بين المحتضر الذي يقترب من الموت والمنافق الذي يشعر بالخوف والرعب دون أن يبين وجه الشبه فيما بينهما، أما في الآية الثانية فذكر الله ﷻ وجه الشبه بقوله: (تدور

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٦٤).

(٢) محمد / ٢٠.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٤/٧٧).

(٤) الأحزاب / ١٩.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٣/٣٣٢).

أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) أي أن وجه الشبه هو دوران العين ونظراتهم التي تشبه نظرات المحتضر . والله أعلم .

– ومن تشبيه المعقول بالمحسوس قول الله ﷻ: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١).

قوله تعالى: {مثل الذين حملوا التوراة} أي: حملوا القيام بها واستعمالها، وهو من الحمالة وليس من الحمل أي: ضمناً القيام بها والعمل بما فيها.

وقوله: {ثم لم يحملوها} أي: ضيعوها ولم يعملوا بما فيها {كمثل الحمار يحمل أسفاراً} قرأ ابن مسعود: " كمثال حمار يحمل أسفاراً " والأسفار جمع سفر، والسفر هو الكتاب، فجعل الكفار لما ضيعوا كتاب الله ولم يعملوا بما فيه مثل الحمر تحمل الكتب ولا تدري ما فيها" (٢).

فعدم العمل بما كلفوا بفعله، كمثال الحمار الذي يحمل الكتب وهو لا يدري ما فيها، والمتأمل في كلام السمعاني يتبين أن الذين حملوا التوراة لم يكن عندهم سوء فهم لما جاء في التوراة، إنما كانوا يعلمون ما فيها إلا أنهم لم يفعلوه ولم يستعملوه ؛ فأنزلهم الله منزلة الحيوانات التي لا تعقل ولا تفهم .

– ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

قوله تعالى: {اتخذوا أيمانهم جنة} أي: سترت لما أبطنوه من الكفر. وقيل: جنة أي: يترسوا بها عن القتل، مثل المجن يترس بها المقاتل عن سلاح العدو" (٤).

فهم اتخذوا أيمانهم سترت تحميهم من الكفر الذي استقر في قلوبهم، مثل ما يحتمي المقاتل من سلاح العدو بمتراسه .

٤- تشبيه المحسوس بالمعقول :

حيث يكون المشبه محسوساً، والمشبه به معقولاً في هذه الحالة.

(١) الجمعة / ٥.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٢٩٥).

(٣) المنافقون / ٢.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٣٠١).

– ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

وقوله: {كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ} "ضربه مثلاً لِلْمُتَّقِينَ وَمَا وَعَدَ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى الْإِنْفَاقِ، فَإِنَّ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ ضَرَبَ الْمَثَلُ بِهِ، وَهَلْ يَنْصَوِّرُ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ؟

قيل: لَمَا كَانَ ذَلِكَ مَتَصَوِّرًا فِي الْجُمْلَةِ، صَحَّ ضَرْبُ الْمَثَلِ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ، وَمَثَلُهُ مَا قَالَهُ أَمْرُؤُ الْفَيْسِ:

(ومسنونة زرق كأنياب أغوال ...)

وناب الغول لا يعرف، ولكن لما تصور وجوده بِالْجُمْلَةِ مَثَلٌ بِهِ " (٢).

وفي ذلك يقول الزمخشري: " وهذا التمثيل تصوير للإضعاف، كأنها ماثلة بين عيني الناظر: فإن قلت: كيف صحَّ هذا التمثيل والممثل به غير موجود؟ قلت: بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما، وربما فرخت ساق البرة في الأراضى القوية المقلة فيبلغ حبها هذا المبلغ، ولو لم يوجد لكان صحيحاً على سبيل الفرض والتقدير " (٣).

ويعقب ابن عرفة^(٤) في تفسيره على رأي الزمخشري بقوله: " وجعله الزمخشري وأبو عطية من تشبيه المحسوس بالمحسوس قبل الوجود، زاد الزمخشري: أو تشبيه محسوس بمعقول مقدر الوجود" (٥).

وقد يكون ذلك من تشبيه المعقول بالمحسوس على اعتبار أن الإنفاق مرتبط بالنية ليكون في سبيل الله والحب محسوس .

(١) البقرة / ٢٦١.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٩٦).

(٣) الكشاف، (ج ١/ ٣١٠).

(٤) محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، أبو عبد الله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، مولده ووفاته فيها، تولى إمامة الجامع الأعظم سنة ٧٥٠ هـ، وقدم لخطابته سنة ٧٧٢ وللفتوى سنة ٧٧٣. الأعلام للزركلي، (ج ٧/ ٤٣).

(٥) تفسير ابن عرفة: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت: ٨٠٣ هـ)، تحقيق: جلال الأسيوطي، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨ م) (ج ١/ ٣١٩).

أنواع التشبيه

استقرت علوم البلاغة على تقسيم التشبيه إلى أربعة أقسام وهي:

التشبيه البليغ، والتمثيلي، والتشبيه الضمني، والتشبيه المقلوب، وتعرض السمعاني لثلاثة أنواع منها دون أن يذكرها باسمها إلا أنه بينها وفصلها ومن خلال كلامه، قمت بتصنيف هذه الشواهد وهي كالتالي:

١- التشبيه البليغ:

"هو التشبيه الذي يحذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه، وسموا مثل هذا بليغاً لما فيه من اختصار من جهة وما فيه من تصوير وتخيل من جهة أخرى" (١).

– ومن أمثله قول الله ﷻ: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً} "أي: سترة لما أبطنوه من الكفر. وقيل: جنّة أي: يترسوا بها عن القتل، مثل المجن يتترس بها المقاتل عن سلاح العدو" (٣).

فمن الملاحظ أنه ذكر المشبه وهو الأيمان، وذكر المشبه به وهو (جنّة) أي سترة، وحذف وجه الشبه وأداة التشبيه.

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَعَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٤).

قوله تعالى: (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ) "وَفِي تَقْدِيرِهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ تَقْدِيرُهُ وَلَكِنَّ ذَا الْبِرِّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ، وَالثَّانِي: أَنْ تَقْدِيرُهُ: وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ" (٥).

(١) معجم المصطلحات البلاغية، (٣٣٠).

(٢) المنافقون / ٢.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٤/٣٠١).

(٤) البقرة / ١٧٧.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/١٢٤).

فعلى القول الثاني هناك تشبيه بليغ حيث أنه شبه البر بمن آمن بالله ﷻ، وهو أيضاً تشبيهه مقلوب لأن المشبه أعلى منزلة من المشبه به وكأن البر انحصر على الذي آمن بالله. والله أعلم.

٢- التشبيه التمثيلي:

ذكرت في بداية حديثي عن التشبيه أن التشبيه في اللغة هو التمثيل، وقد أكثر السمعاني من ذكر التمثيل في تفسيره في إشارة إلى التشبيه بشكل عام، إلا أن التشبيه التمثيلي الذي نقصده في هذا البند "هو ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور" (١)، ويكون فيه وجه الشبه مركب.

ويقول الجرجاني في التشبيه التمثيلي: "وإذ قد عرفت الفرق بين الضربين، فاعلم أن التشبيه عامٌ والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيهي، وليس كل تشبيه تمثيلاً" (٢).

ويتميز التشبيه التمثيلي بكثرة الجمل فيه، وكأنه يحاول أن يرسم صورة متشابهة متكاملة لبيئتها وكلما كان المعنى الذي يحاول أن يمثله التمثيل عقلياً محضاً كانت الجمل أكثر وفي ذلك يقول الجرجاني: "والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلاً لبُعده عن التشبيه الظاهر الصريح، ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر، حتى إن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقلياً محضاً، كانت الحاجة إلى الجملة أكثر" (٣).

وهو ما نلاحظه في الآيات القرآنية التي تتلون بجمال التشبيه التمثيلي، وللمعاني جهد بارز في توضيح هذه الصورة المتشابهة وبسط المشبهات ومقابلتها بالمشبه به مع بيان وجه الشبه.

– ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ تُوْرٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٤).

"وقوله: {المصباح في زجاجة} الزجاجة شيء معلوم، وهو جوهر له ضياء، فإن قيل: لم خص الزجاجة بالذكر؟ قلنا: قال أبي بن كعب: المشكاة الصدر، والزجاجة القلب، والمصباح

(١) الإيضاح / ٣٧١.

(٢) أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط١ (جدة، دار المدني، ١٩٩١م)، (٩٥).

(٣) أسرار البلاغة، (١٠٨).

(٤) النور / ٣٥.

الإيمان، فَإِنَّمَا ذَكَرَ الزَّجَاجَةَ؛ لِأَنَّ الْمُصْبَاحَ فِيهَا أَضْوَاءٌ^(١)، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَكَرَ الزَّجَاجَةَ؛ لِأَنَّهَا إِذَا انْكَسَرَتْ لَا يَنْتَفِعُ مِنْهَا بِشَيْءٍ، كَذَلِكَ الْقَلْبُ إِذَا فَسَدَ لَا يَنْتَفِعُ مِنْهُ بِشَيْءٍ^(٢).

فالسَّمْعَانِي يشرح الصورة البيانية ويرد كل مشبه إلى المشبه به، ويتعمق في ذكر وجه الشبهه فالله سبحانه وتعالى يشبه القلب بالزجاجة لأن الزجاجة لا تحجب النور الذي بداخلها كما القلب لا يحجب الإيمان بل يزيده إشعاعاً، وهناك من قال أن وجه الشبهه يتمثل في أن الزجاجة تنكسر ولا يسهل إصلاحها، كذلك القلب إذا فسد لا يسهل إصلاحه .

ويسهب السمعاني في شرح الصورة ويتعمق فيها فيقول: " وَقَوْلُهُ: {الزجاجة كأنها كوكب دري} شبه الزجاجة بالكوكب، قَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا الْكَوْكَبُ هُوَ الزَّهْرَةُ فَإِنَّهَا أَضْوَاءٌ كَوْكَبٌ فِي السَّمَاءِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْكَوْكَبُ الْخَمْسَةُ زَحَلٌ وَمَشْتَرِيٌّ وَالْمَرِيخُ وَعُطَارِدٌ وَزَهْرَةٌ، فَإِنْ قِيلَ: لِمَ لَمْ يَشْبَهْ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؟ قُلْنَا: لِأَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَلْحَقُهُمَا الْكُسُوفُ، وَالنَّجْمُ لَا يَلْحَقُهَا الْكُسُوفُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: {كوكب دري} مَنْسُوبٌ إِلَى الدَّرِّ، وَنَسَبَهُ إِلَى الدَّرِّ لِصِفَائِهِ وَلَوْنِهِ " ^(٣).

فهو يبين قيمة وصف الكوكب بالدري ليدل على الصفاء وجمال لون هذا الكوكب، بما ينعكس ذلك على جمال هذا القلب المنير الصافي الذي يملؤه نور الله ﷻ .

ويتعمق السمعاني في شرح الصورة ليبين ما هو النور المقصود في الآية الكريمة، وما هو المعنى العام للتمثيل: " وَأَعْلَمُ أَنَّهُ اخْتَلَفَ الْقَوْلُ فِي مَعْنَى التَّمْثِيلِ: مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: التَّمْثِيلُ وَقَعٌ لِلنُّورِ الَّذِي فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: التَّمْثِيلُ وَقَعٌ لِلنُّورِ الْفُرْآنِ، وَأَمَّا إِذَا قُلْنَا: إِنَّ التَّمْثِيلَ وَقَعٌ لِلنُّورِ الَّذِي فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ فَهُوَ ظَاهِرُ الْمَعْنَى كَمَا بَيَّنَّا^(٤). فهو يرجح أن يكون هذا التمثيل للنور الذي في قلب المؤمن، ويستكمل شرح الصورة بقوله: " وَقَوْلُهُ: {يكاد زيتها يضيء} أَي: يَكَادُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ يَعْرِفُ الْحَقَّ قَبْلَ أَنْ يَبِينَ لَهُ لِمَوَافَقَتِهِ إِيَّاهُ، وَقَوْلُهُ: {نور على نور} أَي: نَورُ الْعَمَلِ عَلَى نَورِ الْإِعْتِقَادِ، وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ أَنَّهُ قَالَ: الْمُؤْمِنُ بَيْنَ خَمْسَةِ أَنْوَارٍ: قَوْلُهُ نَورٌ، وَعَمَلُهُ نَورٌ، وَمَدْخَلُهُ نَورٌ، وَمَخْرَجُهُ نَورٌ، وَمَصِيرُهُ إِلَى النُّورِ، وَعَنْ غَيْرِهِ أَنَّهُ قَالَ: الْمُؤْمِنُ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَحْوَالٍ: إِنْ أُعْطِيَ شُكْرًا، وَإِنْ ابْتُلِيَ صَبْرًا، وَإِنْ قَالَ صَدَقَ، وَإِنْ حُكِمَ عَدْلًا^(٥).

(١) قد يكون هناك خطأ في التحقيق، ولعل الكلمة هي أضواء، أي أكثر إضاءة.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٣/٩٤).

(٣) المرجع السابق، (ج ٣/٩٤).

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٣/٩٦).

(٥) المرجع السابق، (ج ٣/٩٦).

ويرسم السمعاني الصورة الثانية لهذا التشبيه إن كان النور المقصود هو نور محمد ﷺ بقوله: "وَإِذَا قُلْنَا: النَّمَثِيلُ وَقَعَ لِنُورِ مُحَمَّدٍ، فَاَلْمَشْكَاءُ صَدْرُهُ، وَالزَّجَاجَةُ قَلْبُهُ، وَالْمَصْبَاحُ هُوَ نُورَةُ النَّبُوَّةِ. وَقَوْلُهُ: {تَوَقَّدَ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ} الشَّجَرَةُ الْمُبَارَكَةُ هُوَ إِبْرَاهِيمُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - وَذَكَرَ زَيْتُونَةٌ، لِأَنَّهَا أَبْرَكَ الْأَشْجَارَ عَلَى مَا بَيْنَا؛ وَلِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ نَزَلَ الشَّامَ، وَفِي زَيْتُونِ الشَّامِ مِنَ الْبُرْكَاتِ مَا لَيْسَ لغيرِهِ مِنَ الْبِلَادِ.

وَقَوْلُهُ: {لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ} مَعْنَاهُ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يُصَلِّي إِلَى الْمَشْرِقِ وَلَا إِلَى الْمَغْرِبِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا} وَالْيَهُودُ يَصْلُونَ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَالنَّصَارَى إِلَى الْمَشْرِقِ. وَقَوْلُهُ: {يَكَادُ زَيْتَانُ يَضِيءُ} وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ {مَعْنَاهُ: لَوْ لَمْ يَكُنْ إِبْرَاهِيمُ نَبِيًّا لِأَلْحَقَهُ اللَّهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ بِالْأَنْبِيَاءِ فِي دَرَجَاتِهِمْ، وَيُقَالُ مَعْنَاهُ: أَنَّ مُحَمَّدًا لَوْ لَمْ تَأْتِهِ مَعْجَزَةٌ لَدَلَّتْ أَحْوَالُهُ عَلَى صِدْقِهِ وَعَلَى نُبُوَّتِهِ، وَقَوْلُهُ: {نُورٌ عَلَى نُورٍ} أَي: نُورٌ مُحَمَّدٌ عَلَى نُورِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَوْلُهُ: {يَهْدِي يَعْني: يَهْدِي اللَّهُ لِلْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ مِنْ يَشَاءُ، وَهَذَا كُلُّهُ مَعْنَى مَا رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَفِي الْآيَةِ كَلَامٌ كَثِيرٌ ذَكَرَهُ أَصْحَابُ الْخَوَاطِرِ لَا يَشْتَغَلُ بِهِ، وَهَذَانِ الْقَوْلَانِ هُمَا الْمَعْرُوفَانِ} (١).

هذا التفصيل الذي أورده السمعاني يعكس منهجه في شرح الصور البيانية وخصوصاً التمثيلية منها، فهو يهتم بمعنى الآيات ويقراها قراءة بلاغية فنية ويحلل تحليلات رائعة تعكس فكره المستنير المقتبس من الفكر الإسلامي .

ويتعرض السمعاني في تفسيره للعديد من الصور التمثيلية، والملاحظ أن معظمها هو من تشبيه المعقول بالمحسوس بغية توضيح القضايا العقائدية والفكرية، وتتميز هذه الآيات بالطول وكثرة الجمل.

- ومن هذه الصور قول الله ﷻ: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً} "النَّعِقُ: صَوْتُ الرَّاعِي بِالْغَنَمِ قَالَ الْأَخْطَلُ:

فَانعق بضأنك يا جرير فإنما منتك نفسك في الخلاء ضلالاً (٣)

(١) تفسير السمعاني ، (ج٣/٩٧).

(٢) البقرة / ١٧١.

(٣) البيت من الكامل وهو للأخطل.

وفي الآية مَحْدُوفٍ مقدره. وتقديرها: مثل الكفار ومثلك يا مُحَمَّدٌ في دُعَائِهِمْ كَمَثَلِ الرَّاعِي ينعق بالغنم وهي لا تسمع إلا صوتاً ولا تفهم إلا دعاءً.

قال ابن الأنباري: أراد بالذي ينعق: الصائح في الجبل يصيح فيسمع صوتاً؛ وهو الصدى، وليس هناك معقول ولا مفهوم، وضرب المثل به للكفار في قلّة الفهم والعقل^(١).

— ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانَهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

لخص السمعاني شرح الآية بقوله: "وأعلم أن المراد من الآية: هو التمثيل والتشبيه في قلّة النّبّات والقرار وسوء العاقبة"^(٣).

فمن يكون على شفا جرف منهار يكون في اختلال وقلّة توازن، وهو يعكس حالة المنافقين وما يمارسونه من زرع للفتن والقلقل بين المجتمع الإسلامي، فكل ما يقومون به هو على شفا جرف سرعان ما ينهار ويعود للأمة بنيانها القوي المرصوص .

— ومن التشبيه التمثيلي أيضاً قول الله ﷻ: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(٤).

"قوله {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} جعل هذا مثلاً للحق والباطل في القلوب، يعني: أن الباطل كالزبد يذهب ويضيع ويهلك، والحق كالماء وكهذه الأشياء يملك ويبقى في القلوب، وقال بعضهم: هذا تسلية للمؤمنين، يعني أن أمر المشركين كذلك الزبد، يرى في الصورة شيئاً ثابتاً وليس له حقيقة، وأمر المؤمنين كالماء المستقر في مكانه، فله النّبّات والبقاء، يقال: للباطل جولة، وللحق دولة"^(٥).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/١٢١).

(٢) التوبة / ١٠٩.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٢/١٧٢).

(٤) الرعد / ١٧.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٢/٣٥٥).

السمعاني بين من خلال كلامه الأطراف المُشَبَّهة وهي الحق والباطل، والأطراف المشبه بها وهي الزيد والماء، وقد وضح كذلك وجه الشبه المركب في بيان أن الحق ثابت، وأن الباطل زائل لا محالة وهو كالزيد يغر الإنسان بمنظره وكثافته؛ إلا أنه يذهب جفاءً ويمكن ما ينفع الناس في الأرض.

والغرض البلاغي من هذا التشبيه: التسلية عن قلب المؤمن، وتثبيته على الحق، فلا يُعزَّ بتمادي الباطل، وكما قال السمعاني: "للباطل جولة وللحق دولة".

— ومن أمثلة التشبيه التمثيلي أيضاً قول الله ﷻ في تشبيه الأعمال الحسنة للكفار كيف تكون يوم القيامة: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابًا ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۙ ﴾^(١).

" والمراد من الآية: تشبيه أعمالهم بالسراب، وأعمالهم هي ما اعتقدوها خيراً، من الحج وصلة الأرحام، وحسن الجوار، وقرى الضيف، والوفاء بالعهد، وما أشبه ذلك، فذكر الله تعالى أن هذه الأعمال كسراب حين لم يصدر عن مؤمن، فهو يرجو منها الخير والثواب، وإذا وصل إليها أخلفه ظنه، ولم يحصل على شيء"^(٢).

— ويتبع هذه الآية بتمثيل آخر أيضاً في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَّجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ۗ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ۙ ﴾^(٣).

قوله تعالى: {أَوْ كظلمات في بحر لجي} قال أهل المعاني: المراد من الآية أنك إن شبهت أعمالهم لما يوجد، فهو كما بينا من السراب بالقيعة، وإن شبهت أعمالهم لما يرى، فهو كالظلمات في البحر اللجي، والبحر اللجي هو العميق الذي بعد عمقه، وفي الخبر: أن النبي قال: " من ركب البحر حين يلج، فقد برئت منه الذمة ".

معناه: حين يتوسط البحر فيصير إلى أعرق موضع، وأما الظلمات: فهي ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة الموج أيضاً.

وقوله: {يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب} هذا هو الظلمات التي ذكرناها.

(١) النور / ٣٩.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٩٩/٣).

(٣) النور / ٤٠.

وقوله: {ظلمات بعضها فوق بعض} معناه: ظلمة الموج على ظلمة البحر، وظلمة السحاب على ظلمة الموج^(١).

والملاحظ من كلام السمعاني أن التشبيه الأول والذي شبه أعمالهم بالسراب هو تشبيه لما يتوهم وجوده وكأنه يرى حقيقة، فتكون أعمالهم كالسراب يتوهم وجودها فإذا أدركها لم يجد شيئاً، وأما إن أردنا أن نشبه أعمالهم بشيء مرئي فهي كالظلمات في البحر العميق، وهي تشبيهات تهز المشاعر وتفرع القلوب، فإن كانت أعمالهم ترى فهي وهم وسراب، وإن أردت أن ترى أعمالهم فهي في قعر البحار تتغلف بظلمات فوق ظلمات، والنور بعيد عنها جداً يكاد يكون محال، فاللهم لا تحرمنا من نورك، واملأ قلوبنا بفيض الإيمان بك وجميل التوكل عليك، إنك نعم المولى ونعم النصير.

٣- التشبيه الضمني:

"هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمح المشبه والمشبه به، ويفهمان من المعنى، ويكون المشبه به دائماً برهاناً على إمكان ما أسند إلى المشبه، كقول المتنبي:

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لُجْرِحَ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ

أي إن الذي اعتاد الهوان، يسهل عليه تحمله، ولا يتألم له، وليس هذا الادعاء باطلاً؛ لأن الميت إذا جرح لا يتألم، وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة، وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة، بل انه تشابه يقتضي التساوي، وأما التشبيه فيقتضي التفاوت^(٢).

– ومثله في القرآن الكريم قول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾.

قوله تعالى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} سمي الكفار صمًا بكما؛ لأنهم لما لم يسمعوا الحق، ولم ينطقوا بالحق، ولم يعقلوا الحق سماهم بذلك، وعدهم من جملة الأتعام^(٤).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٣/١٠٠).

(٢) جواهر البلاغة، (٢٣٩).

(٣) الأنفال/ ٢٢.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٢/٨٧).

فالله سبحانه وتعالى لم يصرح بالتشبيه في كون الكفار الذين لا يستجيبون للحق بأنهم دواب، إلا أنها فهمت من خلال سياق الآيات، لا بل إن شر الدواب الصم البكم الذين لا يعقلون، فهم شر الأنعام .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

وقوله تعالى: {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ} "أي: كما يكره أحدكم أن يأكل لحم أخيه وهو ميت، فكذلك فليكره أن يذكره بالسوء وهو غائب، فإن قال قائل: أيش التشابه بينهما في المعنى؟ والجواب: أنه إذا أكل لحمه وهو ميت فقد هناك حرمة، وهو لا يشعر به، وإذا ذكره بالسوء بظهر الغيب فقد هناك حرمة، وهو لا يشعر به، وعن عمرو بن العاص أنه مر على حمار ميت فقال: لأن يملأ أحدكم جوفه من هذا اللحم خير له من أن يغتاب أخاه، ويُقال للمغتاب في اللغة: فلان يأكل لحوم الناس" (٢) .

فالسمعاني يبين أطراف التشبيه ويوضحه ويبين وجه الشبه بربط العلاقة بين كلا المشبهين، فالذي يأكل من جثة الميت يكون بذلك قد اعتدى على حرمة دون أن يشعر، وكذلك الذي يغتاب أخاه فهو ينتهك حرمة دون أن يشعر بالمغتاب وفي ذلك وجه الشبه.

وفي الآية قياس تمثيلي، حيث أن الذي يُغتاب لا يسمع ما يقال في عرضه، فهو كالميت الذي لا يسمع، ولا يقدر أن يدفع ما يقال في عرضه، كالميت الذي لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الأذى ؛ فلما تشابه في هاتين الصفتين أنزل منزلة الميت .

(١) الحجرات / ١٢ .

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ١١٩) .

ثانياً: الحقيقة والمجاز

نظر البلاغيون إلى الكلام العربي وتفكروا في صورته وبيانه، وقسموه إلى حقيقة ومجاز، ووجدوا في ذلك منفذاً لتوضيح الصور البيانية في كلام العرب، فكثيراً ما نجد في كلامنا ما لا يمكن شرحه بالمعنى الظاهر إنما شرح دلالاته وهو كثير في العربية كقولنا: زيد أسد، فلا يمكن الفهم بأن زيد قد تحول إلى أسد حقيقي، إنما المعنى للجملة أن زيداً شجاعاً كالأسد، فتجاوزنا المعنى المباشر السطحي إلى المعنى المراد من الجملة .

وقد عرّف ابن فارس الحقيقة بقوله: "الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل، ولا تقديم فيه ولا تأخير، كقول القائل: "أحمدُ الله على نِعَمِهِ وإِحْسَانِهِ"، وهذا أكثر الكلام، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾^(١) وأكثر ما يأتي من الآي على هذا "^(٢).

وإن كان بعض العلماء يرون أن معظم كلام العربية مجاز وليس حقيقة مثل ابن جني^(٣) فيقول: "اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة "^(٤).

أما المجاز فقد مر بمراحل تطور جعلته ينتقل من العمومية إلى دائرة خاصة، فالعلماء الأوائل كانوا يعرفون المجاز بقولهم: "وأما المجاز فهو: ما فيه تشبيه، واستعارة، وكفٍ ما ليس في الأول كقولنا: عطاءُ فلانٍ مُزَنٌّ وأكفٌ وهذا تشبيه، وقوله تعالى: ﴿ سَنَسِيْمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾^(٥) استعارة، وإنما يعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة: وهي الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإن عُدت الثلاثة تعيّن الحقيقة "^(٦).

فترى أن التشبيه والاستعارة يدخل ضمن دائرة المجاز.

(١) البقرة / ٤.

(٢) الصاحبى فى فقه اللغة / ١٤٩.

(٣) هو عثمان بن جنى الموصلى، أبو الفتح (ت٣٩٢هـ): من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفى ببغداد، عن نحو ٦٥ عاماً. وكان أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي الموصلى. الأعلام، (ج٢٠٤/٤).

(٤) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى (ت: ٣٩٢هـ)، ط٤ (د.ق)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت. (ج٤٤٩/٢).

(٥) القلم / ١٦.

(٦) البلغة إلى أصول اللغة: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسينى البخارى القنوجى (ت: ١٣٠٧هـ)، تحقيق: سهاد حمدان أحمد السامرائى، د.ط. (د.ق)، جامعة تكريت، د.ت. (١١٦).

وعرف عبد القاهر الجرجاني المجاز بقوله: "أما المجاز فكلُّ كلمة أريد بها غيرُ ما وقعت له في وَضْعٍ واضعها، لملاحظةِ بين الثاني والأول، فهي مجاز وإن شئت قلت: كلُّ كلمة جُرِّتَ بها ما وقعت به في وَضْعٍ الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضِعاً، لملاحظةِ بين ما تُجَوِّزُ بها إليه، وبين أصلها الذي وُضِعَتْ له فيوضع واضعها، فهي مجاز"^(١).

وفرق الجرجاني بين كل من التشبيه والاستعارة والمجاز، وبين في حديثه أن المجاز أعم من الاستعارة وأن كل استعارة مجاز وليس كل مجاز استعارة^(٢).

وأما بعد استقرار علوم البلاغة، فقد عرفه البلاغيون بقولهم: "المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وصغ له علاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. فإن كانت علاقته المشابهة سمي استعارة وإلا فمجازاً مرسلأً أو مركباً أو عقلياً"^(٣).

الحقيقة والمجاز عند السمعاني :

فرق السمعاني في تفسيره بين الحقيقة والمجاز، مبيناً وجود المجاز في القرآن الكريم، ومن ذلك:

– قول السمعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾^(٤).

"قَالَ الْفَرَاءُ وَثَلَبَ: إِنْ الْعَرَبُ تَسْمَى مَا تَوْصَلُ إِلَى الْإِنْسَانِ: كَلَامًا، بِأَيِّ طَرِيقٍ وَصَلَ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ لَا تَحَقِّقَهُ بِالْمَصْدَرِ، فَإِذَا حَقَّقَ الْكَلَامَ بِالْمَصْدَرِ، لَمْ تَكُنْ إِلَّا حَقِيقَةَ الْكَلَامِ، وَهَذَا كَالْإِرَادَةِ، يُقَالُ: أَرَادَ فَلَانَ إِرَادَةً، فَيَكُونُ حَقِيقَةَ الْإِرَادَةِ، وَلَا يُقَالُ: أَرَادَ الْجِدَارَ أَنْ يَسْقُطَ إِرَادَةً، وَإِنَّمَا يُقَالُ: أَرَادَ الْجِدَارَ، مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ الْمَصْدَرِ؛ لِأَنَّهُ مَجَازٌ، فَلَمَّا حَقَّقَ اللَّهُ كَلَامَهُ مُوسَى بِالتَّكْلِيمِ، عَرَفَ أَنَّهُ حَقِيقَةُ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، قَالَ ثَلَبَ: وَهَذَا دَلِيلٌ مِنْ قَوْلِ الْفَرَاءِ أَنَّهُ مَا كَانَ يَقُولُ يَخْلُقُ الْفُرْآنَ"^(٥).

(١) أسرار البلاغة، (٣٥١).

(٢) انظر أسرار البلاغة، (٣٩٨).

(٣) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل: محمد علي السراج،

تحقيق: خير الدين شمسي باشا، ط ١ (دمشق، دار الفكر - ١٩٨٣ م) (١٧٣).

(٤) النساء / ١٦٤.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٩٨).

وهو بذلك يفرق بين الحقيقة والمجاز، فما رد إلى المصدر وكان المصدر مقبولاً ومستعملاً كان الكلام حقيقياً، وقد مثل ذلك بالإرادة والإرادة تتبع من الإنسان وهي مقبولة منه، أما الجدار فهو جماد لا يملك إرادة حقيقية وبذلك يكون قولنا: أراد الجدار مجازاً .

لا بل إن السمعاني فرق بين الإرادة عند الإنسان ذاته، فإن كان الإنسان صادقاً في إرادته يكون ذلك على وجه الحقيقة، أما إن كان غير ذلك فهو مجاز .

– وبدل على ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْنٌ بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾^(١).

فإن قال قائل: كيف قال: أريد أن تبوء بإثمي وإثمك، وإرادة القتل والمعصية لا تجوز؟ أجابوا عنه من وجوه: أحدها: قالوا: ليس ذلك بحقيقة إرادة، ولكنه لما علم أنه يقتله لا محالة، ووطن نفسه على الاستسلام؛ طلباً للثواب، فكأنه يريد لقتله مجازاً وإن لم يكن مريداً حقيقة " (٢).

فالإرادة في هذا الموضع -على رأي السمعاني - مجاز وليس حقيقة .

– ولقد شمل مفهوم المجاز عند السمعاني كل خروج عن أصل المعنى للكلمة ويتضح ذلك من تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَأَنْتَظِرُ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾^(٣).

"فإن قيل: كيف قال: {إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} العذاب، وما كانوا آمنوا بالعذاب؟ والجواب: لما كان الله تعالى وعدهم بالعذاب، وكان ذلك واصلاً إليهم لا محالة؛ سماهم: منتظرين على مجاز الكلام، ويقال: فإنهم منتظرون: أي موتك وحوادث الدهر لك؛ ليستريحوا منك"^(٤).

فالانتظار ليس على حقيقته، فلأن العذاب قادم لا محالة جعله كالمنتظر .

– كما أن السمعاني كان يعد المجاز نوعاً من أنواع التوسع في الكلام ويتضح ذلك من قوله في تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾^(٥).

(١) المائدة / ٣٠، ٢٩ .

(٢) تفسير السمعاني، (٤٢٧هـ).

(٣) السجدة / ٣٠ .

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٣/ ٣٢١).

(٥) الحجرات / ٧ .

"وقوله: {يطيعكم} نوع مجاز؛ لأن الطاعة في الحقيقة فعل من الأدون على موافقة قول الأعلى. وقد روي عن بعض السلف أنه قال: نعم الرب ربنا، لو أطعناه ما عصانا، وهو على طريق المجاز والتوسع في الكلام، قال الشاعر:

رَبُّ مَنْ أَصْبَحَتْ غَيْظًا صَدْرُهُ لَوْ تَمَنَّى فِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَ (١)

أي: لم يدرك ما تمناه، وهو على طريق المجاز (٢).

فالطاعة في معناها الحقيقي تكون من الأقل منزلة لمن هو أعلى منزلة، فإن اختلف هذا الشرط فالطاعة على وجه المجاز لا الحقيقة .

– أيضاً في تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (٣).

"قال بعضهم: أن القول من جهنم هاهنا على طريق المجاز مثل قول الشاعر:

امْتَلَأَ الْحَوْضَ وَقَالَ قَطْنِي مَهْلًا وَرُوَيْدًا قَدْ مَلَأَتْ بَطْنِي

فقوله: قطني أي: حسبي، ووجه المجاز فيه أنه لما امتلأ الحوض ولم يكن فيه مزيد وكأنه قال: قد امتلأت فحسبي. كذلك في جهنم، وهو على توسع الكلام، والأصح أن هذا النطق من جهنم على طريق الحقيقة، وهذا اللائق بمذهب أهل السنة في الإيمان بتسييح الجمادات، وما نزل في ذلك من آي القرآن (٤).

ويتضح من كلام السمعاني السابق أن المجاز هو نوع من أنواع التوسع في الكلام، كما أنه يرجح أن الآية على الحقيقة، لا على المجاز ويعد ذلك منهجاً لأهل السنة والجماعة في كلام الجمادات في القرآن الكريم، وفي ذلك إشارة واضحة بالاختلاف بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة في التعامل مع هذه الآيات، فالزمخشري يفسر هذه الآية بقوله: "وسؤال جهنم وجوابها من باب التخيل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته" (٥).

(١) البيت على بحر الرمل، وهو لسويد بن أبي كاهل اليشكري (ت ٦٠ هـ).

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٤/١١٠).

(٣) ق/٣٠.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٤/١٣٤).

(٥) الكشاف، (ج ٤/٣٨٩).

فالزمخشري يعتبر ذلك تخيلاً لتحويل الموقف وزرعه في القلوب، وبعض المفسرين يؤول الآية ويقدر محذوفاً، ومن ذلك ما جاء في الدر المصون قوله: "وقيل: السؤالُ لَحَزَنَتِهَا. والجوابُ منهم، فلا بُدَّ مِنْ حَذْفِ مضافٍ أي: نقولُ لَحَزَنَةَ جَهَنَّمَ ويقولون، ثم حَذَفَ" (١).

ولعل في ذلك ميزة للسمعاني في ترجيحه للتفسير استناداً على المذهب العقائدي، فهو يحكم تأويل الآيات بمذهب أهل السنة والجماعة، وهذا في غير موضع من التفسير، وكذلك هو ضروري احترازاً من الوقوع في الشبهات .

وما أوجنا في هذا العصر أن نعيد إحياء هذا المنهج، في ظل انكباب الفلاسفات والآراء الفكرية تحت مسمى البلاغة، ترى فيها الغث مع السمين، ولذلك أعتقد أن المنهج الفكري السليم والعقيدة الراسخة بالإضافة إلى غزارة العلم بماضينا وتراثنا العربي، هو أداة تحكيم قوية تؤسس لقاعدة صلبة في دراسة ما يفد إلينا من شرق أو غرب وتتقيحه والرد عليه والاستفادة منه.

كما أن لفظ المجاز عند السمعاني لا يتغير معناه الحقيقي عند وضعه في غير موضعه، بل إنه يحتفظ بمعناه الحقيقي ويكسب وقوعه في غير موضعه الجملة دلالات بلاغية راقية، وهو ما أشار إليه الجرجاني عند حديثه عن شرط اللفظ حتى يطلق عليه مجاز بقوله: "وإنما اشترطتُ هذا كَلِّه، لأنَّ وصف اللَّفْظَةِ بأنها حقيقة أو مجازٌ، حُكِّمَ فيها من حيث إنَّ لها دِلالةً على الجملة، لا من حيث هي عربية أو فارسية، أو سابقة في الوضع، أو مُحدثة مولدة" (٢)، فاللفظ حتى يكون مجازاً لا بد أن يحمل دلالة بلاغية للجملة تفقده الجملة بدون هذا اللفظ.

– ويُستنتج ذلك من قوله في تفسير قول الله ﷻ: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۚ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَيَّ قَلْبُهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَأَصْبَحَ } قِيلَ: وَأَصْبَحَ أَي: صَارَ، وَيُقَالُ: هُوَ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَاسْتِعْمَالُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ، وَمَعْنَاهُ: أَصْبَحَتْ أُمُّ مُوسَىٰ وَفُؤَادُهَا فَارِغًا، وَاخْتَلَفَ الْقَوْلُ فِي قَوْلِهِ { فَارِغًا } الْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ فَارِغًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ ذِكْرِ مُوسَىٰ وَالْوَجْدَ عَلَيْهِ، هَذَا قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ (٤).

(١) الدر المصون، (ج ١٠/٣٠).

(٢) أسرار البلاغة، (٣٥٠).

(٣) القصص / ١٠.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٣/٢١١).

فالسמעاني يرى أن الإصباح لأم موسى وأضيف للقلب مجازاً، وفي تقديم لفظ القلب ما يحمل من معانٍ يعجز اللسان عن وصفها، فمهجة فؤاد أم موسى - وهو موسى عليه السلام - بين يدي فرعون وجنوده، والقلب هو بؤرة الشعور ومنبع الحنان وكأنه فاض بكل ما يحمل من مشاعر في ليل دامس وأصبح فارغاً بعدما استنفد كل ما يحمله قلب الأم من شعور، والله أعلم.

- كما أن المتأمل لسياق الآيات في سورة القصص، يجد تفسيراً لورود كلمة أصبح بدلاً من صار، فالآية السابقة تنقل الأحداث الجارية في قصر فرعون وتصف آل فرعون وجنوده بالخطأ والزلل في قوله تعالى: ﴿ فَالتَّقْطُؤَةُ ءآلِ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَلَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨٥﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٨٦﴾ ^(١).

وبعد ذلك ينتقل المشهد التمثيلي إلى أم موسى ولوعتها على ابنها الرضيع، وكأننا بذلك ننتقل من بؤرة الظلم والظلام إلى بؤرة النور والإيمان، فكان لفظ أصبح أوقع في النفس وأبلغ في البيان . والله أعلم .

ولقد قمت بحصر لفظ المجاز في تفسير السمعاني، وكان مفهوم المجاز يشتمل ألوأناً بلاغية مختلفة وهي:

١- المجاز بمفهومه العام:

- أي أنه استعمال اللفظ في غير ما وضع له وذلك في مثل قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ^(٢).

قوله تعالى: {قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} "يعني في الخير، وقد يكون الإمام في الشر؛ على طريق المجاز، كما قال تعالى: {وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار} ^(٣) وحقيقة الإمام: أن يقصد من فعله ما يقصد وهو من الأم: وهو القصد ^(٤).

(١) القصص / ٨، ٩.

(٢) البقرة / ١٢٤.

(٣) القصص / ٤١.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/٩٥).

فالإمام على الاستعمال الحقيقي يكون دليلاً للخير أما استعماله دليلاً على الشر فهو على طريق المجاز - حسب رأي السمعاني - .

- ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (١) .

"فإن قيل: كيف قال: {إلا أن يهدى} والأصنام لا يتصور فيها أن تهدي ولا أن تهدي؟ الجواب من وجهين:

أحدهما أن معنى الهداية هاهنا هي النقل، يعني: لا ينتقل من مكان إلى مكان إلا أن ينقل. والوجه الثاني: أن هذا مذكور على وجه المجاز؛ فإن المشركين كانوا يعتقدون في الأصنام أنها تسمع وتعقل وتهدي، فذكر ذلك في الأصنام على وفق ما يعتقدون، وجعلها بمنزلة من يعقل في هذا الخطاب، وأثبت عجزها عن الهداية" (٢).

فعندما خاطب الله ﷻ المشركين حسب اعتقادهم وأنزل الأصنام منزلة من يعقل عد السمعاني ذلك مجازاً .

٢- الاستعارة المكنية:

- ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٣).

قوله تعالى: {كل نفس ذائقة الموت} "والذوق في الموت مجاز، وحقيقة الذوق: هو الإحساس بالشيء؛ فلما كان يحس بالموت، سمّاه ذوقاً مجازاً، قال الشاعر:

من لم يمت عبطة يمت هرما الموت كأس وكل الناس ذائقها (٤) (٥).

فالذوق لفظ مستعار وهو يكون للطعام في الحقيقة، وعليه فهو استعارة مكنية إلا أن السمعاني أطلق عليه لفظ المجاز .

(١) يونس / ٣٥.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ٢٠٢).

(٣) آل عمران / ١٨٥.

(٤) البيت على البحر المنسرح، لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ).

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٩٥).

- ومثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾^(١).
- وقوله: {ذوقوا مس سقر} "أي: يُقال لهم ذلك، وهو على طريق المجاز، كما يقول القائل لغيره وهو يضره: ذُق وبال أمرك، أي: عمله، ومثله كثير في العريية وكلامهم"^(٢).
- وكذلك في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾^(٣).
- قوله: {إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا} "لأن الوجوه تتعبس فيه، وأضاف العبوس إلى اليوم على طريق مجاز"^(٤).
- ففي الآية تشبيه لليوم بالوجه العابس، وقد حذف المشبه به وأبقى على صفة من صفاته وهو العبوس، فهو استعارة مكنية وقد عبر عنه السمعاني بلفظ المجاز .
- ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٥).
- قوله: {فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا} "قال بعضهم"^(٦): هو على طريق المجاز مثل: قول الشاعر:

وَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمْعًا وَطَاعَةً وَحَذَرْنَا كَالدَّرِ لَمَا تَنْقَبُ

وتقول العرَب: قَالَ الْحَائِطُ قَمَالَ"^(٧).

فقول الأرض في الآية الكريمة، وكذلك قول العينين في بيت الشعر، وقول الحائط كلها استعارة مكنية تشخيصية جعلها السمعاني في باب المجاز .

(١) القمر / ٤٨ .

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ١٩٧) .

(٣) الإنسان / ١٠ .

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٤٢٨) .

(٥) فصلت / ١١ .

(٦) والسمعاني يرجح أن كلام الجمادات في القرآن كله على الحقيقة وفق مذهب أهل السنة والجماعة، كما أشرنا سابقاً .

(٧) تفسير السمعاني، (ج ٣/ ٥٣٧) .

– ومثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾^(١).

"قَالَ بعض أهل العلم: ظُهِرَ الْآيَةُ مِنْهَا كَلَامٌ، وَنَطَقَ عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ لَا أَنَّهَا تَتَكَلَّمُ، وَالْأَصَحُّ أَنَّهَا تَتَكَلَّمُ"^(٢).

فقد أطلق بعض أهل العلم على كلام النملة مجاز، وهو استعارة مكنية على الرأي الذي يرى أن الكلام غير كلام البشر الحقيقي، وأما منهج السمعاني فهو يرى بأن الكلام على حقيقته ولا وجه للمجاز فيه .

– ومن ذلك أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾^(٣).

وَقَوْلُهُ: {أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} "مَعْنَاهُ: بَلْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا، وَهُوَ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ، فَذَكَرَ الْقِفْلَ بِمَعْنَى انْغِلَاقِ الْقَلْبِ عَنِ فَهْمِ الْقُرْآنِ"^(٤).

والقفل يكون للأبواب، فكأنه بذلك شبه القلب بالمكان المغلق وقد أحكم إغلاقه بقفل، فهو استعارة مكنية ويدل على انغلاق القلب وإعراضه عن فهم القرآن والعياذ بالله .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾^(٥).

"وَقِيلَ: إِنَّ الْأَبْوَابَ هَاهُنَا بِطَرِيقِ الْمَجَازِ، وَالْمَعْنَى: أَرْسَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مِنْهُمْ أَي: كَثِيرٍ"^(٦).

فاللفظ المستعار وهو الأبواب، أطلق عليه السمعاني لفظ المجاز .

٣- الاستعارة التصريحية:

فكما أنه أطلق على الاستعارة المكنية لفظ المجاز، كذلك كانت الاستعارة التصريحية مجازاً ومن هذا:

(١) النمل / ٨٢.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٣/ ٢٠٣).

(٣) محمد / ٢٤.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٧٨).

(٥) القمر / ١١.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ١٩١).

– قول السمعاني في تفسير قول الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١).

"والتَّجَارَةُ أَنْ تَبْدَلَ شَيْئًا وَتَأْخُذَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُ جَعَلَ بَدَلَ النَّفْسِ وَالْمَالِ وَأَخَذَ الثَّوَابَ تِجَارَةً، وَهُوَ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ"^(٢).

ففي لفظ التجارة استعارة تصريحية وقد أطلق عليه السمعاني لفظ المجاز .

الفرق بين المجاز والاستعارة :

ذكرنا فيما سبق أن الجرجاني بين أن كل استعارة مجاز وليس كل مجاز هو استعارة، وقد فرق العلماء بين الاستعارة والمجاز في نقاط ومنها :

أ- العلاقة بين اللفظ المستعار واللفظ المستعار له علاقة المشابهة، أما المجاز فما كانت علاقته غير المشابهة .

ب-المجاز لا يقيد بعلاقة واحدة، وإنما علاقاته متعددة، أما الاستعارة فمقيدة بعلاقة واحدة وهي المشابهة^(٣).

٤- رابعاً: الكناية

"وهي لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى الأصلي"^(٤)، وقد عدها السمعاني نوعاً من أنواع المجاز ومن ذلك:

– قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥).

قوله تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ "أي: مكرهم بنا في اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَالْعَرَبُ قَدْ تَضَيَّفَ الْفِعْلَ إِلَى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلَى تَوْسِعِ الْكَلَامِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

(١) الصف / ١٠.

(٢) تفسير السمعاني، (ج/٤/٢٩٠).

(٣) انظر: من بلاغة القرآن، (٢١٤).

(٤) من بلاغة القرآن، (٢٣٣).

(٥) سبأ / ٣٣.

لَقَدْ لُمْتَنَا يَا أُمَّ عَيْلَانَ فِي السَّرَى وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ الْمُطِيِّ بِنَائِمٍ^(١)

وقيل: بل مكر الليل والنهار معناه: طول الأمل، وطول الأمل هو مكر الليل والنهار على طريق المجاز^(٢).

فلاحظ من قول السمعاني أن إضافة الفعل (المكر) لليل والنهار وهي من باب المجاز المرسل علاقته الزمانية، وهي من باب التوسع في الكلام، أما إن كانت الجملة كناية عن طول الأمل فهي على طريق المجاز.

ونود الإشارة إلى أن الكناية تختلف عن المجاز في كون الأول يجوز أن يحمل فيه اللفظ المكنى به المعنى الأصلي، أما المجاز فلا يجوز فيه إرادة المعنى الأصلي.

٥- المشاكلة التحقيقية:

وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً، وقد أطلق عليه السمعاني لفظ مجاز ومن ذلك:

- قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(٣).

"فإن قال قائل: كيف برجال من الجن، والجن لا يسمون رجالاً؟ والجواب: قلنا يجوز على طريق المجاز"^(٤).

فأطلق لفظ رجال على الجن مشاكلة لفظ رجال مع الإنس، وعد ذلك السمعاني على طريق المجاز.

٦- المجاز المرسل:

"وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملايسة غير التشبيه"^(٥).

(١) البيت من البحر الطويل، وهو لجرير (ت ١١٠هـ).

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٣/٣٨٥).

(٣) الجن / ٦.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٤/٣٨٨).

(٥) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي (ت: ١٣٩١هـ)، ط ١٧ (د.ق، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥ م)، (ج ٣/٤٦٢).

- ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١).

"قوله تعالى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ} فَإِنْ قِيلَ: قَدْ قُلْتُمْ بِأَنَّ الْمَعْدُومَ لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ هَاهُنَا الْمَعْدُومَ شَيْئًا حَيْثُ قَالَ: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ} وَمَعْنَاهُ: أَرَدْنَا تَكْوِينَهُ.

وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي قَدَرَ اللَّهُ كَوْنَهَا هِيَ فِي عِلْمِ اللَّهِ كَالْكَائِنَةِ الْقَائِمَةِ؛ فَاسْتِقَامَ قَوْلُهُ: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ} وَقِيلَ: إِنَّ هَذَا عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ، وَمَعْنَاهُ: إِنَّمَا يَكُونُ شَيْئًا إِذَا أَرَدْنَا تَكْوِينَهُ" (٢).

فهو مجاز مرسل باعتبار ما يكون، وقد أطلق عليه السمعاني لفظ المجاز .

- ومنه أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٣).

أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجْرَهُمْ { إِنَّمَا سَمَّاهُ أُجْرًا مَجَازًا؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَهُ بِإِزَاءِ الْعَمَلِ، لِأَنَّ الْعَمَلَ يُوجِبُهُ، وَهَذَا نَحْوُ قَوْلِهِ - تَعَالَى - فِي قِصَّةِ مُوسَى: ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ (٤) سَمَّاهُ أُجْرًا عَلَى مُقَابَلَةِ الْعَمَلِ؛ لِأَنَّ مُوسَى عَمِلَ؛ لِيُؤَجَّرَ عَلَيْهِ" (٥).

فذكر الأجر وأراد العمل الذي يوجبه، وهو مجاز مرسل علاقته مسببية، حيث أطلق المسبب وهو الأجر وأراد السبب وهو العمل، وقد أطلق عليه السمعاني لفظ المجاز .

٧- المجاز العقلي:

"إِسْنَادُ الْفِعْلِ، أَوْ مَا فِيهِ مَعْنَى الْفِعْلِ كَاسْمِي الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ إِلَى غَيْرِ فَاعِلِهِ فِي حَكْمِ الْعَقْلِ وَالْوَاقِعِ" (٦).

- ومثله قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (٧).

(١) النحل / ٤٠.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ٤٣٢).

(٣) النساء / ١٥٢.

(٤) القصص / ٢٥.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٣٩٢).

(٦) الموسوعة القرآنية المتخصصة: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، د. ط (مصر، المجلس الأعلى

للشئون الإسلامية - ٢٠٠٢ م) (٥١٤).

(٧) الأحزاب / ٥٧.

«قَالَ بَعْضُهُمْ: {لِإِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} أَي: أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَأَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ (١) أَنْ قَوْلَهُ: {يُؤْذُونَ اللَّهَ} عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ، وَأَمَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ فَلَا يَلْحَقُهُ أَدَى مِنْ قَبْلِ أَحَدٍ» (٢).

فأسند فعل الإيذاء إلى الله ﷻ والمعنى أن الإيذاء حقيقة يكون لأولياء الله ﷻ، وقد سمى المجاز العقلي بلفظ المجاز .

– ومثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴾ (٣).

"رَزَقَ الْعِبَادَ فَمَعْنَى هَذَا إِطْعَامُهُمْ أَنْفُسَهُمْ، وَإِنَّمَا قَالَ: {يُطْعَمُونَ} لِأَنَّ الْخَلْقَ عِبَادَ اللَّهِ، فَإِذَا أَطْعَمَهُمْ فَكَأَنَّهُ أَطْعَمَ اللَّهَ عَلَى الْمَجَازِ" (٤).

فالمقصود بالإطعام هو أن يطعموا خلق الله، وإنما أسند الإطعام إلى الله ﷻ على وجه المجاز العقلي، وقد أطلق عليه السمعاني مجازاً بدون أن يحدد اسمه، إلا أنه وضح وجه المجاز فيه .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ فَأَلْمَدَبِرَاتِ أَمْرًا ﴾ (٥).

وقوله تعالى: {فالمدبرات أمرًا} "هِيَ الْمَلَائِكَةُ فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ، إِلَّا مَا رَوَى فِي رِوَايَةٍ غَرِيبَةٍ بِرِوَايَةِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: أَنَّهَا النُّجُومُ.

فَمَعْنَى التَّنْذِيرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ هُوَ مَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا مِنَ الْأُمُورِ ... وَأَمَّا إِذَا حَمَلْنَاهُ عَلَى النُّجُومِ، فَيَجُوزُ أَنْ يَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَطَالِعِهَا وَمَغَارِبِهَا وَسِيرِهَا أَشْيَاءَ، وَأَضَافَ التَّنْذِيرَ إِلَيْهَا عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ" (٦).

فالمدبر الحقيقي هو الله ﷻ، وإطلاق التذبير على النجوم –حسب بعض العلماء– هو من باب المجاز العقلي.

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ (٧).

(١) القول الأول هو أن إيذاء الله يكون بتكذيبه والشرك به.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٣/٣٦١).

(٣) الذاريات / ٥٧.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٤/١٥٠).

(٥) النازعات / ٥.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٤/٤٥٣).

(٧) الفلق / ٣.

"وَالْقَوْلُ الثَّانِي^(١): أَنْ قَوْلَهُ: {وَمَنْ شَرَّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} هُوَ الْقَمَرُ، وَفِيهِ خَبْرٌ مَعْرُوفٌ رَوَى ابْنُ أَبِي ذُنُبٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنِ عَائِشَةَ قَالَتْ: " أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ بِيَدِي، وَأَشَارَ إِلَيَّ الْقَمَرَ وَقَالَ: تَعُوذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، هُوَ الْعَاسِقُ إِذَا وَقَبَ " ^(٢)، وَذَكَرَهُ أَبُو عِيْسَى فِي جَامِعِهِ وَقَالَ: هُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

قَالَ النَّحَّاسُ: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْإِسْتِعَاذَةُ مِنَ الْقَمَرِ، لِأَنَّ قَوْمًا أَشْرَكُوا بِسَبَبِهِ، فَانْسَبَ إِلَيْهِ الْإِسْتِعَاذَةُ عَلَى الْمَجَازِ^(٣).

فَالِاسْتِعَاذَةُ مِنَ الْقَمَرِ وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ الْإِسْتِعَاذَةُ مِنَ الشَّرِّ بِاللَّهِ، وَأَسْنَدُ الْفِعْلِ لِلْقَمَرِ لِكَوْنِهِ سَبَبًا فِي الْإِشْرَاقِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ عِلَاقَتِهِ سَبَبِيَّةً، وَقَدْ شَرَحَ السَّمْعَانِيُّ وَجْهَ الْمَجَازِ فِيهِ وَبَيَّنَ الْعِلَاقَةَ أَيْضًا، لَكِنَّهُ أَطْلَقَ عَلَيْهِ لَفْظَ الْمَجَازِ عَمُومًا .

أقسام المجاز:

حصرت فيما سبق ألفاظ المجاز في كامل تفسير السمعاني، لأبين طبيعة مفهوم المجاز عند السمعاني، والتي اتضح من خلال السابق أنها بمفهومها العام، كما أنه أورد العديد من الصور البلاغية تحت مسمى المجاز، إلا أن السمعاني أيضاً شرح العديد من الصور البيانية التي تحمل لون المجاز بدون أن يسميها باسم المجاز، وهي متنوعة وتشمل قسمي المجاز وهما :

المجاز العقلي والمجاز المرسل .

أولاً - المجاز العقلي:

هو "إسناد الفعل، أو ما يدل على معنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه لعلاقة، مع قرينة صارفة عن أن يكون الإسناد إلى ما هو له أي: على حقيقته"^(٤).

- وذلك مثل قول الله ﷻ حينما خاطب أبناء بني إسرائيل فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٥).

(١) القول الأول: أن الغاسق هو الليل والاستعاذة تكون منه. للاستزادة راجع تفسير السمعاني، (ج/٤/٥٩٨).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، ط١ (د.ق. مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م)، (ج/٤٣، ١٣٨).

(٣) تفسير السمعاني، (ج/٤/٥٩٨).

(٤) المنهاج الواضح للبلاغة، (ج/١/١٠٠).

(٥) البقرة / ٩١.

"فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: الْقَتْلُ كَانَ مِنْ آبَائِهِمْ فَكَيْفَ خَاطَبَ الْأَبْنََاءَ بِهِ؟

الْجَوَابُ قُلْنَا: قَتَلَ الْأَنْبِيَاءُ وَإِنْ وَجَدَ مِنَ الْأَبَاءِ لَكِنَّ الْأَبْنََاءَ رَضُوا بِهِ، وَالْوَهْمُ عَلَيْهِ؛ فَلِهَذَا خَاطَبَ الْأَبْنََاءَ بِهِ"^(١).

فأسند فعل القتل للأبناء، والذي قتل حقيقة هم الآباء، وهذا من باب المجاز العقلي .
كما أن للمجاز العقلي علاقات متعددة أورد السمعاني بعضاً منها وهي كالتالي :

١- السببية:

حيث يسند الفعل إلى غير فاعله الحقيقي لعلاقة السببية، أي أن المسند إليه المجازي كان سبباً في المسند إليه الحقيقي.

— ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿ فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾^(٢).

{فأخرجهما مما كانا فيه} " يَعْنِي مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا نَسَبَ الْإِخْرَاجَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ السَّبَبَ فِيهِ"^(٣). فالله - سبحانه وتعالى- هو المخرج الحقيقي لآدم وزوجه حواء من الجنة، إلا أنه نسب الإخراج للشيطان مجازاً لأنه كان السبب في إخراجهم . ونلاحظ أن السمعاني بين وجه المجاز فيه دون أن يطلق عليه لفظ المجاز.

— ومثله أيضاً قول الله ﷻ على لسان إبليس -لعنه الله -: ﴿ وَلَا أُضِلُّنَّهُمْ وَلَا أَتَّبِعُهُمْ وَلَا مَرْتَبَةٌ لَهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَبَةٌ لَهُمْ فَلْيَغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾^(٤).

{ولأضلنهم} "أي: لأغوينهم، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ نَسَبَ إِلَيْهِ الْإِضْلَالَ، وَلَيْسَ إِلَيْهِ الضَّلَالَةُ؟ قُلْنَا: مَعْنَاهُ: التَّزْيِينُ وَالدَّعْوَةُ إِلَى الضَّلَالَةِ، وَقَدْ قَالَ: " بعثت داعياً، وَلَيْسَ إِلَيَّ مِنَ الْهُدَايَةِ شَيْءٌ، وَبَعَثَ الشَّيْطَانُ مَزِينًا، وَلَيْسَ إِلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ شَيْءٌ"^(٥) ^(٦).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٧٤).

(٢) البقرة / ٣٦.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/٤٥).

(٤) النساء / ١١٩.

(٥) القضاء والقدر: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)،

تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، ط١ (الرياض، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٠م)، (ج ١/١٨٣).

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٧٩).

فالشیطان أداة من أدوات تزيين الضلالة والمنكر للناس، فهو سبب من أسباب المعصية وليس هو بإذنه أمر الهداية أو الضلال .

– ومن أمثلة المجاز العقلي علاقته السببية قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) .

وهو يتحدث عن أحداث غزوة أحد، وقوله تعالى: {ثم صرفكم عنهم ليبتليكم}، "يعني: في الوقعة الثانية حين عاد المشركون، وهذا دليل لأهل السنة على: أن أفعال العباد مخلوقة؛ حيث نسب الله تعالى هزيمة المسلمين إلى نفسه مع وقوع الفعل منهم، فقال: {ثم صرفكم عنهم} "^(٢). فهزيمة المسلمين كانت بسبب أنفسهم، وعصيان أمر الرسول ﷺ إلا أن الله نسب الصرف لنفسه -جل وعلا- لأن ذلك كان بسبب مشيئته سبحانه وتعالى .

– ومن أمثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْباً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) .

{الذين يسارعون في الكفر} "يعني: قول الذين يسارعون في الكفر"^(٤) .

فالذي يحزن الرسول ﷻ هو قول الذين يسارعون في الكفر، إلا أنه أسند الفعل إلى الذين يسارعون في الكفر لأنهم السبب في القول . والله أعلم .

٢- المصدرية:

"وفيه يسند الفعل إلى المصدر بدلاً من الفاعل الحقيقي" ^(٥) .

– ومن أمثله قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ

(١) آل عمران / ١٥٢ .

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٧٩) .

(٣) آل عمران / ١٧٦ .

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٩٢) .

(٥) من بلاغة القرآن، (٢٠٢) .

وَأَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤَنَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ
أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١﴾.

قوله تعالى: (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ)، "وَفِي تَقْدِيرِهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ تَقْدِيرُهُ وَلَكِنَّ ذَا الْبِرِّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَالثَّانِي: أَنْ تَقْدِيرُهُ: وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ" (٢).

فعلى التقدير الأول يكون المقصود من البر هو البار أي (ذا البر)، وقد أطلق المصدر بدلاً من الفاعل الحقيقي، وفي ذلك يقول ابن عطية: "والمصدر إذا أنزل منزلة اسم الفاعل فهو ولا بد محمول على حذف مضاف، كقولك رجل عدل ورضى" (٣).

— ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ .

"قوله: {لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ} يَعْنِي: لِيَحْكُمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنَ النَّبِيِّينَ" (٥).

فأسند الله ﷻ فعل الحكم للكتاب مع أنه للأنبياء أصحاب الكتب المنزلة .

— ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦﴾ .

(١) البقرة / ١٧٧.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٢٤).

(٣) المحرر الوجيز، (ج ١/ ٢٤٣).

(٤) البقرة / ٢١٣.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٥٥).

(٦) النور / ٣٥.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَادِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ضِيَاءُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَعَنْ قَتَادَةَ^(١) وَغَيْرِهِ: مَنْوَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^(٢).

فعلى رأي قتادة المقصود من اللفظ المصدر (نور) هو اسم الفاعل منور، ويكون مجاز عقلي علاقته مصدرية .

٣- المفعولية:

وهو "إسناد ما بني للفاعل إلى المفعول"^(٣).

- ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٤).

{وهم صاغرون} "رُويَ عَنِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ﷺ قَالَ: مَعْنَاهُ: وَهُمْ مَذْمُومُونَ، وَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: يُؤْخَذُ وَ يُوجَأُ فِي عُنُقِهِ، فَهَذَا مَعْنَى الصَّغَارِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: يُؤْخَذُ مِنْهُ وَهُوَ قَائِمٌ، وَالْآخِذُ جَالِسٌ"^(٥).

فقوله سبحانه وتعالى عن وصف أهل الكتاب بالصاغرين، والمعنى أنهم مصغرين وقد فسره السمعاني بقوله: مذمومين وهو اسم مفعول، إلا أن الله ذكر اسم الفاعل وأراد اسم المفعول من باب المجاز العقلي وعلاقته المفعولية. ولعل الحكمة من هذا الأسلوب أن الله أراد أن يبين لأهل الكتاب أن ذلهم وصغرهم كان بإرادتهم عندما رفضوا أن يدخلوا في دين الإسلام فأوردته باسم الفاعل بدلاً من المفعول. والله أعلم .

ثانياً - المجاز المرسل:

"هو مجاز علاقته غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"^(٦). وعلاقاته متعددة أيضاً ومنها :

(١) لعله يقصد به: قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (ت ١١٨هـ): مفسر حافظ ضريب أكمه. قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث، رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. للاستزادة انظر الأعلام للزركلي، (ج ٥/ ١٨٩).

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٣/ ٩٤).

(٣) جواهر البلاغة، (٢٥٥).

(٤) التوبة / ٢٩.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ١٢٩).

(٦) اللباب في قواعد اللغة، (١٧٤).

حيث يذكر السبب ويراد المسبب.

- ومنه قول الله ﷻ: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١).

"والاعتداء: الظلم، وإنما سمي الجزاء على الظلم: اعتداء، على ازدواج الكلام، ومثله قوله تعالى {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلَهَا} (٢).

وتقول العرب: ظلمني فلان فظلمته، أي: جازيته على الظلم، ويقال: جهل فلان على فجهلت عليه، قال الشاعر:

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجْهَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا (٣)

وَقَالَ آخَرُ:

وَلِي فَرَسٌ لِلْحِلْمِ بِالْحِلْمِ مُلْجَمٌ وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجٌ (٤) (٥).

حيث ذكر الله ﷻ الاعتداء الثاني وأراد به جزاء الاعتداء، فذكر السبب في العقوبة وهو الاعتداء وأراد المسبب عنه وهو الجزاء، ومثّل له السمعاني أيضاً بقوله تعالى: وجزاء سيئة سيئة مثلها، فالسيئة الثانية لفظ مجازي وأراد عقوبة السيئة، وكذلك في بيت الشعر الأول فعقوبة من يجهل على الشاعر هو الجهل، وأراد بالجهل الثاني عقوبة هذا الجهل، وكذا البيت الثاني فجزاء الحلم الحلم، وأراد به مسبب الحلم وهو طيب المعاملة والسلام، أما جزاء الجهل فجهل وأراد به الحرب والعداوة، وقد أشار إلى ذلك بقوله مسرج، في حين أن فرسه في الحلم ملجم .

- ومثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَعَزَّاتُهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (٦).

(١) البقرة / ١٩٤.

(٢) الشورى / ٤٠.

(٣) البيت على البحر الوافر، لعمر بن كلثوم.

(٤) البيت على البحر الطويل، منسوب لمحمد بن حازم الباهلي (ت ٢١٥هـ)، وبعضهم نسبه لمحمد بن وهيب الحميري (ت ٢٢٥هـ).

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٤٠).

(٦) محمد / ١٧.

وَقَوْلُهُ: {وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} "أي: جَزَاءُ تَقْوَاهُمْ"^(١)، فأطلق لفظ التقوى وهي السبب في الجزاء وأراد المسبب وهو الثواب من الله العلي العظيم .

— ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾^(٢).

"وَقَوْلُهُ: {وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ} أي: متناقلين. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ ذَكَرَ الْكُسْلَ فِي الصَّلَاةِ وَلَا صَلَاةَ أَصْلًا؟

قُلْنَا: الذَّمُّ وَقَعَ عَلَى الْكُفْرِ الَّذِي يَبْعَثُ عَلَى الْكُسْلِ؛ فَإِنَّ الْكُفْرَ مَكْسَلٌ وَالْإِيمَانَ مَنَشَطٌ، وَيُقَالُ: أَصْلُ كُلِّ كُفْرٍ كُسْلٌ، وَفِي الْمَثَلِ: الْكُسْلُ أَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ"^(٣) .

فإنه سبحانه وتعالى ذكر الكسل وأراد الكفر، والكسل سبب للكفر فذكر السبب وأراد المسبب له وهو الكفر .

— ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٤) .

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ} "قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: "لَأَهْلِكُمْ"^(٥)، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَجْعَلُ مَا أَصْبُتُمْ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ مَوْبِقًا لَكُمْ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَمَا أَبَاحَ لَكُمْ الْمُخَالَطَةَ.

وَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْعَنْتُ: الْمَشَقَّةُ، وَمَعْنَاهُ: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ} أي: كلفكم في كل شيء ما يشق عليكم"^(٦).

فعلى الرأي الذي ذكره أبو عبيدة يكون بذلك مجاز مرسل علاقته سببية، فقد أطلق السبب وهو العنت والمشقة، وأراد المسبب من هذا العنت وهو الهلاك . والله أعلم .

(١) تفسير السمعاني، (ج٤/٧٤).

(٢) التوبة / ٥٤.

(٣) تفسير السمعاني، (ج٢/١٤٣).

(٤) البقرة / ٢٢٠.

(٥) مجاز القرآن، (ج١/٧٣).

(٦) تفسير السمعاني، (ج١/١٦١).

— ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

قوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا} "أي: يأخذون، فعبر بالأكْلِ عن الأخذ؛ لأنه يُؤخَذ ليؤكل"^(٢)، فالله سبحانه وتعالى عبر عن فعل الأخذ بالأكْلِ؛ لأن أهم أسباب أخذ الأموال بالربا هو الأكل، فذكر السبب وأراد المسبب، و جاء في فتح القدير: "وإنَّما حُصَّ الأكلُ لزيادة التشنيعِ على فاعله، ولكونه هو الغرضُ الأهمُّ فإنَّ أخذَ الرِّبا إنَّما أخذُهُ للأكلِ"^(٣).

مع الإشارة بأن الوعيد والتهديد لا يختص بالذين يتعاملون بالربا من أجل الأكل فقط، إنما لكل من يتعامل بالربا، وإنما خص الأكل لكونه الغرض الأهم .

٢- المسببية: وهو أن يطلق لفظ المسبب ويراد به السبب.

ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(٤).
قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ}، "معناه: لَا تكفروا، وألْكَفِرْ أشدُّ فساداً في الأرض"^(٥).

فذكر المسبب عن الكفر وهو الفساد وأراد السبب وهو الكفر .

— ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٦).

{فَاتَّقُوا النَّارَ} "أي: فأمِنُوا؛ لكي تتقوا النار بالإيمان"^(٧).

(١) البقرة / ٢٧٥.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٠٤).

(٣) فتح القدير، (ج ١/ ٣٣٨).

(٤) البقرة / ١١.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٣٠).

(٦) البقرة / ٢٤.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٣٧).

ويقصد بذلك اتقوا السبب الذي يؤدي إلى النار وهو عدم الإيمان والكفر بالله - جل وعلا-، إلا أنه ذكر المسبب عن الكفر وأراد السبب وهو الكفر وعدم الإيمان .

- ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾^(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ " أي: لا يسفك بَعْضُكُمْ دِمَاءَ بَعْضٍ، وقيل: لا تسفكوا دِمَاءَ غَيْرِكُمْ فتسفك دِماؤكم؛ فكأنكم سفكتم دِمَاءَ أَنْفُسِكُمْ" ^(٢).

فعلى القول الثاني يكون الله ذكر المسبب من قتل الغير وهو سفك دمائهم، وأراد السبب من ذلك وهو قتل الآخرين، وبذلك تكون الآية على طريق المجاز المرسل علاقته مسببية .

- ومثله أيضاً قول الله ﷻ: " ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ " أي: لا يخرج بَعْضُكُمْ بَعْضًا. وقيل: مَعْنَاهُ: لَا تَسِيئُوا جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكُمْ؛ فَتَلْجِئُوهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ؛ بِسُوءِ الْجِوَارِ" ^(٣).

- ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۗ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٤) .

{إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ} "أي: بلية {فَلَا تَكْفُرْ} أي: لَا تَتَعَلَّمِ السَّحَرَ، فَتَعْمَلْ بِهِ؛ فَتَكْفُرْ" ^(٥).

فذكر الكفر وهو مسبب عن تعلم السحر، وأراد السبب وهو السحر -والعياذ بالله -.

- ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٦) .

(١) البقرة / ٨٤.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٧٠).

(٣) المرجع السابق، (ج ١/ ٧٠).

(٤) البقرة / ١٠٢.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٨١).

(٦) البقرة / ١٨٢.

"الْخَوْفُ هَا هُنَا بِمَعْنَى الْعِلْمِ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ} (١) وَقَوْلِهِ: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا} (٢)، أَي: عَلِمْتُمْ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالْخَوْفِ عَنِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْخَوْفَ طَرَفٌ إِلَى الْعِلْمِ فَإِنَّهُ إِثْمًا يَخَافُ الْوُقُوعَ فِي الشَّيْءِ؛ لِلْعِلْمِ بِهِ" (٣).

فكل هذه المواضع كان الخوف بمعنى العلم، وقد بين السمعاني العلاقة بين الخوف والعلم، فالخوف مسبب عن العلم بالشيء ويكون بذلك أطلق المسبب وهو الخوف، وأراد العلم وهو السبب في الخوف .

- ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤).

"أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ { أَي: إِلَى أَسْبَابِ النَّارِ " (٥)، فالله سبحانه وتعالى ذكر المسبب عن المعاصي والذنوب وهو النار وأراد الأسباب التي تؤدي إلى جهنم والعياذ بالله .

- ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٦).

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَسَارِعُوا إِلَى الْمَغْفِرَةِ} أَي: بَادِرُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ {مِنْ رَبِّكُمْ}، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَعْنَاهُ: بَادِرُوا إِلَى التَّوْبَةِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْمَغْفِرَةِ" (٧). فالله سبحانه وتعالى ذكر المغفرة وهي المسبب عن التوبة وأراد السبب، كما بين ذلك عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

- ومن المجاز المرسل علاقته المسببية أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (٨).

(١) البقرة / ٢٢٩.

(٢) النساء / ٣٥.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٢٧).

(٤) البقرة / ٢٢١.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٦٣).

(٦) آل عمران / ١٣٣.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٧٠).

(٨) آل عمران / ١٤٣.

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْنُونَ الْوَيْتَ { "أَي: سَبَبَ الْمَوْتِ وَهُوَ الْجِهَادُ؛ إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَمَنَّى الْمَوْتَ بِقَتْلِ الْكَافِرِ إِيَّاهُ {مَنْ قَبْلَ أَنْ تَلْقَوْهُ} أَي: تَلْقَوْنَ سَبَبَهُ مِنَ الْجِهَادِ" (١).

فالمؤمن لا يتمنى الموت لذاته، وإنما يتمنى الجهاد في سبيل الله، وأن يلقى الله وهو على هذه الحال، والموت مسبب عن الجهاد، فأطلق المسبب وأراد السبب. والله أعلم .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (٢).
(ونقول ذوقوا عَذَابَ الْحَرِيقِ { "أَي: بِعَذَابِ النَّارِ؛ لِأَنَّ عَذَابَ النَّارِ مَحْرَقٌ" (٣).

فذكر الله سبحانه وتعالى المسبب عن النار وهو الحريق، وأراد السبب وهو نار جهنم والعياذ بالله، مع ما في هذه الإشارة من تهويل وتشنيع لطعم النار، فالله سبحانه وتعالى يأمرهم بأن يذوقوا عذاب الحريق، وهو أبلغ من أن يقال ذوقوا طعم النار . فاللهم إنا نستجير بك من عذاب الحريق .

٣- الجزئية: حيث يطلق الجزء ويراد به الكل.

ومثله مما بينه السمعاني قوله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤).

"قيل: الْبَاءُ زَائِدَةٌ، وَتَقْدِيرُهُ: وَلَا تَلْقُوا أَيْدِيَكُمْ، وَعَبَّرَ بِالْأَيْدِي عَنِ الْأَنْفُسِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} (٥) أَي: بِمَا كَسَبْتُمْ" (٦).

فالله سبحانه وتعالى ذكر الجزء وهو اليد، وأراد الجسم كله، ومثله الآية في سورة الشورى، ولعل في تخصيص اليد عن باقي الجسم لمسة جمالية؛ لأنها أكثر ما يعتمد عليها الإنسان في قضاء حوائجه، كما أن اليد تنفذ معظم الأمور التي يمارسها الإنسان برغبته، ولذلك ذكرها الله ﷻ في سياق الحديث عن السير في طريق التهلكة . والله أعلم .

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٧٥).

(٢) آل عمران / ١٨١ .

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٩٤).

(٤) البقرة / ١٩٥ .

(٥) الشورى / ٣٠ .

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/١٤٠).

– ومثله أيضاً قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (١).

{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ} "يَعْنِي: بِمَا قَدَّمْتُمْ، وَذَكَرَ أَيْدِيكُمْ تَأْكِيدًا" (٢).

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿يَمْرِمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٣).
 {وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} "وَأَيْنَمَا قَالَ: مَعَ الرَّاكِعِينَ، وَلَمْ يَقُلْ مَعَ الرَّاكِعَاتِ؛ لِيَكُونَ أَعْمَ وَأَشْمَلًا" (٤)، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: مَعَ الْمُصَلِّينَ فِي الْجَمَاعَةِ" (٥).

فعلى الرأي الثاني يكون قد عبر عن الصلاة، بالركوع وهي جزء منه، فأطلق الجزء وأراد الكل.

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (٦).

{فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ} "قِيلَ: مَعْنَاهُ: بِكُلِّ ذُنُوبِهِمْ، فَعَبَّرَ بِالْبَعْضِ عَنِ الْكُلِّ، وَقِيلَ (٧): مَعْنَاهُ: يُصِيبُهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ فِي الدُّنْيَا" (٨).

فعلى الرأي الأول يكون قد أطلق لفظ البعض وأراد به الكل .

٤- الكلية: وهي على عكس الجزئية حيث يطلق الكل ويراد به الجزء.

– ومنه قول الله ﷻ: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْٓ عَآذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٩).

(١) آل عمران / ١٨٢ .

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٩٤).

(٣) آل عمران / ٤٣ .

(٤) على هذا التفسير، يكون فيه تغليب (من صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر) وقد ذكرته سابقاً.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٣٧).

(٦) المائدة / ٤٩ .

(٧) أما إن كان المقصود به بعض الذنوب في الدنيا، فلا وجه فيه للمجاز .

(٨) تفسير السمعاني، (ج ١/٤٤١).

(٩) البقرة / ١٩ .

{من السَّمَاءِ} "كل ما علا فَهُوَ سَمَاءٌ، فالسقف سَمَاءٌ، والسحاب سَمَاءٌ، وَمَا فَوْقَهُ سَمَاءٌ، وَأَرَادَ بِهِ السَّحَابَ هَهُنَا"^(١).

حيث أطلق لفظ السماء وهو لفظ عام يشمل كل ما تحتويه السماء، وإنما أراد السحاب وهو جزء مما في السماء؛ لأنه يخرج منه الرعد والبرق والمطر، فذكر الكل وأراد به الجزء .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

{وادخلوا الباب سجدا} {سجدا} "أي: ركعا خضعا، وأصل السُّجُود الخضوع وَفِي الرُّكُوع خضوع، وَقَالَ الشَّاعِرُ

بِجَمْعِ تَضِلُّ الْبَلْقُ فِي حُجْرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ^(٣)

أي: ركعا خضعا"^(٤).

فعبر عن الخضوع والانحناء بالسجود، ولم يرد به السجود الحقيقي أي وضع الجبهة على الأرض، وقد يكون ذلك للمبالغة في إظهار الخضوع والانحناء لله ﷻ .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} "أَرَادَ بِهِ: الْإِنْفَاقَ فِي الْجِهَادِ، وَكُلَّ خَيْرِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَكِنْ إِذَا أُطْلِقَ سَبِيلِ اللَّهِ، يُنْصَرَفُ إِلَى الْجِهَادِ"^(٦).

بين السمعاني أن المقصود بقوله (في سبيل الله) هو الجهاد في سبيل الله، فأطلق الله ﷻ اللفظ على العموم؛ لأن كل عمل خير هو في سبيل الله، لكن المقصود بالآية هو جزء من هذا الخير وهو الجهاد، ولعل في إطلاق لفظ (في سبيل الله) على الجهاد فيه تعظيم لمكانة الجهاد، وكان سبيل الله حصر عليه . والله أعلم .

٥- اعتبار ما كان: حيث يسمى الشيء على اعتبار ما كان عليه.

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٣).

(٢) البقرة / ٥٨.

(٣) البيت على البحر الطويل، وهو لزيد الخيل الطائي.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/٥٥).

(٥) البقرة / ١٩٥.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/١٤٠).

- ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (١).

قوله تعالى: {وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ} "أَرَادَ بِهِ: دَفَعَ الْمَالَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْبُلُوغِ، وَسَمَّاهُمْ بَعْدَ الْبُلُوغِ يَتَامَى؛ لِقَرَبِ عَهْدِهِمْ بِالْيَتِيمِ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَسْمِي رَسُولَ اللَّهِ يَتِيمَ أَبِي طَالِبٍ لِذَلِكَ" (٢).

فالبالغ لا يسمى يتيماً، والأموال لا تعطى للأيام إلا بعد البلوغ؛ ليحسنوا التصرف بأموالهم، وقد بين السمعاني سبب إطلاق مسمى اليتامى عليهم، هو قرب عهدهم باليتيم، وكأن الله يريد أن يشير إلى ضرورة سرعة دفع الأموال لهؤلاء الأيتام فور بلوغهم، وعدم المماطلة في إعطائهم حقوقهم.

٦- الحالية: وهو أن يطلق الحال ويراد المحل،

- ومنه قول الله ﷻ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرْنٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَتَلْتَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٣).

"قوله تعالى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا} الآية فيها قولان: أظهر القولين: أن المنام حقيقة النوم؛ فَرَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ فِي نَوْمِهِ أَقْلَ مِمَّا كَانُوا فِي الْعَدَدِ. وَالْقَوْلُ الثَّانِي وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: أَنَّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فِي مَنَامِكَ} أَي: فِي عَيْنِكَ قَلِيلًا؛ وَسُمِّي الْعَيْنُ مَنَامًا؛ لِأَنَّهَا مَوْضِعُ النَّوْمِ" (٤).

فعلى قول الحسن البصري يكون المنام الحال وهو المذكور، والمراد المحل وهي العين، مع الإشارة أن السمعاني يرجح القول الأول، أي أن المنام على وجهه الحقيقي ويقصد به الرؤيا، حيث أن الرسول ﷺ رآهم في منامه قليلي العدد، وعلى ذلك يكون لا وجه للمجاز فيه.

- ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ (٥).

(١) النساء / ٢.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٣٠٣).

(٣) الأنفال / ٤٣.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ١٠٠).

(٥) الطلاق / ١١.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ "أي: الجنة" (١).

فالله سبحانه وتعالى ذكر الحال الذي يكون عليه أهل الجنة وهو الرزق، وأراد المحل وهو الجنة.

٧- المحلية: حيث يسمى المحل ويراد الحال.

– ومنه قول الله ﷻ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ "إنَّما أضافه إلى السماء وإن كان ينزل من السحاب؛ لأنَّه ينزل من جهة السماء" (٣).

فالله سبحانه وتعالى ذكر السماء وأراد السحاب، والسماء هي محل السحاب .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٤).

"والقول الثاني (٥): في أصل الآية أن المراد من العرض على السموات والأرض والجبال هو العرض على أهل السموات وأهل الأرض وأهل الجبال وهو مثل قوله: ﴿واسأل القرية﴾ (٦) أي: أهل القرية" (٧).

فعلى هذا القول ذكر الله سبحانه وتعالى السموات والأرض وهي المحل، وأراد الحال وهم أهل السموات والأرض، وهو يماثله بقول الله ﷻ: ﴿واسأل القرية﴾ والمقصود بالسؤال هم أهل القرية، لا القرية نفسها وهي أيضاً مجاز مرسل علاقته محلية .

(١) تفسير السمعاني، (ج ٤/٣٢٥).

(٢) البقرة/٢٢.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٦).

(٤) الأحزاب/٧٢.

(٥) القول الأول: أن الله يخاطب السموات والأرض على حقيقتهم.

(٦) يوسف/٨٢.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ٣/٣٦٧).

– ومثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ (١).

"وَمَعْنَاهُ: وَكَمْ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ هُمْ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ أَهْلِ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَهَا" (٢).
وتأمل الجمال القرآني في الآية السابقة، فالله سبحانه وتعالى كنى عن أهل القرية بلفظ مفرد المؤنث، وهي المحل (القرية) استصغاراً لهم، وعند استعراض قوته وبيان عاقبتهم ذكرهم بلفظ الجمع المذكر (هم) في قوله تعالى: (أهلكناهم)، فلا ناصر ولا معين لهم أمام جبروت الله وعظمته، والله أعلم .

– ومن المجاز المرسل علاقته المحلية أيضاً قول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۚ وَأَنَّهُ رَئِيسُهُمْ﴾ (٣).

"مَعْنَاهُ (٤): يَحُولُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْخَوْفِ، وَبَيْنَ الْكَافِرِ وَالْأَمْنِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا آمِنِينَ، وَالْمُسْلِمِينَ كَانُوا خَائِفِينَ؛ فَأَبْدَلَ اللَّهُ تَعَالَى خَوْفَ هَوْلَاءِ بِالْأَمْنِ، وَأَمِنْ هَوْلَاءِ بِالْخَوْفِ، وَعَبَّرَ بِالْقَلْبِ؛ لِأَنَّهُ مَحَلُّ الْخَوْفِ وَالْأَمْنِ" (٥).

فالله سبحانه وتعالى ذكر محل الخوف وهو القلب، وأراد الحال وهو الخوف، ولعله بذلك يشير إلى أن مركز التحكم بالخوف والأمن هو القلب، فمن أراد أن يشعر بالأمن والسكينة؛ فعليه أن يطمئن قلبه بالإيمان، بالابتعاد عن المعاصي والذنوب، ولن يدخل الخوف في قلبه أزيز طائرات ولا زوارق حربية ولا مدافع، وأما من اضطرب قلبه من كثرة الذنوب والمعاصي؛ فسيظل يشعر بالخوف، والله سبحانه وتعالى بيده مقاليد الأمن والخوف، والاستجابة لرسوله فيها الفوز العظيم والراحة الكبرى.

٨- الآلية:

"وهو أن يذكر الشيء باسم آله التي يؤدي بها الفعل" (٦).

(١) محمد / ١٣.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٧٢/٤).

(٣) الأنفال / ٢٤.

(٤) هذا المعنى هو أحد معاني ثلاث، والقولين الآخرين إما أن الآية بمعنى أنه يحول بين المؤمن والكفر، أو أنه يحول بين المؤمن والمعصية. للاستزادة راجع تفسير السمعاني، (ج ٨٨/٢).

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٨٨/٢).

(٦) من بلاغة القرآن / ٢١٣.

– ومنه قوله ﷺ: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾^(١).

"فإن قيل: ما معنى قوله: {مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ} والكتب لا يكون إلا باليد؟ قيل: ذكره مبالغة في التحقيق. وقيل: معناه أنهم كتبوا بأنفسهم اختراعاً"^(٢).

فالله سبحانه وتعالى ذكر اليد مع الكتابة، لأن آلة الكتابة الحقيقية هي اليد، كما أنه أسند اليد إلى الضمير (هم) ليؤكد أن الكتابة كانت بإرادتهم ومن تلقاء أنفسهم، وفي ذلك جاء فتح القدير: " وقوله: بأيديهم تأكيد لأن الكتابة لا تكون إلا باليد، فهو مثل قوله: "ولا طائر يطير بجناحيه"^(٣)، وقال ابن السراج^(٤): هو كناية عن أنه من تلقائهم دون أن ينزل عليهم"^(٥).

– ومثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾^(٦).

قوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ} "معناه: يُرِيدُونَ أَنْ يَخْمَدُوا نُورَ اللَّهِ، وَالْمُرَادُ مِنَ النُّورِ: الْقُرْآنُ، وَقِيلَ: هُوَ مُحَمَّدٌ، وَقَوْلُهُ: {بِأَفْوَاهِهِمْ} مَعْنَاهُ: بِتَكْذِيبِهِمْ"^(٧).

فالله ﷻ أطلق لفظ الفم وهي أداة النطق، وأراد ما يخرج منه وهو التكذيب، والصد عن سبيل الله، ومحاولة إخماد نور الحق، وأتى لهم ذلك فالله متم نوره رغم أنف الكافرين .

(١) البقرة / ٧٩.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/٦٨).

(٣) الأنعام / ٣٨.

(٤) لعله يقصد: محمد بن السري بن سهل، أبو بكر (ت ٣١٦هـ): أحد أئمة الأدب والعربية، من أهل بغداد، كان يلثغ بالراء فيجعلها غينا، ويقال: ما زال النحو مجنونا حتى عقله ابن السراج بأصوله، مات شابا، وكان عارفا بالموسيقى. انظر الأعلام للزركلي، (ج ٦/١٣٦).

(٥) فتح القدير، (ج ١/١٢٣).

(٦) التوبة / ٣٢.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ٢/١٣١).

ثالثاً: الاستعارة

الاستعارة لغة: "العاريّة والعارة: ما تداولوه بينهم؛ وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاورّه إيّاه، واستعاره الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يُعيّره إيّاه"^(١).

الاستعارة اصطلاحاً: استعمل علماء اللغة منذ القدم لفظ الاستعارة، وبينوا أنها وجه من أوجه التوسع في كلام العرب، وممن ذكره أبو عمرو بن العلاء ف جاء في حلية المحاضرة أن ابن العلاء قال: " كانت يدي في يد الفرزدق وأنشدته قول ذي الرمة:

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى وساق الثريا في ملاءته الفجر

قال: فقال لي: أرشدك، أم أدعك؟ قلت: بل أرشدني! فقال: "إن العود لا يزوي أو يجف الثرى وإنما الشعر "حتى ذوى العود في الثرى" قال أبو عمرو: ولا أعلم قولاً أحسن من قوله "وساق الثريا في ملاءته الفجر، فصير للفجر ملاءة، ولا ملاءة له وإنما استعار هذه اللفظة، وهو من عجيب الاستعارات"^(٢).

وقد ذكر البلاغيون تعريفات عدة للاستعارة اختلفت في ألفاظها، وإن كانت كلها تحمل ذات الدلالة، ومن أوائل من تعرض لمصطلح الاستعارة الجاحظ في كتابه البيان والتبيين في معرض شرحه لشاهد من الشواهد فقال فيه: " وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة، وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"^(٣). فجعل الاستعارة: تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه .

وممن ذكر تعريفه أيضاً الإمام ثعلب في قواعد الشعر فقال: "وهو أن يُستعار للشيء اسم غيره، أو معنى سواه"^(٤). ونلاحظ أن ثعلب أضاف على التعريف (أو معنى سواه)، أي أن الاستعارة تكون في الشيء وهو للمحسوس، أو يكون في المعنى وهو للمعقول .

كما أن العلماء المتقدمين وضعوا الاستعارة ضمن علم البديع^(٥)، وبعضهم كان يسميها بـ (الأمثال)^(٦).

(١) اللسان، (عور).

(٢) حلية المحاضرة: محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، أبو علي (ت: ٣٨٨هـ)، نسخة (pdf)، (٨)

(٣) البيان والتبيين، (ج ١/١٤٢).

(٤) قواعد الشعر: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب (ت: ٢٩١هـ)، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط ٢ (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٥ م)، (٥٣).

(٥) انظر: البديع في البديع: أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (ت: ٢٩٦هـ)، ط ١ (د.ق، دار الجيل، ١٩٩٠ م) (٢٢).

(٦) انظر: نصره الإغريض في نصره القريض: المظفر بن الفضل بن يحيى، أبو علي، العلوي الحسيني العراقي (ت: ٦٥٦هـ)، (نسخة الكترونية). (٢٤).

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: " ومِلاكُ الاستعارة، تقريب الشَّبهِ، ومناسبة المستعار للمستعار منه، وهكذا تراهم يعدّونها في أقسام البديع، حيث يُذكر التجنيس والتطبيق والترشيح وردُّ العجز على الصدر وغير ذلك، من غير أن يشترطوا شرطاً، ويُعقبوا ذكرها بتقييد فيقولوا: ومن البديع الاستعارة التي من شأنها كذا. . ." (١).

وعند استقرار علوم البلاغة، عُدَّت البلاغة من ألوان البيان وعرفها الخطيب القزويني بقوله: "الاستعارة: هي ما كانت علاقته تشبيهه معناه بما وضع له" (٢).

ويتضح من كلام القزويني أن العلاقة بين اللفظ المستعار والمستعار له هي التشبيه، إلا أن الاستعارة تختلف عن التشبيه وقد ذكرها عديد من العلماء، حيث جاء في نهاية الأرب: "التشبيه: هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء في نفسه، كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس، وهو ركن من أركان البلاغة لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدناؤه البعيد من القريب، وهو حكم إضافي لا يوجد إلا بين الشيين بخلاف الاستعارة" (٣).

"وأما الاستعارة: فهي ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظاً وتقديراً، وإن شئت قلت: هو جعل الشيء الشيء، أو جعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه" (٤).

ويتضح من الكلام السابق أن التشبيه يكون بين طرفين المشبه والمشبه به، ويكون هناك وجه شبه يجمع بينهما، أما الاستعارة فتكون بحذف أحد طرفي التشبيه ولا تستدعي الحاجة ذكره، كما أنه لا يكون حكماً إضافياً للمعنى، بل يكتسب لوناً جمالياً جديداً ويصبح اللفظ المستعار كأنه على حقيقته للمبالغة في التشبيه، أي يتلبس اللفظ المستعار المستعار له وكأنه جعل له، ولذلك امتدح العلماء الاستعارة وعدوها من أرقى الأساليب الجمالية فقالوا: " فأما الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام، وعليها المعول في التوسّع والتصرف، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر" (٥).

(١) أسرار البلاغة، (٣٩٩).

(٢) الإيضاح، (٤٠٧).

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ)، ط١ (القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣ هـ)، (ج٧/٣٨).

(٤) نهاية الأرب، (ج٧/٤٩).

(٥) الوساطة بين المتبني وخصومه: أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، د.ط (د.ق، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. ت (٤٢٨).

وجاء في خزانة الأدب: " الاستعارة عندهم أقصى من المجاز، وهي أخص منه، إذ قصد المبالغة شرط في الاستعارة دون المجاز، وموقعها في الأذواق السليمة أبلغ، وليس في أنواع البديع أعجب منها، إذا وقعت في مواقعها، وللناس فيها اختلاف كثير"^(١).

ولا نتعدى الحقيقة إذا قلنا إن الاستعارة من أدق أساليب البيان تعبيراً، وأقواها تأثيراً، وأجملها تصويراً، وأكملها تأديةً للمعنى .

كما أنهم بينوا أغراض الاستعارة، فجاء في الصناعتين قولهم: "الاستعارة: نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيد المبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه؛ وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة؛ ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة؛ من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً"^(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن السمعاني لم يورد لفظ الاستعارة في تفسير السور المدنية، بل كان يطلق على بعض الصور التي تتضمن معنى الاستعارة مجاز - كما ذكرنا سابقاً في مبحث المجاز - إلا أنه كان يشرح الصورة الاستعارية دون ذكر مسمياتها .

الاستعارة المكنية والتصريحية :

تقوم الاستعارة على ثلاثة أركان وهي^(٣) :

المستعار: وهو اللفظ المنقول .

المستعار منه: وهو المشبه به .

المستعار له: وهو المشبه .

أولاً الاستعارة المكنية:

وهي " وإذا ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط، وحذف فيه المشبه به، وأشير إليه بذكر لازمه: المسمى تخيلاً، فاستعارة مكنية أو بالكناية " ^(٤).

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزاري (ت: ٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو، د.ط (بيروت، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٤م) (ج ١/ ١٠٩).

(٢) الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط (المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩ هـ)، (٢٦٨).

(٣) من بلاغة القرآن، (٢١٧).

(٤) جواهر البلاغة، (٢٦٠).

- وقد ورد في تفسير السمعاني العديد من شواهد الاستعارة المكنية ومنها قول الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١).

" يَعْني يَبْسَتْ وجفت، وجفاف القلب بِخُرُوج الرِّحْمَةِ والرِّقَّة عَنْهُ...

{فهي كالحجارة} يعنى في الصلابة {أو أشد قسوة}، فإن قيل: لم قال: أو أشد قسوة و " أو " كلمة التشكيك؟ ولم شبه بالحجارة والحديد أصلب من الحجارة؟ .

قلنا: أما الأول معناه وأشد قسوة. وقيل: بل أشد قسوة، وهو مثل قوله تعالى: {إلى مائة ألف أو يزيدون} (٢) أو بل يزيدون، وقال جماعة النحويين: معناه إن شئت مثلهم بالحجارة، وإن شئت مثلهم بما هو أشد من الحجارة، فأنت مصيب في الكل. وهذا قول حسن.

وإنما لم يشبه بالحديد؛ لأنه قابل للين، فإنه يلين بالنار، وقد لأن لداود عليه السلام، والحجارة لا تلين قط (٣).

فالله سبحانه وتعالى في قوله (قست قلوبكم) يستعير لفظ القسوة للقلب وكأنه بذلك أصبح شيئاً جافاً وباساً، ويردق بقوله (فهي كالحجارة) فهو يمثل ويشبه القلب في قسوته كالحجارة، ففي التعبير الأول: (قست قلوبكم) استعارة وقد جعل الشيء الشيء وكأنه هو، أي أن القلب شيء يقسو وييبس، والتعبير الثاني هو تشبيهه في قوله: (فهي كالحجارة) .

ولاحظ جمال التصوير في هذه الآية الكريمة وهي تصف القلوب، فجاء اللفظ المستعار (قست) فعل ليدل على أن حال القلب في تغير ولو جاء باللفظ على صيغة الاسم ما كان يحتمل هذا المعنى، ولاحظ أيضاً جمال التركيب في اتباع الاستعارة التي تدل على المبالغة بالتشبيه، التشبيه في قوله تعالى: (فهي كالحجارة)، ومن المعلوم أن المشبه أقل منزلة من المشبه به، والله سبحانه وتعالى شبه القلب بالحجر ثم أتبعه بقوله: (أو أشد قسوة) أي أنه إما على مثل قسوة الحجر أو يساويها تماماً، ولعل في ذلك إشارات يمكن استنباطها : منها أن القلوب في تقلب مستمر، و أنها تتفاوت في درجة قسوتها . والله أعلم .

(١) البقرة / ٧٤.

(٢) الصافات / ١٤٧.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٦٤).

– ومن الاستعارة المكنية أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾^(١).

"وَمَعْنَاهُ: قُلُوبُنَا فِي أَوْعِيَةٍ مِمَّا تَقُولُ لَا نَفْهَمُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْنَةِ ﴾^(٢) " (٣).

حيث شبه القلب بشيء مادي يوضع في غلاف، وحذف المشبه به وأبقى على صفة من صفاته وهي (الوعاء) .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ "الإيلاج: الإدخال، وَمَعْنَاهُ: تَنْقِصُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَتَزِيدُ فِي الْآخَرِ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: تَغْطِي اللَّيْلُ بِالنَّهَارِ، وَالنَّهَارُ بِاللَّيْلِ" (٥).

فشبه كلاً من الليل والنهار بكائن حي يدخل كل منهما في الآخر، وهو يشير لتبادل الأوقات بين الليل والنهار، فيقصر النهار ويطول الليل في الشتاء ويحدث العكس في الصيف. والله أعلم .

– ومن الاستعارة المكنية قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأُمْرَاتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾^(٦).

"وَأَيْمًا قَالَ: ﴿بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾ ؛ لِأَنَّ الْكِبَرَ فِي طَلَبِ الْإِنْسَانِ، فَإِذَا أَصَابَهُ فَقَدْ بَلَغَهُ" (٧).

ففيه استعارة مكنية حيث شبه الكبر بإنسان يطلب صاحبه حتى إذا وصل إليه فقد بلغه، كما أن البلوغ هو الوصول أو المشاركة عليه جاء في اللغة: "بَلَغْتَ الْمَكَانَ بُلُوغًا: وَصَلْتَ إِلَيْهِ،

(١) البقرة / ٨٨.

(٢) فصلت / ٥.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٧٢).

(٤) آل عمران / ٢٧.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٢٨).

(٦) آل عمران / ٤٠.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٣٤).

وكذلك إذا شارفت عليه. ومنه قوله تعالى: "فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ" أي قَارِنَتْهُ (١).

ولعل هذا التعبير يوسع من معاني الآية الكريمة؛ فإما أن الكبر قد وصل إلى زكريا عليه السلام حقيقة، أو أنه شارف على الوصول إليه. والله أعلم.

— ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ} "أي: استبدلوا وكل شِراء استبدال، وليس كل استبدال شِراء" (٣).

فشبه الكفر والإيمان بشيء مادي يستبدل، وقد حذف المشبه به وأبقى على صفة من صفاته وهي الشراء.

— ومثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِّقُونَ ﴾ (٤).

{وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا} أي "وَلَا تَسْتَبَدَلُوا؛ ذَلِكَ أَنْ عُلَمَاءَهُمْ وَأَحْبَابَهُمْ كَانَتْ لَهُمْ مَأْكَلَةٌ عَلَى أَغْنِيائِهِمْ وَجِهَالِهِمْ؛ فَخَافُوا أَنْ تَذْهَبَ مَأْكَلَتُهُمْ إِنْ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ فَغَيَّرُوا نَعْتَهُ، وَكَتَمُوا اسْمَهُ، فَهَذَا مَعْنَى بَيْعِ الْآيَاتِ بِالثَّمَنِ الْقَلِيلِ" (٥).

— ومنه أيضاً قوله ﷻ: ﴿ فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٦).

{بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} "الطَّبَعُ: الْخَتَمُ، وَقَالَ الزَّجَاجُ: جَعَلَ قُلُوبَهُمْ كَالْمَطْبُوعِ لَا يَفْلَحُ، وَلَا يَصْلَحُ أَبَدًا، وَلَا يَدْخُلُهَا خَيْرٌ؛ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا" (٧).

(١) الصحاح، (بلغ).

(٢) آل عمران / ١٧٧.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٩٢).

(٤) البقرة / ٤١.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/٤٦).

(٦) النساء / ١٥٥.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٩٥).

فجعل قلوبهم مختومة مطبوعة لا تصلح ولا تتغير، فحذف المشبه به وأبقى على صفة من صفاته وهي الطبع .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١).

{فبشرهم بعذاب أليم} "معناه: ضع هذا الوعيد موضع البشارة، وإلا فالوعيد لا يكون بشارة حَقِيقَةً" (٢).

ونلاحظ أن السمعاني قد وضع مفهوم الاستعارة من شرحه للآية بقوله ضع الوعيد موضع البشارة، وهو مقارب لمفهوم تسمية الشيء بغير اسمه، وإن كانا متناقضين إلا أن الوعيد والبشارة أخبار ينتظرهما المخاطب ولعل في ذلك وجه للشبه بينهما، فتكون بذلك استعارة مكنية.

– ومن أمثلة الاستعارة المكنية أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣).

قوله: {يغشى الليل النهار} "معناه: يلبس النهار بظلمة الليل، ويلبس ظلمة الليل بضوء النهار" (٤).

ففي لفظ (يغشى) استعارة مكنية حيث جعل الليل والنهار بالشيء الذي يلبس كل منهما الآخر .

– ومن الاستعارة المكنية أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ (٥).

"وقوله تعالى: {ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً} هو يوم القيامة، وتركهم له هو تركهم العمل والسعي له، وقوله: {ثقيلاً} يجوز أن يكون سماً ثقيلاً لشدة الهول والفرع فيه، ويجوز أن يكون سماً

(١) التوبة / ٣٤.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ١٣٢).

(٣) الرعد / ٣.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ٣٤٤).

(٥) الإنسان / ٢٧.

ثقيلاً لفصل القضاء فيه بين العباد وعدله معهم، وهو في غاية النقل عليهم إلا من تداركه الله بفضله" (١).

فالله سبحانه وتعالى جعل اليوم كالشيء الذي يحمل وهو ثقيل، فحذف المشبه به أبقى على صفة من صفاته وهو النقل .

ثانياً - الاستعارة التصريحية:

هي "ما حذف فيها المشبه (المستعار له)، وصرح بلفظ المشبه به (المستعار منه)" (٢).

- ومن أمثلتها في تفسير السمعاني قول الله ﷻ: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٣).

قوله تعالى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} "أزاد بالمرض الشك والنفاق بإجماع المفسرين، ويوصف القلب والذين بالمرض والصحة كما يوصف البدن به" (٤).

فجعل الشك والنفاق مرض، وقد حذف المشبه به وصرح بالمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية .

- ومثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴾ (٥).

قوله - تعالى - : {فترى الذين في قلوبهم مرض} "أي: نفاق" (٦).

- ومثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٧).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٤/٤٣٣).

(٢) من بلاغة القرآن، (٢٢٠).

(٣) البقرة/١٠.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٩).

(٥) المائدة/٥٢.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/٤٤٢).

(٧) البقرة/١٤.

"الشيطان: كل عاتٍ متمرد من الجنّ والإنس، وأصله: البعد والامتداد ... فأرادَ بالشياطين هَاهُنَا عتاتهم ورؤساءهم في الكفر، يَقُول: إذا خلوا برؤسائهم، قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ فِي دِينِكُمْ" (١).

فجعل أئمة الكفر كالشياطين على سبيل الاستعارة التصريحية .

— ومنه قوله ﷺ: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢).

يقول السمعاني في تفسير هذه الآية: "يَحْتَمِلُ مَعْنِيَيْنِ (٣): أَحَدُهُمَا: لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِمَا اسْتَفَادُوا مِنَ الْعِزِّ وَالْأَمَانِ الَّذِي لَهُمْ بِمَنْزِلَةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ" (٤).

أي جعل السمع بمنزلة العزة وجعل البصر بمنزلة الأمان، على سبيل الاستعارة التصريحية .

— ومنه أيضاً قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٥).

{وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} "أي: الإسلام باليهودية والنصرانية، كَذَا قَالَ الْأَكْثَرُونَ، وَقِيلَ: هُوَ لِبَسِ التَّوْرَةِ بِمَا غَيَّرُوا مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ" (٦).

فجعل الإسلام هو الحق، والباطل هو ما غيره سواء أكان التوراة والإنجيل أو ما بدلوا وغيروا .

— ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٧).

" قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} أي: بعد يبسها وجدوبتها، فَإِنَّ الْأَرْضَ إِذَا أُجْدِبَتْ فَقَدْ مَاتَتْ، وَإِذَا أُخْصِبَتْ فَقَدْ حَيَّتْ" (٨).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٣١).

(٢) البقرة / ٢٠.

(٣) والمعنى الثاني أن السمع والبصر على حقيقته ولا وجه فيه للاستعارة.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٤).

(٥) البقرة / ٤٢.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/٤٧).

(٧) البقرة / ١٦٤.

(٨) تفسير السمعاني (ج ١/١١٨).

ففي لفظي (أحيا وموتها) استعارة تصريحية حيث جعل جذب الأرض كالموت، وإخصابها كإحيائها بعد موتها .

– ومن الاستعارة التصريحية أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَدُّوا هُنَّ وَأَبْتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١) .

قوله: {وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر} " قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: أراد بالخيط: اللون، ومعناه: بياض النهار من سواد الليل" (٢) .

استعار لفظ الخيط للدلالة على اللون، وسُمي اللون خيطاً لجامع الدقة بينهما، فالخيط الأبيض هو لون النهار والخيط الأسود هو لون الليل وجاء في المحرر الوجيز: " الخيطُ استعارة وتشبيهه لرقعة البياض أولاً ورقعة السواد الحاف به" (٣) .

غير أن الشوكاني عد الآية من باب التشبيه البليغ بقوله: " وقوله: حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ هُوَ تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ " (٤) .

ولعله أقرب إلى التشبيه البليغ ؛ لأن المشبه به معرفة والجملة تحتل تقدير مشبه فنقول: حتى يتبين لكم لون كالخيط الأبيض . والله أعلم .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْتَسَ الْمُهَادُّ ﴾ (٥) .

"قوله تَعَالَى: {وليتس المهاد} المهاد: كل فراش يستقر المرء عليه" (٦) .

(١) البقرة / ١٨٧ .

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٣٥) .

(٣) المحرر الوجيز، (ج ١/ ٢٥٨) .

(٤) فتح القدير، (ج ١/ ٢١٤) .

(٥) البقرة / ٢٠٦ .

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٥١) .

فجعل جهنم والعياذ بالله - كالفرش الذي يفترشه العاصي وذلك من باب الاستعارة التصريحية.

- ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأُضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١).

قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ "القرض: هو القسط، ومنه المقرض، وسمى القرض قرضاً؛ لأنه يقطع شيئاً من ماله ليكافأ عليه، أو يرد عليه مثله.

قال لبيد:

وَإِذَا جُوزِيَتْ قَرْضًا فَأَجْرُهُ إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْإِبِلُ (٢)

فإن قيل: كيف يكون الإقراض من الله تعالى؟ قيل معناه: يفرض أنبياء الله، فقال الضحَّاك: معناه: يتصدق الله، وسماه قرضاً لأن الله تعالى قد وعد الثواب عليه (٣).

ففيه استعارة تصريحية حيث شبه الصدقة بالقرض وجاء في فتح القدير: "واستدعاء القرض في الآية إنما هو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه، والله هو الغني الحميد: شبه عطاء المؤمن ما يرجو ثوابه في الآخرة بالقرض، كما شبه إعطاء النفوس والأموال في أخذ الجنة بالبيع والشراء" (٤).

- ومن الاستعارة التصريحية أيضاً قول الله ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥).

قوله: ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ أي: الحق من الباطل، والإيمان من الكفر (٦).

فشبه الحق والإيمان بالرشد، وشبه الباطل والكفر بالغي.

(١) البقرة/ ٢٤٥.

(٢) البيت على البحر الرمل، للبيد بن ربيعة العامري.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٨١).

(٤) فتح القدير، (ج ١/ ٣٠٠).

(٥) البقرة/ ٢٥٦.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٩٠).

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) .

{وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي} قال الحسن^٢: معناه: تخرج الكافر من المؤمن، والمؤمن من الكافر، والقول الثاني: تخرج النطفة من الحي، والحي من النطفة، وفيه قول غريب: تخرج الفطن الكيس من البليد الفاجر، والبليد من الفطن؛ لأن البليد ميت فهماً والفظن حي فهماً^(٣).

فهو جعل الميت محل الكافر أو محل النطفة أو محل البليد الفاجر، وجعل الحي محل المؤمن أو محل الكيس الفطن، وعلى كل الأوجه هي استعارة تصريحية حيث حذف المشبه وصرح بالمشبه به .

– ومن الاستعارة أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤) .

{حتى يميز الخبيث من الطيب} قال مجاهد: حتى يميز الكافر من المؤمن، وقال قتادة: حتى يميز، المنافق من المؤمن^(٥).

حيث جعل الكافر هو الخبيث والمؤمن هو الطيب .

– ومثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٦) .

قوله – تعالى –: {قل لا يستوي الخبيث والطيب} قال السدي: يعني الكافر والمؤمن، وقال غيره: الخبيث الحرام، والطيب الحلال^(٧).

(١) آل عمران / ٢٧ .

(٢) لعله يقصد الحسن البصري .

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٢٨) .

(٤) آل عمران / ١٧٩ .

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٩٣) .

(٦) المائدة / ١٠٠ .

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٤٦٤) .

– ومن الاستعارة التصريحية قول الله ﷻ: ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (١).

{قد جاءكم من الله نور} قيل: هو الإسلام، وسمي نوراً لأنه يهتدى به كما يهتدى بالنور، وقيل محمداً وسمي نوراً؛ لأنه يبين به الأشياء، كما يبين بالنور (٢).

فشبه الإسلام أو محمد ﷺ بالنور وعلى كلا التفسيرين هي استعارة تصريحية.

– ومن الاستعارة التصريحية قول الله ﷻ: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣).

{ويخرجهم من الظلمات إلى النور} يعني: من الكفر إلى الإسلام، وسمي الكفر ظلمة؛ لأنه يتحير في الظلمة، وسمي الإسلام نوراً لما بينا (٤) (٥).

– ومثله قول الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (٦).

وقوله: {ليخرجكم من الظلمات إلى النور} أي: من ظلمة الضلالة إلى نور الهداية، ومن ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، وقيل: من ظلمة النار إلى نور الجنة (٧).

– ومثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ (٨).

(١) المائة / ١٥.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٤٢٠).

(٣) المائة / ١٦.

(٤) يقصد ما بينه في الآية السابقة (المائة / ١٥).

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٤٢١).

(٦) الأحزاب / ٤٣.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ٣ / ٣٥١).

(٨) الطلاق / ١١.

وَقَوْلُهُ: {لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} "أَي: مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَمِنَ الْبَاطِلِ إِلَى الْحَقِّ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ" (١).

– ومن الاستعارة التصريحية أيضاً قوله في معرض تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢).

"رُويَ أَنَّ النَّبِيَّ رَأَى الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَالَ: "إِنَّكُمْ لَتَجْبُنُونِي وَتَبْخُلُونِي وَتَجْهَلُونِي، وَإِنَّكُمْ لَمِنْ رِيحَانِ اللَّهِ" وَأَشَارَ إِلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ (٣)، يَعْنِي: تَوَقَّعُونَ الْأَبَاءَ فِي الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْجَهْلِ. وَقَوْلُهُ: "لَمِنْ رِيحَانِ اللَّهِ" "أَي: مِنْ رِزْقِ اللَّهِ" (٤).

ففي لفظ ريحان الله استعارة تصريحية، ويقصد به رزق الله .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٥).

"وَقَوْلُهُ: {وَسِرَاجًا مُنِيرًا} أَي: ذَا سِرَاجٍ مُنِيرٍ، وَالسِّرَاجُ الْمُنِيرُ هُوَ الْقُرْآنُ. وَقِيلَ: وَسِرَاجًا هُوَ الرَّسُولُ، سَمَّاهُ سِرَاجًا؛ لِأَنَّهُ يُهْتَدَى بِهِ كَالسِّرَاجِ يَسْتَضَاءُ بِهِ" (٦)، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِن الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهْتَدٍ مِنْ سِيُوفِ اللَّهِ مَسْئُولٌ (٧)

– ومثله قول الله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ} "يُقَالُ: هُوَ الْقُرْآنُ، وَيُقَالُ: هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ" (٩).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٤/٣٢٥).

(٢) الأنفال / ٢٨.

(٣) سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، د.ط (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م)، (ج ٣/٣٨١).

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٢/٨٩).

(٥) الأحزاب / ٤٦.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٣/٣٥٢).

(٧) البيت على البحر البسيط وهو لكعب بن زهير.

(٨) الصف / ٨.

(٩) تفسير السمعاني، (ج ٤/٢٨٩).

الاستعارة الأصلية والاستعارة التبعية:

يقسم البلاغيون الاستعارة إلى استعارة أصلية وتبعية.

◀ الاستعارة الأصلية: "هي ما كان اللفظ المستعار اسماً جامداً غير مشتق"^(١).

– ومن أمثلته قول الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

{هن أم الكتاب} "ومعناه: هن أصل الكتاب؛ لأن الخلق يفرعون إليه، كما تفرع الفروع إلى الأصول"^(٣).

فاللفظ المستعار هو (أم) وهو لفظ جامد غير مشتق .

– ومن أمثلته أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٤).

قوله تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً} قال ابن عباس: حبل الله: هو العهد. وقال قتادة والسدي: حبل الله: القرآن، وفي الخبر "القرآن: حبل ممدود طرف بيد الله وطرف بأيديكم"، وقيل: الحبل: الطريق، حبل الله: طريق الله"^(٥). فاستعار لفظ الحبل ليدل به على القرآن أو على طريق الله ﷻ، ولفظ حبل اسم جامد غير مشتق .

◀ الاستعارة التبعية فهي الاستعارة التي يكون فيها "اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت عليه الاستعارة اسماً مشتقاً أو فعلاً"^(٦).

(١) من بلاغة القرآن، (٢٢٣).

(٢) آل عمران / ٧.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢١٦).

(٤) آل عمران / ١٠٣.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٥٩).

(٦) من بلاغة القرآن، (٢٢٤).

– ومن أمثلته قول الله ﷻ: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (١).

أي "اخْتَارُوا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ" (٢)، حيث شبه اختيار الدنيا على الآخرة ببيع الغالي بالرخيص، وشبه كلاً من الدنيا والآخرة بالسلع، واللفظ المستعار الدال على الاستعارة هو (اشترؤا) وهو فعل لذلك كانت استعارة تبعية .

– ومن أمثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيْعَدِ وَلَكِنَّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَتِهِ وَيُحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣).

قوله تَعَالَى: {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَتِهِ} الآية فيها قولان:

"أحدهما - وَهُوَ الْأَظْهَرُ - : أَنْ الْهَلَاكَ هُوَ الْكُفْرُ، وَالْحَيَاةُ هِيَ الْإِيمَانُ، وَمَعْنَاهُ: لِيَكْفُرَ مَنْ كَفَرَ عَن حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ {ويحيا من حي} يَعْنِي: وَيُؤْمِنُ مِنْ أَمْنٍ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنْ الْهَلَاكَ هُوَ الْمَوْتُ، وَالْحَيَاةُ هِيَ الْعَيْشُ، وَمَعْنَاهُ: لِيَمُوتَ مَنْ يَمُوتُ عَن حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ، وَيَعِيشُ مَنْ يَعِيشُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ" (٤).

فاللفظ المستعار في كلٍ هو (ليهلك) و (يحيا) وكلاهما فعل .

الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة:

تنقسم الاستعارة باعتبار اقترانها بما يلائم المستعار منه، أو المستعار له، أو عدم اقترانها بما يلائم أحدهما أو بما يلائمهما معاً إلى ثلاثة أقسام: مرشحة ومجردة ومطلقة:

◀ **الاستعارة المرشحة:** "هي التي تقترن بما يلائم المستعار منه" (٥).

– وذلك مثل قول الله ﷻ: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (٦).

(١) البقرة / ٨٦.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٧١).

(٣) الأنفال / ٤٢.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ٩٩).

(٥) علوم البلاغة: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، ط ٣ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م)، (٢٧٧).

(٦) البقرة/ ١٦.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهَدَى) "لِأَنَّ مَعْنَاهُ: اخْتَارُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمَّا أَثَرُوا أَشْيَاءَ عَلَى شَيْءٍ فَكَانَهُمْ اسْتَبَدَلُوا هَذَا بِذَلِكَ" (١).

فقد استعار الشراء بدل الاختيار والاستبدال، وذكر معه ما يلائم المشبه به وهو قوله: (رحبت تجارتهم)، فتكون استعارة مرشحة .

– ومن أمثلة الاستعارة المرشحة أيضاً قول الله ﷻ: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

قَوْلُهُ - تَعَالَى - : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} "مَعْنَاهُ: لِمَ تَخْلُطُونَ الْإِيمَانَ بِعَيْسَى - وَهُوَ الْحَقُّ - بِالْكَفْرِ بِمُحَمَّدٍ - وَهُوَ الْبَاطِلُ -؟ وَقِيلَ مَعْنَاهُ: لِمَ تَغْطُونَ " الْحَقَّ " مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ بِالتَّغْيِيرِ " الْبَاطِلُ " ؟! " (٣).

فشبه خلط الحقيقة وإخفائها باللباس، وقد ذكر معه ما يلائم هذا اللباس وهو الكتمان فالكتمان فيه تغطية وإخفاء ولعله بذلك يناسب لفظ اللباس .

◀ **والاستعارة المجردة:** فهي " التي تفتقر بما يلائم المستعار له " (٤).

– ومن أمثلتها قوله ﷻ: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {صِبْغَةَ اللَّهِ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ الْكَلْبِيِّ وَقَتَادَةَ، وَالْحَسَنُ، وَعِكْرِمَةُ، وَالسُّدِّيُّ: مَعْنَاهُ: دِينُ اللَّهِ. وَإِنَّمَا سَمَّاهُ صِبْغَةً؛ لِأَنَّهُ يَظْهَرُ أَثَرَ الدِّينِ عَلَى الْمُنْتَدِينَ كَمَا يَظْهَرُ أَثَرَ الصَّبْغِ عَلَى النَّوْبِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَعْنَاهُ: فِطْرَةُ اللَّهِ. وَهَذَا يَقْرَبُ مِنَ الْأَوَّلِ.

وقيل: أَرَادَ بِهِ الْخِتَانَ. وَقَوْلُهُ (صِبْغَةَ اللَّهِ) أَي: تَطْهِيرِ اللَّهِ بِالْخِتَانِ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ صِبْغَةً؛ لِأَنَّهُ أَقَامَهُ مَقَامَ فِعْلِ النَّصَارَى، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَصْبِغُونَ الْوَلَدَ فِي مَاءٍ أَصْفَرٍ بَدَلَ الْخِتَانِ فِي زِيِّ الْيَهُودِ، وَيَعْدُونَهُ تَطْهِيراً لِلْوَلَدِ فَاللهُ تَعَالَى أَقَامَ التَّطْهِيرَ بِالْخِتَانِ فِي حَقِّ الْمُسْلِمِينَ مَقَامَ مَا صَبَّغُوا" (٦).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٣١/١).

(٢) آل عمران / ٧١.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٢٤٧/١).

(٤) علوم البلاغة، (٢٧٧).

(٥) البقرة / ١٣٨.

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١٠٤/١).

فقد جعل دين الله أو التطهير بالختان مقام الصبغة التي كان يقوم بها النصارى لأولادهم، وذكر معها ما يلائم المشبه بقوله (صبغة الله) وقوله في نهاية الآية (ونحن له عابدون)، ولم يذكر في الآية ما يلائم المشبه به .

– ومن أمثلته أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ (١).

"النزل هو ما يعد للضيف من النعمة؛ فسمى الله تعالى ما أعده للمؤمنين من نعيم الجنة: نزلاً من عند الله {وما عند الله خير للأبرار} (٢). وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ما يلائم المستعار له (وهو نعيم الجنة) بقوله جنات وبقوله خير للأبرار .

◀ **والاستعارة المطلقة:** "إذا خلت مما يلائم المشبه والمشبه به (المستعار له والمستعار منه)، أو ذكر معها ما يلائم الطرفين معاً" (٣).

– ومن أمثلته قول الله ﷻ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (٤).

{وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد} "أي: خلاف طويل، وإنما سمي الخلاف: شقاقاً؛ لأن المخالف يكون في شق، وصاحبه في شق آخر" (٥).

فالله سبحانه وتعالى جعل الاختلاف العقلي بين من كفر به وآمن به كالشق وهو أمر محسوس يرى بالعين المجردة وبين وجه الشبه بين اللفظ المستعار والمستعار له، كما أنه ذكر ما يلائم كل منهما فكلمة (اختلفوا) تلائم المستعار له وهو الخلاف، وكلمة (بعيد) تلائم اللفظ المستعار وهو (شقاق) والبعد أو القرب يكون للمحسوس . والله أعلم .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٦).

(١) آل عمران / ١٩٨.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٣٠٠).

(٣) من بلاغة القرآن، (٢٢٥).

(٤) البقرة / ١٧٦.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٢٣).

(٦) البقرة / ٢٥٧.

وقوله: {يخرجهم من الظلمات إلى النور} يعني: من الكفر إلى الإسلام، وإنما سمي الكفر ظلمات؛ لأن طريق الكفر مشتبه ملتبس. وإنما سمي الإسلام نورا لأن طريقه بين واضح^(١). استعار لفظ الظلمات للكفر، ولفظ النور للإيمان، ولم يذكر ما يلائم المستعار له ولا ما يلائم المستعار منه .

— ومن أمثلته أيضاً قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢).

"معنى الآية: أن الله تعالى أمر المسلمين بأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وجعل لهم الجنة ثواباً عليه، فجعل هذا بمنزلة الشراء والبيع"^(٣).

فاللفظ المستعار هو (اشترى) وذكر معه ما يلائمه وهو (ببيعكم)، والمستعار له هو الجهاد في سبيل الله وذكر معه ما يلائمه وهو (يقاتلون) وبذلك تكون استعارة مطلقة . والله أعلم .

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/١٩١).

(٢) التوبة / ١١١.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٢/١٧٣).

رابعاً: الكناية

لغة: "الكناية: أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنتى عن الأمر بغيره يكنى كناية: يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو الرفث والغائط ونحوه" (١).

وأما في الاصطلاح: هو متصل بالمعنى اللغوي، فالكناية ما دل على شيء دون أن يذكر صريحاً، وقد جاء في البيان والتبيين عن الكناية: "رب كناية تربي على إفصاح" (٢).

فهو يرى أن الكناية تزيد في جمال النص وتعمل العقل مما لا يقوم به الإفصاح .

وقسم المبرد الكناية إلى ثلاثة أقسام: الأول: للتعمية والتغطية، والثاني: الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، والثالث: التفضيم والتعظيم (٣).

وقد مثل لكل نوع منها، ولعل الملاحظ على تقسيم المبرد أنه قسم الكناية بناءً على غرضها البلاغي، وقد استحسّن النوع الثاني .

وقد عرف الجرجاني الكناية بقوله: "المراد بالكناية ههنا أن يُريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: "هو طویل النّجاد"، يريدون طویل القامة" (٤).

والتعريف الشامل للكناية هو ما عرفه الخطيب القزويني بقوله: " لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ" (٥) .

ويقصد بقوله (لازم معناه) المعنى المجازي، وقوله (معناه) أي المعنى الأصلي، أي أن الكناية تحمل معنى مجازياً وفي ذات الوقت يحتمل النص المعنى الحقيقي للفظ، وفي ذلك تختلف الكناية عن المجاز الذي لا يحمل إلا معنى مجازياً واحداً، ولا إمكانية لاحتمال المعنى الحقيقي لوجود قرينة مانعة .

ولقد عد السمعي الكناية نوعاً من التمثيل والتشبيه ويستدل على ذلك من خلال:

(١) لسان العرب، (كني).

(٢) البيان والتبيين، (ج ٧/٢).

(٣) انظر: الكامل للمبرد، (ج ٢/٢١٦).

(٤) دلائل الإعجاز، (٦٦).

(٥) الإفصاح، (٤٥٦).

– قوله في تفسير قول الله ﷻ: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ﴾ (١) .

"وَعَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّ ذِكْرَ الذَّرَّةِ عَلَى طَرِيقِ التَّمَثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَلْقَى عَمَلَهُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، فَمَا أَحَبَّ اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ غَفْرًا، وَمَا أَحَبَّ اللَّهُ أَنْ يُؤَاخِذَ بِهِ أَخْذًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ" (٢) .
حيث كنى الله ﷻ بمِثْقَالِ ذَرَّةٍ عن أنه لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ويلقاه الإنسان ويحاسب عليه، واعتبر ذلك من باب التمثيل والتشبيه .

كما بين أن الكناية تحمل معنى مباشر من خلال الألفاظ، ومعنى يفهم من سياق الكلام بدون أن يذكر صريحاً .

– ويستدل على ذلك من قوله في تفسير قول الله ﷻ: ﴿ لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٣) .

"وَقَوْلُهُ {وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ} وَمَعْنَاهُ: صَرَفُوا لَكَ الْأُمُورَ وَأَدَارَوْهَا ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَبَطْنًا لظَهْرٍ، وَحَقِيقَةُ الْمَعْنَى: أَنَّهُمْ طَلَبُوا بِكُلِّ حِيلَةٍ إِفْسَادَ أَمْرِكَ" (٤) .

فقوله (حقيقة المعنى) يقصد به المعنى المقصود من الكناية في قوله تعالى: (وقلَّبوا لك الأمور) .

أقسام الكناية:

تنقسم الكناية إلى ثلاثة أقسام هي :

١- الكناية عن صفة:

"وهي التي يطلب بها نفس الصفة، والمراد بالصفة: الصفة المعنوية" (٥)، ومن أمثلتها:

– قول الله ﷻ: ﴿ وَأَتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينِ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ

(١) الزلزلة / ٧، ٨ .

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٤ / ٥٦٣) .

(٣) التوبة / ٤٨ .

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٢ / ١٤١) .

(٥) من بلاغة القرآن، (٢٣٣) .

هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

{وما كفر سُلَيْمَانُ} "أي: وما سحر سُلَيْمَانُ. وقيل: أَرَادَ بِهِ الْكُفْرَ الْمَعْهُودَ" (٢).

فكنى بالكفر عن السحر، مع جواز إرادة المعنى الأصلي لأن من يمارس السحر يكفر بالله ﷻ.

— ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُنَّ وَأَتَّبِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْآيِلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٣﴾.

"قوله تعالى: {أحل لكم} أي: أبيح لكم (ليلة الصيام الرفث إلى نساءكم)، قيل: والرفث: كل ما يُريده الرجل من امرأته، وهو بمعنى الوطء هاهنا، قال ابن عباس: إن الله حيي كريم، يكنى بالحسن عن القبيح" (٤).

وهذه كناية عن اللفظ المفحش والذي استحسنته المبرد كما ذكرت سابقاً .

— ومثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٥﴾.

(١) البقرة / ٩٠.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٧٩).

(٣) البقرة / ١٨٧.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/ ١٣٤).

(٥) النساء / ٤٣.

{أو لامستم النساء} " قَالَ عَلِيٌّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ: أَرَادَ بِهِ الْجَمَاعَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ اللَّهَ حَبِي كَرِيمٌ، يَكْنَى بِالْحَسَنِ عَنِ الْقَبِيحِ؛ فَكُنِيَ بِاللَّمْسِ عَنِ الْجَمَاعِ" (١).

– ومن الكناية أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٢).

{إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم} "أي: حسدا بينهم" (٣).

قد يكون في لفظ " بغياً " كناية كنى بها عن الحسد تشنيعاً لهم . جاء في تفسير أبي السعود: " {بَغْيًا بَيْنَهُمْ} أي حسداً كائناً بينهم وطلباً للرياسة لا لشبهة وخفاء في الأمر تشنيعاً" (٤).

– ومن أمثلة الكناية عن صفة أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٥).

"قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الدِّينُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ النَّبُوءَةُ، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: هُوَ الْقُرْآنُ وَالْإِسْلَامُ" (٦) .
فكنى عن الدين أو عن النبوة أو عن الإسلام والقرآن بلفظ الرحمة .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الدِّينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧).

{ولا يكلمهم الله} "أي: ولا يكلمهم كما يكلم المؤمنين؛ وقد صحَّ أنه جلَّ جلاله - يكلم المؤمنين يوم القيامة من غير ترجمان، وقيل: هُوَ بِمَعْنَى: الْعُضْبِ، كَمَا يُقَالُ: أَنَا لَا أَكَلِمُ فُلَانًا، إِذَا كَانَ غَضَبَانَا عَلَيْهِ" (٨) .

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٣٥).

(٢) آل عمران / ١٩ .

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٢٤).

(٤) تفسير أبي السعود، (ج ٢/١٨).

(٥) آل عمران / ٧٤ .

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٤٨).

(٧) آل عمران / ٧٧ .

(٨) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٥٠).

فعدم الكلام كناية عن غضب الله ﷻ عليهم .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ هَاتِنْتُمْ أَوْلَاءِ مُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١).

{وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم} "وهو عبارة عن شدة الغيظ" (٢).
فعض الأنامل كناية عن صفة وهي شدة الغيظ والقهر الذي في قلوب المنافقين حسداً وحقداً على المؤمنين، لكن الله - سبحانه وتعالى - يرد كيدهم وغيظهم إلى نحورهم .

– ومنه أيضاً قول الله عزو جل: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ (٣).

"قوله: {أو يكبتهم} قال أبو عبيدة: أي: يهلكهم، وقيل معناه: يخزيهم، وهو أصح، وقيل معناه: أو يصرعهم، والكب والكبت: الصرع على الوجه، وفيه قول رابع: يكبتهم بمعنى: يكبدهم، وذلك أن يحزنهم حتى وصل الحزن إلى أكبادهم؛ والعرب تسمى الحزين: أسود الكبد من تأثير الحزن فيه ومنه قول الشاعر:

الأعداء والأكباد سود^(٤) ... " (٥)

فعلى المعنى الذي يبين أن الكبت هو الصرع على الوجه كناية عن صفة الخزي والمذلة، وهو المعنى الذي يستحسنه السمعاني، كما أن في التعبير (أسود الكبد) كناية عن شدة الحزن .
وفي قوله تعالى: {فينقلبوا خائبين} "أي: لا يدركون ما أملوا، يُقال: رجَعَ فلان من الغيبة بالخيبة، إذا لم يدرك أمله" (٦)، كناية عن خيبة الأمل والحسرة .

– ومنه قول الله ﷻ: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴾ (٧).

(١) آل عمران / ١١٩ .

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٦٥).

(٣) آل عمران / ١٢٧ .

(٤) البيت على البحر الوافر، وهو للأعشى وهذا العجز وصدوره:

فَمَا أَجْشِمَتْ مِنْ إِيْتِيَانِ قَوْمِ هُمُ الْأَعْدَاءُ وَالْأَكْبَادُ سَوْدُ

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٦٨).

(٦) المرجع السابق، (ج ١/ ٢٦٨).

(٧) النساء / ١٥٦ .

"أَرَادَ بِهِ: نسبتهم مَرِيْمَ إِلَى الزَّنَا" (١)، فالبهتان هو ذكرك أخاك بالغيب بما ليس فيه، وقد كنى الله -ﷻ- عن اتهامهم لمريم بالزنا بلفظ البهتان، فقد تكون كناية عن صفة . والله أعلم .

- ومن الكناية عن صفة أيضاً قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٢) .

"قَالَتِ الْيَهُودُ: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ: أي ممسكة لا ينفق، كَأَنَّهُمْ نسبوه إِلَى الْبُخْلِ وَقَالَ الْحَسَنُ: أَرَادُوا بِهِ: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ لَا يَعْذِبُنَا بِهَا، {غلت أيديهم} يُجِيبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى؛ فَيَقُولُ: أَنَا الْجَوَادُ، وَهُمْ الْبَخْلَاءُ، وَأَيْدِيهِمْ هِيَ الْمَغْلُولَةُ الْمَمْسُوكَةُ، قَالَه الزَّجَاجُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ يُعْذِبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٣). فإمسك اليد كناية عن البخل، وبسط اليد كناية عن الجود والكرم، والله -جل وعلا- هو الجواد الكريم .

- ومن الكناية عن صفة أيضاً قول الله عزو جل: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٤) .

{كانا يأكلان الطعام} "أي: يتغذيان بالطعام، وَمَعْنَاهُ: أَنْ مَنْ يَتَغَذَى بِالطَّعَامِ لَا يَكُونُ إِلَهًا يُعْبَدُ، وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْحَدِيثِ، يَعْنِي: أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، وَبِشْرِيَانِ، وَبِيبُولَانِ، وَبِتَغْوِطَانِ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَكُونُ إِلَهًا يُعْبَدُ" (٥) .

- ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٦) .

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٩٥) .

(٢) المائدة / ٦٤ .

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/٤٤٧) .

(٤) المائدة / ٧٥ .

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/٤٥٢) .

(٦) التوبة / ٢٩ .

قوله تعالى: (حَتَّىٰ يَعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) { قَالَ قَتَادَةُ: " عَن يَدٍ " : عَن قَهْرٍ وَذَلِّ . وَقَالَ غَيْرُهُ: " عَن يَدٍ " أَي يُعْطِي بِيَدِهِ، وَفِيهِ قَوْلُ ثَالِثٍ: " عَن يَدٍ " أَي: عَن إِفْرَارٍ بِإِنْعَامِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ " (١).

فقوله (عَن يَدٍ) كناية عن القهر والذل حسب رأي قتادة، أو أنه كناية عن الإقرار بفضل أهل الإسلام على أهل الكتاب .

— وقد جاء لفظ اليد كناية عن الرفعة والعلو في قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢).

وقوله: {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} "أي: يَدُ اللَّهِ فِي النُّصْرَةِ وَالْمَنَّةِ عَلَيْهِمْ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ بِالطَّاعَةِ لَكَ، وَيُقَالُ مَعْنَاهُ: يَدُ اللَّهِ فِي الْوَفَاءِ بِقَوْلِهِ {فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} فِي الْوَفَاءِ بَعْدَهُمْ، وَيُقَالُ: إِحْسَانُ اللَّهِ تَعَالَىٰ إِلَيْهِمْ فَوْقَ إِحْسَانِهِمْ إِلَيْكَ بِالنُّصْرَةِ، وَمَنَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَوْقَ مَنَّتِهِمْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ مَا جِئْتَ بِهِ" (٣).
فكنى الله سبحانه وتعالى باليد عن العلو والنصرة .

— ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤).

{إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ} فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: حَتَّى يَمُوتُوا، وَالْقَوْلُ الثَّانِي: حَتَّى يَتُوبُوا، فَجَعَلَ النَّدَامَةَ فِي الْقَلْبِ بِمَنْزِلَةِ تَقَطُّعِ فِي الْقَلْبِ (٥).
فتقطع القلوب كناية عن الموت، أو أنه كناية عن الندم والتوبة .

— ومن الكناية عن صفة أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (٦).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٢/١٢٩).

(٢) الفتح / ١٠ .

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٤/٩١).

(٤) التوبة / ١١٠ .

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٢/١٧٣).

(٦) الحج / ٢ .

وَقَوْلُهُ: {وتضع كل ذات حمل حملها} " فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ تَضَعُ الْمَرْأَةُ حَمْلَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ الْجَوَابُ: قُلْنَا: أَمَا عَلَى قَوْلِنَا إِنْ الزَّلْزَلَةُ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَمَعْنَى وَضَعِ الْحَمْلَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَإِنْ قُلْنَا إِنْ الزَّلْزَلَةُ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْآيَةِ النَّسَاءِ اللَّوَاتِي مَتْنٌ وَهُنَّ حِبَالِي، وَالْوَجْهُ الثَّانِي، وَهُوَ الْأَصْحَحُ: أَنَّ هَذَا عَلَى وَجْهِ تَعْظِيمِ الْأَمْرِ وَذِكْرِ شِدَّةِ الْهَوْلِ، لَا عَلَى حَقِيقَةِ وَضَعِ الْحَمْلِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَصَابْنَا أَمْرًا يَشِيبُ فِيهِ الْوَلِيدُ، وَهَذَا عَلَى طَرِيقِ عَظْمِ الْأَمْرِ وَشِدَّتِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَوْمًا يَجْعَلُ الْوَالِدَانَ سُيْبًا} ^(١) وَالْمُرَادُ مَا بَيْنَنَا ^(٢).

فالآية كناية عن شدة الهول، وهو الرأي الذي يقدمه السمعاني على غيره، ومثله أيضاً شيب الولدان هو كناية عن عظم الأمر وشدته .

— ومن الكناية عن صفة أيضاً قوله ﷺ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴾ ^(٣).

{وينزل من السماء من جبال} "أي: مقدار الجبال في الكثرة، ويقال: فلان له جبال مال، شبه بالجبال للكثرة" ^(٤).

لفظ الجبال كناية عن الكثرة .

— ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴾ ^(٥).

وَقَوْلُهُ: {وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ} أي: شخصت الأبصار، وفي العربية معنى زاغت: مالت، فكأنها مالت شاخصة، فهذا من الرعب والخوف.

وَقَوْلُهُ: {وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ} أي: بنت عن أماكنها وارتفعت، قَالَ قَتَادَةَ: لَوْ وَجَدْتَ مَسْلَكَهَا لَخَرَجْتَ مِنَ الْحَنَاجِرِ، وَلَكِنَّا ضَاقَتْ عَلَيْهَا. وَالْأَصْحَحُ مِنَ الْمَعْنَى أَنَّ هَذَا عَلَى طَرِيقِ التَّمَثِيلِ،

(١) المزمّل / ١٧.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٤/٣).

(٣) النور / ٤٣.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١٠١/٣).

(٥) الأحزاب / ١٠.

وَالْعَرَبُ تَقُولُ: بَلَغَ قَلْبُ فُلَانٍ حَنْجَرَتَهُ، أَي: مِنَ الرَّعْبِ وَالْخَوْفِ وَالْحَنْجَرَةُ حَرْفُ الْحُقُومِ وَهُوَ كَلِمَةٌ عِبَارَةٌ عَنِ شِدَّةِ الْفَرْعِ.

ففي التعبير (زاغت الأبصار) وكذلك (بلغت القلوب الحناجر) كناية عن شدة الخوف والفرع الذي أصاب المؤمنين في غزوة الأحزاب .

٢- كناية عن موصوف:

"وهي أن نذكر في الكلام صفة أو عدة صفات، ونريد بها موصوفاً معيناً، والكناية هنا تختص بالمكنى به" (١).

ومن أمثله قول الله ﷻ: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢).

{والأميين} "يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ" (٣)، فكنى عن المشركين بصفة الأمية .

— ومنه قوله ﷻ: ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (٤).

{واضربوا منهم كل بنان} قيل: البنان: مفاصل الأطراف، وقيل: الأصابع، كأنه عبر به عن الأيدي والأرجل" (٥).

فكنى عن الأطراف (الأيدي والأرجل) بلفظ البنان، ويجوز أن يكون البنان بمعناه الأصلي ولذلك هي خرجت عن المجاز . والله أعلم .

— ومن الكناية عن موصوف أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعْدَدْنَاكَ أُولَ الْأَطْوَالِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (٦).

(١) من بلاغة القرآن، (٢٣٦).

(٢) آل عمران / ٢٠.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٢٢٤).

(٤) الأنفال / ١٢.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ٨٣).

(٦) التوبة / ٨٦.

وقوله: {استأذنك أولو الطول منهم} "الطول: هو السعة والغنا بإجماع المُفسرين، وقيل: إنه إنمّا سميت السعة طولاً؛ لأن الإنسان يتطاول بها الناس"^(١).

فكنى عن الأغنياء بقوله: (أولو الطول)، وهي دلالة على سعة الرزق والقدرة .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾^(٢).

وقوله: {إلا كباسط كفيه إلى الماء} "فيه قولان: أحدهما: أنه كالقابض على الماء، ومن قبض على الماء لم يبق في يده شيء، قال الشاعر:

فَأَصْبَحْتَ فِيمَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا من الود مثل القابض الماء باليد^(٣)

والقول الثاني - وهو المعروف - أن قوله: {كباسط كفيه إلى الماء} يعني: كالعطشان المشير بكفه إلى الماء، وبينه وبين الماء مسافة لا يصل إليه؛ فهو يُشير بكفه ويدعو بلسانه، ولا يصل إليه؛ فكذلك من يدع الأصنام بدفع أو نفع لا يصل إلى شيء بدعائه"^(٤).

ففي هذا التعبير كناية عن المفلس الذي يخيب أمله ولا يدرك شيئاً مما تمناه، وهو يقصد بذلك من يعبد الأصنام ويدعوها وهي لا تنفع ولا تضر بشيء .

– ومن الكناية عن موصوف أيضاً قول السمعاني عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أثناء تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾^(٥).

(١) تفسير السمعاني، (ج ٢/١٦٠).

(٢) الرعد / ١٤.

(٣) البيت على البحر الطويل وهو للأحوص الأنصاري (ت ١٠٥هـ).

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٢/٣٥٢).

(٥) الأحزاب / ٣٧.

فقال: "وَمِنْ فَضَائِلِ زَيْنَبٍ " أَنْ النَّبِيَّ قَالَ لِنِسَائِهِ عِنْدَ الْوَفَاةِ: " أَسْرَعُكُنَّ بِي لِحُوقًا أَطُولُكُنَّ يَدَا " (١) فَكَانَتْ زَيْنَبٌ أُولَى مَنْ تُوْفِيَتْ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ بَعْدَهُ، وَكَانَتْ امْرَأَةً صِنَاعًا، تَكْتَثِرُ الصَّدَقَةَ بِكَسْبِ يَدَيْهَا، فَعَرَفُوا أَنَّ مَعْنَى طُولِ الْيَدِ هُوَ كَثْرَةُ الصَّدَقَةِ " (٢).

فكفى عن أم المؤمنين - زينب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بصفة كثرة الصدقات بقوله: أطولكن يداً .

٣- كناية عن نسبة:

"ويراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، وفيه يصرح بالصفة والموصوف، ولا يصرح بالنسبة الموجودة مع أنها هي المرادة" (٣).

- ومن أمثله قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٤).

{قد بدت البغضاء من أفواههم} "يعني: الوقعة باللسان" (٥).

فأراد أن ينسب لهم الحقد والكره الذي في قلوبهم، فذكر البغضاء وهي الصفة وذكر الموصوف وهو الضمير في كلمة (أفواههم) وأراد إثبات الصفة فيهم . والله أعلم .

- ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٦).

{لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم} "قيل: من فوقهم من مطر السماء، ومن تحت أرجلهم من نبات الأرض، وقيل: من فوقهم ومن تحت أرجلهم معناه: أنه يوسع عليهم الرزق، قال الزجاج، وهو نظير قول القائل: فلان في الخير من الفرق إلى القدم، أي: وسع عليه الخير، وقيل: يحتمل أن يكون المراد بقوله {من فوقهم} من الأشجار {ومن تحت أرجلهم} من النباتات، ويحتمل أن يكون المراد به {من فوقهم} من كسب آبائهم {ومن تحت أرجلهم} من كسب

(١) صحيح مسلم ، (كتاب من فضائل الصحابة ، باب من فضائل زينب رضي الله عنها ، ج ٧ ، ١٤٤) .

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٣/٣٤٨) .

(٣) من بلاغة القرآن، (٢٣٨) .

(٤) آل عمران / ١١٨ .

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٦٥) .

(٦) المائدة / ٦٦ .

أبنائهم، وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} وَنَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا} (١).
ففيه كناية عن نسبة الرزق والسعة لهم، إن أقاموا شرع الله فيهم وحكموا التوراة والإنجيل .

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٤٤٨).

خامساً: التعريض

التعريض لغةً: "والتعريضُ: خلاف التصريح، يقال: عَرَّضْتُ لفلان وبقلان إذا قلت قولاً وأنت تعنيه"^(١).

التعريض اصطلاحاً: "هو المعنى الحاصل عند اللفظ لا به"^(٢).

وقد فرق العلماء بين الكناية والتعريض في كون الكناية ذكر الشيء بغير لفظه، أما التعريض فهو أن تذكر شيئاً يدل على الأمر المقصود^(٣).

– ومن أمثلة التعريض قول الله ﷻ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾^(٤).

{ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا} "نزلت الآية في الأحنس بن شريق حليف بني زهرة فإنه أتى النبي عليه السلام وقال: "إني أحبك، وأريد أن أؤمن بك، والله يعلم ما في قلبي، وكان يبطن بغضه، وكان عليه السلام يُعجبه قوله (ويسر به) فنزلت الآية"^(٥).

ففيه تعريض حيث ذكر الآية بلفظ الناس وأراد به الأحنس بن شريق .

– ومن أمثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾^(٦).

قوله تعالى: { لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } "هدأ في قوم مخصوصين، أسلموا على موالاة اليهود والمشركين، فنهاهم الله عن ذلك"^(٧).

فهو تعريض بالمؤمنين من أن يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين .

(١) الصحاح، (عرض).

(٢) الطراز، (ج ١/١٩٤) .

(٣) انظر السابق، (١٥٦).

(٤) البقرة/٢٠٤.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/١٥٠).

(٦) آل عمران /٢٨.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٢٨).

- ومن أمثلة التعريض أيضاً قول الله ﷻ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (١).

{ومن تولى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} "أي: كل أمره إلى" (٢).

فالمقصود من قوله: (ما أرسلناك عليهم حفيظاً) أن الله هو الحفيظ عليهم، وأمرهم إلى الله - عز و جل - وقد دل الكلام على هذا المعنى .

- ومن أمثلته أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٣).

"عرض التوبة على طعمة وقومه" (٤) في هذه الآية، وأمرهم بالاستغفار" (٥).

- ومن أمثلته كذلك قول الله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٦).

"أراد به: الكفار؛ فَإِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ ابْتِغَاءَ ثَوَابِ الدُّنْيَا، وطلباً لنعيمها، وَلَا يَطْلُبُونَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِهَا؛ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}" (٧).

فالآية تعريض بالكفار الذين يلهثون وراء الدنيا الفانية، ثم لا يحصلون على ثواب الدنيا ولا الآخرة .

- ومن أمثلة التعريض أيضاً قول الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب حين استأذنه في غزوة تبوك، وقد أورد السمعاني الحديث في معرض تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ

(١) النساء / ٨٠.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٣٥٣).

(٣) النساء / ١١٠.

(٤) يقصد به طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحارث، والذي سرق درعاً واتهم اليهودي بسرقتها، وجاء قومه ليدافعوا عنه، وقد كان هذا سبب نزول الآيات. للاستزادة راجع تفسير السمعاني، (ج ١/ ٣٧٤).

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٣٧٦).

(٦) النساء / ١٣٤.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٣٨٦).

يَسْتَعِذُّونَكَ أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَاذَا أَسْتَعِذُّوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِّنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ .

فيقول السمعاني: " رُوِيَ أَنَّ عَمْرَ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ: "ارْجِعْ فَلَسْتَ بِمُنَافِقٍ وَلَا مَرْتَابٍ" يعرضه بالمنافقين "(٢).

فالرسول ﷺ يخاطب عمر بن الخطاب ؓ وينفي عنه صفة النفاق والريبة والمقصود من الكلام هم المنافقون .

– ومن أمثلة التعريض أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٣) .

وقوله: {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} "أي: يتعظ أولو الألباب، ومعنى الآية: أن من يبصر الحق ويتبعه، ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه لا يستويان أبداً" (٤) .

(١) النور / ٦٢ .

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٣/ ١١٣) .

(٣) الرعد / ١٩ .

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ٣٥٦) .

الفصل الثالث البديع

ويشتمل على:

◀ المحسنات المعنوية.

◀ المحسنات اللفظية.

الفصل الثالث

البديع

البديع لغةً: "البَدِيعُ والبِدْعُ: الشيء الذي يكون أولاً"^(١).

البديع اصطلاحاً: "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ورعاية وضوح الدلالة"^(٢).

وذكر العلماء المتقدمون البديع منذ القدم، وإن اختلف مفهوم البديع عندهم، فمنهم ابن المعتز^(٣) الذي وضع كتاباً سماه البديع وجمع فيه فنون الكلام، وقد تضمن كتابه العديد من الألوان البلاغية .

إلى أنها بعد استقرار علوم البلاغة صُنفت على أنها أحد أقسام البلاغة الثلاثة وقُسم البديع إلى قسمين :

أولاً: المحسنات المعنوية ومنها :

١- الطباق:

لغةً: "الموافقة"^(٤).

اصطلاحاً: "الجمع بين الأضداد أو ما في حكمها مثل: الليل والنهار. والصدق والكذب"^(٥).

– ومن أمثلته قول الله ﷻ: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٦).

(١) اللسان، (بدع) .

(٢) من بلاغة القرآن، (٢٤٥) .

(٣) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس (ت ٢٩٦هـ): الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة، ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم. الأعلام للزركلي، (ج ١١٨/٤) .

(٤) اللسان، (طبق) .

(٥) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت: ١٤٢٩هـ)، ط ١ (د.ق، مكتبة وهبة، ١٩٩٢م) (ج ٤٠٩/٢) .

(٦) البقرة / ١٠٦.

{مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ} "أي: نرفع من آية، فأما قوله: {أَوْ نَنْسَاهَا} اختلفوا في معناه، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ: أَوْ نَتْرَكُهَا فَلَا نَنْسَخُ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ} (١) أَي تَرَكُوا اللَّهَ فَتَرَكَهُمْ" (٢).

فبين لفظي نسخ ونسي طباق .

– ومن أمثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣).

وقوله: {ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} "أي: عالم بما ظهر وخفي" (٤).

فبين الاسمين: الغيب والشهادة طباق .

– ومن أمثلة الطباق أيضاً قول الله ﷻ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥).

"الأعز هو الأقدَر على منع الغير، والأذل هو الأعجز عن نفع الغير" (٦)، وبين اللفظين طباق.

– ومن أمثلة الطباق كذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٧).

"معناه: إِمَّا كَانَ شَاكِرًا وَإِمَّا كَانَ كَفُورًا، وَقِيلَ: إِمَّا شَقِيًّا، وَإِمَّا سَعِيدًا" (٨).

فبين الاسمين شاكر وكفور طباق .

– ومن أمثله كذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٩).

(١) التوبة / ٦٧.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/ ٨٤).

(٣) الجمعة / ٨ .

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٢٩٦).

(٥) المنافقون / ٨ .

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٣٠٦).

(٧) الإنسان / ٣ .

(٨) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٤٢٦).

(٩) الفتح / ٨ .

قوله: {وَمُبَشِّرًا} أي: مبشرا للمطيعين، وقوله: {وَنَذِيرًا} أي: مخوفا للعاصين^(١).

فبين اللفظين: مبشر ونذير طباق .

– ومن أمثلة الطباق بين الفعلين قول الله ﷻ: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيكُم فَاَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢) .

قوله: {والله يقبض ويبسط} فيه أربعة أقوال:

أحدهما: قال الحسن: يقبض بالتقتير، ويبسط بالتوسيع، وقال الزجاج: يقبض بقبول الصدقة، ويبسط بإعطاء الثواب عليه، والقول الثالث: يقبض بتقليل الأعمار، ويبسط بتكثير الأعمار، والقول الرابع: يقبض بالتحريم، ويبسط بالإباحة^(٣).

فبين الفعلين يقبض ويبسط طباق في كافة المعاني المحتملة للآية الكريمة .

– ومن أمثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٤) .

قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا} أي: آمنوا بالسننهم، وكفروا بقلوبهم^(٥).

فبين الفعلين آمنوا وكفروا طباق .

– ومن أمثلة الطباق المجازي -وهو الطباق الذي يكون بين ألفاظ المجاز- قول الله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٦) .

(١) تفسير السمعاني، (ج ٩٠/٤) .

(٢) البقرة / ٢٤٥ .

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١٨٢/١) .

(٤) المنافقون / ٣ .

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٣٠٢/٤) .

(٦) البقرة / ٢٥٧ .

"قوله: {يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} يَعْنِي: مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْكُفْرَ ظُلُمَاتٍ؛ لِأَنَّ طَرِيقَ الْكُفْرِ مُشْتَبِهٌ مُلْتَبِسٌ. وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْإِسْلَامَ نُورًا لِأَنَّ طَرِيقَهُ بَيِّنٌ وَاضِحٌ"^(١). فالظلمات والنور لفظان مجازيان وبينهما تضاد .

- ومثله قول الله ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالظَّلْغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

"قوله: {قد تبين الرشد من الغي} أي: الحق من الباطل، والإيمان من الكفر"^(٣).

- ومن أمثلة الطباق المجازي كذلك قول الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَأَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٤).

قوله: {هل يستوي الأعمى والبصير} "أي: كما لا يستوي الأعمى والبصير والظلمات والنور؛ فكذلك لا يستوي المؤمن والكافر والإيمان والكفر"^(٥).

٢- المقابلة:

"وهي أن يوتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلها على الترتيب"^(٦).

- ومن أمثلته قول الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٧).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/١٩١) .

(٢) البقرة/ ٢٥٦ .

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/١٩٠) .

(٤) الرعد/ ١٦ .

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٢/٣٥٣) .

(٦) من بلاغة القرآن، (٢٥٢) .

(٧) البقرة/ ٢٨٦ .

{لَهَا مَا كَسَبَتْ} "أَي: مِنَ الْخَيْرِ {وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} أَي: مِنَ الشَّرِّ" (١).

فبين الجملتين مقابلة، حيث جاءت لها مقابل عليها، وماكسبت من الخير مقابل ما اكتسبت من الشر .

٣- المشاكلة:

"وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً" (٢) .

- وقد ذكرها السمعاني وبين مفهومها بمصطلحها المتفق عليه و يدل على ذلك قوله في تفسير قوله ﷺ: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٣).

فيقول السمعاني: "فَأَمَّا قَوْلُهُ: {وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ} يَقْرَأُ بِقَرَاءَتَيْنِ: " يُخَادِعُونَ، وَيُخَدِّعُونَ ". فَمَنْ قَرَأَ: " يُخَادِعُونَ " فَهُوَ عَلَى الْمَشَاكَلَةِ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْأَوَّلَ بِلَفْظِ الْمَخَادَعَةِ، وَهَذَا شَكْلُهُ فَذَكَرَهُ بِلَفْظِهِ" (٤).

فيدل كلامه على أن المشاكلة هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته وهو يشير في هذه الآية إلى المشاكلة الحقيقية .

- ومن أمثلة المشاكلة الحقيقية قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٥).

"فإن قال قائل: ما معنى الاستهزاء من الله تعالى؟ قلنا فيه أقوال: قال بعضهم: معناه يجازيهم على صنيعهم، إلا أنه سماه الله استهزاء؛ لأنه جزاء الاستهزاء؛ كما قال: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} وإن لم يكن الجزاء سيئة حقيقة" (٦).

فذكر جزاء استهزائهم على صنيعهم ونفاقهم بلفظ الاستهزاء، فالجزء من جنس العمل وهو على سبيل المشاكلة الحقيقية .

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/٢١١) .

(٢) من بلاغة القرآن، (٢٥٥) .

(٣) البقرة / ٩ .

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٩) .

(٥) البقرة / ١٥، ١٤ .

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/٣١) .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ (١).

"ويقال: إن قوما من المشركين قتلوا قوما من المسلمين، فظفر بهم النبي وقتلهم، فأُنزل الله تعالى هذه الآية، وإنما سمي الفعل الأول عُوقِبَ، وإن كان في الحقيقة اسم العُقوبة يقع على ما يكون جزاء للجنابة على ازدواج الكلام؛ لأنه ذكره في مقابلة العُقوبة، وهذا كقولهِ تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (٢) " (٣).

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤).

"معناه: يخادعون رسول الله، وهو خادعهم، أي: يجازيهم على مخادعتهم الرسول، وسمى الثاني خداعاً على الازدواج، كما قال: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾" (٥).

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون﴾ (٦).

(فاذكروني أذكركم) قيل: ذكر الله هاهنا بمعنى المدح والثناء عليه... وقيل: الذكر من العبد الطاعة، ومن الله المغفرة والرحمة. ومعناه: فاذكروني بالطاعة أذكركم بالمغفرة والرحمة" (٧).

– ومن أمثلة المشاكلة التحقيقية كذلك قول الله ﷻ: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَلِلُّوا اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٨).

والاعتداء: الظلم، وإنما سمي الجزاء على الظلم: اعتداء، على ازدواج الكلام، ومثله قوله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾، وتقول العرب: ظلّمني فلان فظلمته، أي: جازيته على الظلم، ويقال: جهل فلان على فجهلت عليه، قال الشاعر:

(١) الحج / ٦٠.

(٢) الشورى / ٤٠.

(٣) تفسير السمعاني، (ج ٣٢/٣).

(٤) النساء / ١٤٢.

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٣٩١/١).

(٦) البقرة / ١٥٢.

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١١٢/١).

(٨) البقرة / ١٩٤.

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

وَقَالَ آخِرُ:

وَلِي فَرَسٌ لِلْحِلْمِ بِالْحِلْمِ مُلْجَمٌ وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجٌ^(١).

- ومن أمثله كذلك قول الله ﷻ: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾^(٢).

"قوله تعالى: {ومكروا ومكر الله} المكر من العبد: الخبث والخداع، ومن الله تعالى: أن يأخذ العبد بغتة من حيث لا يعلم، وإنما سمأه مكرًا - على المقابلة - لأنه جزاء مكرهم: كما قال: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا}"^(٣).

- ومثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾^(٤).

{ويمكرون ويمكر الله} "والمكر من الله: التدبير بالحق، وقيل: هو الأخذ بغتة. قال الزجاج معناه: يجازيهم جزاء المكر، {والله خير الماكرين} أي: خير المدبرين"^(٥).

- ومنه أيضاً قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾^(٦).

{قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ} "سموهم سفهاء فأجابهم الله تعالى بقوله: {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ} والسفيه خفيف العقل رقيق اللحم؛ من قولهم: ثوب سفيه، أي: رقيق بال، يقول: هم الذين خفت عقولهم، ورقت أحلامهم " ^(٧).

فذكر لفظ السفهاء الثاني مشاكلة لفظ الأول، وجاء في فتح القدير: " فَتَسْبُوا إِلَى الْمُؤْمِنِينَ السُّفَهَاءَ اسْتِهْزَاءً وَاسْتِخْفَافًا، فَتَسْبُوا بِذَلِكَ إِلَى تَسْجِيلِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِالسُّفَهَاءِ بِأَبْلِغِ عِبَارَةً وَأَكْدِ قَوْلٍ"^(٨).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/١٤٠) .

(٢) آل عمران / ٥٤ .

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/٢٤١) .

(٤) الأنفال / ٣٠ .

(٥) تفسير السمعاني، (ج ٢/٩٠) .

(٦) البقرة/ ١٣ .

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٠) .

(٨) فتح القدير، (ج ١/٥١) .

وتأمل قولهم عن المؤمنين ووصفهم لهم بالسفهاء، فقولهم جملة فعلية خالية من المؤكدات، كما أن لفظ السفهاء متأخر في قولهم: أنؤمن كما آمن السفهاء، أما رد الله ﷻ فجاء قوياً ثابتاً وعبر التركيب القرآني عن قوة هذا التعبير فجاء الرد بجملة اسمية تحتوي على أكثر من مؤكد بقوله: إنهم هم السفهاء . فجل الله في عظمته وجمال كلامه .

– ومن أمثلة المشاكل الحقيقية قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (١).

{ثم انصرفوا} فيه معنيان: أحدهما: انصرفوا عن مواضعهم، والآخر: انصرفوا عن الإيمان، أي: لم يؤمنوا ولم يقبلوا، وقوله: {صرف الله قلوبهم} قال أبو إسحاق الزجاج: أضلهم الله مجازاة على كفرهم (٢) .

ففي قوله تعالى: صرف الله قلوبهم مشكلة لفظية، حيث ذكر هذا اللفظ لوقوع لفظ: انصرفوا، وأراد بالصرف مجازاتهم على انصرافهم عن آيات الله .

– ومثله أيضاً قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣).

{فيسخرون منهم} "يستهنئون منهم {سخر الله منهم} جازاهم جزاء السخرية " (٤).

فقوله تعالى: (سخر الله منهم) هو مشكلة حقيقية .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (٥).

قوله تعالى: {هل جزاء الإحسان إلا الإحسان} معناه: هل جزاء الطاعة إلا الثواب " (٦).

فلفظ الإحسان الثاني بمعنى جزاء الإحسان وهو الثواب، وقد ذكر اللفظ الثاني لوقوعه في صفة اللفظ الأول، وهذا على سبيل المشكلة الحقيقية .

(١) التوبة / ١٢٧ .

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ١٨٤) .

(٣) التوبة / ٧٩ .

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٢/ ١٥٧) .

(٥) الرحمن / ٦٠ .

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٤/ ٢١١) .

- ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١).

قوله تعالى: {ليجزى الله الصادقين بصدقهم} أي: جزاء صدقهم، وصدقهم هو وفاؤهم بالعهد (٢).

فاللفظ الصدق الأول هو وفاؤهم بالعهد، والصدق الثاني هو جزاء صدقهم، وقد ذكره بهذا اللفظ لوقوعه في صحبة اللفظ الأول، وهو على سبيل المشاكلة الحقيقية .

وأما من أمثلة المشاكلة التقديرية

- قول الله ﷻ: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (٣).

قوله تعالى: {صبغة الله} قال ابن عباس في رواية الكلبي وقناة، والحسن، وعكرمة، والسدي: معناه: دين الله، وإنما سماه صبغة؛ لأنه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب، وقال مجاهد: معناه: فطرة الله. وهذا يقرب من الأول، وقيل: أراد به الختان.

وقوله (صبغة الله) أي: تطهير الله بالختان، وإنما سماه صبغة؛ لأنه أقامه مقام فعل النصارى، وذلك أنهم كانوا يصبغون الولد في ماء أصفر بدل الختان في زي اليهود، ويعدونه تطهيراً للولد فإله تعالى أقام التطهير بالختان في حق المسلمين مقام ما صبغوا (٤).

فذكر الله -ﷻ- لفظ الصبغة وقصد به التطهير، إلا أنه ذكره بغير لفظه مشاكلة لما يقوم به النصارى من صبغة للمولود عند ولادته، وقد وقع هذا اللفظ في صحبته تقديراً ولم يصرح به في الآية الكريمة .

- ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ (٥).

قوله تعالى: {إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً} الشكر المضاف إلى الرب تعالى هو بمعنى قبول الحسنات والعفو عن السيئات (٦).

(١) الأعراب / ٢٤ .

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٣/٣٣٥) .

(٣) البقرة / ١٣٨ .

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/١٠٤) .

(٥) الإنسان / ٢٢ .

(٦) تفسير السمعاني، (ج ٤/٤٣٢) .

فالشكر يكون من العبد لربه، فلا يكون الشكر في هذه الآية على حقيقته وإنما قصد به القبول والعمو، وكأنه جزاء شكر الإنسان، فبذلك يكون مشاكلة تقديرية. والله أعلم .

– ومن أمثلة المشاكلة التقديرية أيضاً قول الله ﷻ: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١).

قوله تعالى: {إن ترضوا الله قرضاً حسناً} قالَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هو الإنفاق في سبيل الله، ويقال: هو جميع حقوق المال، وسمي ذلك قرضاً؛ لأن الله تعالى يثيبهم عليه ويعطيهم عوضه، فهو بمنزلة القرض (٢).

ففي لفظ القرض مشاكلة تقديرية حيث جعل الإنفاق في سبيل الله بمثابة القرض مشاكلة بالقرض الذي يقرضه البشر لبعضهم على سبيل المشاكلة التقديرية .

– ومنه أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٣).

"إنما سمّاهُ أجراً مجازاً؛ لأنّه ذكره بإزاء العمل، لأن العمل يُوجبه، وهذا نحو قوله - تعالى - في قصة موسى: {إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا} سمّاهُ أجراً على مقابلة العمل؛ لأن موسى عمل؛ ليؤجر عليه" (٤).

فلفظ الأجر جاء مجازاً والمقصود به ثوابهم وجزاء عملهم الصالح، وهو على سبيل المشاكلة التقديرية .

٤-التورية:

"وهو أن يكون للكلمة معنيان: قريب وبعيد والمراد هو البعيد" (٥)، ومن أمثلته في تفسير السمعاني:

– قول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَأَسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦).

(١) التغابن / ١٧.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٣١٥/٤).

(٣) النساء / ١٥٢.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ٣٩٤/١).

(٥) من بلاغة القرآن، (٢٥٨).

(٦) البقرة / ١٠٤.

ففي لفظ (راعنا) يقول السمعاني في تفسير هذه الآية: " قَوْلُهُ تَعَالَى: لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا } . مَعْنَاهُ: أَرَعْنَا سَمْعَكَ وَاسْمَعْنَا مِنَّا وَحَقِيقَتُهُ فَرِغَ سَمْعَكَ لِكَلَامِنَا" (١)، وهذا هو المعنى القريب للكلمة، إلا أن اليهود -لعنهم الله- كانوا يعنون غير ذلك حيث يقول السمعاني: " الصَّحَابَةُ كَانُوا يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ: " رَاعِنَا " وَيُرِيدُونَ بِهِ مَا ذَكَرْنَا، فَسَمِعَهُ الْيَهُودُ. وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ سَبًّا وَهُوَ بِمَعْنَى يَا أَحْمَقُ، فَلَمَّا سَمِعَهُ الْيَهُودُ فَرَحُوا بِهِ؛ حَيْثُ رَأَوْهُمْ يَسْتَبُونَهُ وَلَا يَعْلَمُونَ، وَكَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ مُوَافَقَةً لِلْمُسْلِمِينَ فِي الظَّاهِرِ، وَيَضْحَكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، إِنَّمَا نَسَبَهُ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ؛ فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: { لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا }" (٢) .

- وهذا هو المعنى البعيد والمقصود من قول اليهود، ومثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظِرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٣).

{وراعنا} "كانوا يقولون ذلك، ويريدون به: النسبة إلى الرعونة، فذلك معنى قوله: {لينا بالسننتهم وطعنا في الدين} ؛ لأن قولهم: راعنا من المراعاة، فلما حرفوه إلى الرعونة، فذلك معنى قوله: {لينا بالسننتهم}" (٤).

٥- التجريد:

"وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه" (٥)، ومن أمثلته:

- قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٦).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٨٢) .

(٢) المرجع السابق، (ج ١ / ٨٢) .

(٣) النساء / ٤٦ .

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٣٣٧) .

(٥) من بلاغة القرآن، (٢٦٢) .

(٦) البقرة / ١٧٧ .

قوله تعالى: (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ) " فِي تَقْدِيرِهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ تَقْدِيرُهُ وَلَكِنَّ ذَا الْبِرِّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَالثَّانِي: أَنْ تَقْدِيرُهُ: وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ" (١).

فعلى القول الثاني انتزع ممن آمن بالله ﷻ صفة البر مبالغة في وصف كمال بر المؤمن، وهو تجريد على صورة (من) التجريدية الداخلة على المنتزع منه .

— ومثله قول الله ﷻ: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ أُتْبَعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَظُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢).

وقوله: {وتثبيئنا من أنفسهم} قَالَ قَتَادَةَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ مُحْتَسِبًا بِالْإِنْفَاقِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ أَنْ يَثْبِتَ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّىٰ إِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ أَنْ يَتَصَدَّقَ لِلَّهِ يَفْعَلُ، وَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ غَيْرَهُ يَمْسُكُ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ، وَالشَّعْبِيُّ (٣): هُوَ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَىٰ يَقِينٍ بِالنَّوَابِ، وَتَصَدِيقَ بُوْعْدِ اللَّهِ فِيهِ (٤).

ففيه انتزاع من النفس نفساً تثبتهم وهو على صورة دخول (من) التجريدية على المنتزع منه .

— وهناك صورة أخرى للتجريد أوردها السمعاني في تفسيره وهي مخاطبة الإنسان لنفسه مثل قول الله ﷻ: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥).

(قَالَ أَعْلَمُ) يَقْرَأُ بِقَرَاءَتَيْنِ: عَلَى الْخَبَرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ، أَمَا عَلَى الْخَبَرِ فَمَعْنَاهُ: عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَمَا عَلَى الْأَمْرِ قَالَ لِنَفْسِهِ: {أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٦).

(١) تفسير السمعاني، (ج ١/١٢٤) .

(٢) البقرة / ٢٦٥ .

(٣) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، ابو عمرو (ت ١٠٣هـ): راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه، ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. الأعلام للزركلي، (ج ٣/٢٥١) .

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/١٩٧) .

(٥) البقرة / ٢٥٩ .

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/١٩٤) .

فعلى قراءة الأمر هي تجريد، جاء في فتح القدير: " وَقَرَأَ حَمْزَةً وَالْكَسَائِيَّ: قَالَ أَعْلَمَ عَلَى لَفْظِ الْأَمْرِ خِطَابًا لِنَفْسِهِ عَلَى طَرِيقِ التَّجْرِيدِ " (١).

٦- اللف والنشر:

"هو أن تلف شيئين ثم تأتي بتفسيرهما جملة؛ ثقة بأن السامع يرد إلى كل واحد منهما ما له" (٢)، ولم يورد السمعاني -فيما نظرت- من أمثلة اللف والنشر سوى اللف والنشر المجمل حيث يكون اللف فيه مجملاً يشتمل على عدد، والنشر يأتي مفصلاً على حسب اللف" (٣)،

- ومثله قول الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤).

قوله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا} "تقديره: قَالَتْ الْيَهُودُ: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَهُودِيًّا. وَقَالَتْ النَّصَارَى: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا؛ فاختصر اختصاراً" (٥).

حيث أجمل الله قول اليهود والنصارى في قوله: (قالوا)، ثم فصل قولهم فاليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً، والنصارى قالوا لن يدخل الجنة إلا نصرانياً، ونلاحظ أن السمعاني عد اللف والنشر المجمل من باب الاختصار .

- ومثله قول الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٦).

"وَمَعْنَاهُ: قَالَتْ الْيَهُودُ: كُونُوا يَهُودًا وَقَالَتْ النَّصَارَى كُونُوا نَصَارِيًّا فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى {كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارِيًّا تَهْتَدُوا}" (٧).

فأجمل في قوله: (قالوا) وفصل في قوله: (هوداً أو نصارى) .

(١) فتح القدير، (ج ١ / ٣٢٢) .

(٢) التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م) (١٩٣) .

(٣) من بلاغة القرآن، (٢٦٩) .

(٤) البقرة / ١١١ .

(٥) تفسير السمعاني، (ج ١ / ٨٨) .

(٦) البقرة / ١٣٥ .

(٧) تفسير السمعاني، (ج ١ / ١٠٢) .

٧- تجاهل العارف:

وهو مصطلح قديم ذكره ابن المعتز في كتابه البديع، واعتبره من محاسن الكلام والشعر، وذكره أيضاً صاحب الصناعتين بقوله: "هو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيداً" (١).

وأطلق عليه السكاكي: "سوق المعلوم مساق غيره لنكتة"، ترفعاً عن تسميته بتجاهل العارف لوروده في القرآن الكريم .

- ومن أمثله قول الله ﷻ: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

"قوله: {ألم تعلم} وإن كان على صيغة الاستفهام، لكن المراد به التقرير. ومعناه: أنك تعلم أن الله على كل شيء قدير" (٣).

فالله سبحانه وتعالى يسأل السؤال وهو يعلم الإجابة دون أدنى شك، والاستفهام خرج عن حقيقته إلى معنى التقرير .

- ومن أمثله أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَبِكُفْرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) .

قوله: {من قبل إن كنتم مؤمنين} يعني في زعمكم، وقيل: معناه: ما كنتم مؤمنين على النفي. كقوله تعالى: {قل إن كان للرحمن ولد} (٥) أي: ما كان للرحمن ولد" (٦).

- ومثله كذلك قول الله ﷻ: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ط وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَابِلَ

(١) الصناعتين، (٣٩٦) .

(٢) البقرة/١٠٦ .

(٣) تفسير السمعاني، (ج ١/٨٥) .

(٤) البقرة/٩١ .

(٥) الزخرف /٨١ .

(٦) تفسير السمعاني، (ج ١/٧٤) .

هَرُوتَ وَمَرْوَتٌ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۗ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۗ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ .

"فإن قيل: أليس قد قال: {ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق} فما معنى قوله: {لو كانوا يعلمون} وقد أخبر أنهم قد علموا؟

قيل: أراد بقوله: {ولقد علموا} الشياطين، وبقوله: {لو كانوا يعلمون} اليهود، وقيل: كلاهما في اليهود؛ لكنهم لما لم يعملوا بما علموا؛ فكأنهم لم يعلموا" (٢).

فإنه سبحانه وتعالى ساق المعلوم الذي أثبتته في الآية الكريمة بقوله: {ولقد علموا} سوق المجهول بقوله: {لو كانوا يعلمون} لنكتة، فهم عندما لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا أصلاً.

– ومن أمثلة تجاهل العارف أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۙ﴾ (٣).

"وقوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ} أي: شك، فإن قيل: كيف ذكره على التشكيك وهم في ريب على التحقيق؟ قيل: مثله جائز في كلام العرب؛ كما يقول الرجل لغيره: إن كنت رجلاً فافعل كذا، وإن عرف أنه رجل على التحقيق" (٤).

فأنزل المعلوم منزلة المجهول، وقد يكون ذلك استهزاءً بهم لبيان عجزهم وكذبهم وقلة حيلهم، فهم غير قادرين عن الإتيان بمثل هذا القرآن العظيم، ولا يملكون شهداء من دون الله ﷻ.

ثانياً: المحسنات اللفظية ومنها :

١- السجع: "هو تواطؤ الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد أو حرفين متقاربين، أو حروف متقاربة" (٥).

(١) البقرة/١٠٢.

(٢) تفسير السمعاني، (ج ١/٨١).

(٣) البقرة/٢٣.

(٤) تفسير السمعاني، (ج ١/٣٦).

(٥) من بلاغة القرآن، (٢٨٦).

وبعضهم يترفع عن تسميته في القرآن الكريم بالسجع بل يطلق عليه مصطلح الفاصلة القرآنية - ونوه السمعاني لشاهد واحد - فيما نظرت - للفاصلة القرآنية وذلك في قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ (١) .

"قوله: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا} وَقُرِئَ: " سلاسل "، وَالْأَصْلُ سلاسل لَا تَنْصَرِفُ، وَأَمَّا صَرْفُهُ عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ " سلاسلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا " عَلَى مُوَافَقَةِ قَوْلِهِ: {أَغْلَالًا} وَذَلِكَ جَائِزٌ عَلَى مَذْهَبِ الْعَرَبِ" (٢).

فجاءت سلاسل مصروفة لتتناسق مع الآية الكريمة وتعطي جرساً موسيقياً يضيفي الجمال على النص القرآني، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: " وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سجعاً حسناً، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبغى به بدلاً، ولا تجد عنه جواً" (٣).

(١) الإنسان / ٤ .

(٢) تفسير السمعاني، (ج ٤/٤٢٦) .

(٣) أسرار البلاغة، (١١) .

الخاتمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِينُ بِهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مِنْ يَهْدِ اللَّهِ فَلَا مَضِلَ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُبْعُوثُ بِالْكِتَابِ الْمُبِينِ، الْفَارِقُ بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَالشَّكِّ وَالْيَقِينِ، أَنْزَلَهُ لِنَقْرَأَهُ تَدْبِيرًا، وَنَتَأَمَّلَهُ تَبَصُّرًا، وَنَسْعَدَ بِهِ تَذَكُّرًا، وَنَحْمِلَهُ عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِهِ وَمَعَانِيهِ، وَنُصَدِّقَ بِهِ وَنَجْتَهِدَ عَلَى إِقَامَةِ أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَنَجْتَبِي ثَمَارَ عُلُومِهِ النَّافِعَةِ الْمُوصِلَةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ أَشْجَارِهِ، وَرِيَّاحِينَ الْحِكْمِ مِنْ بَيْنِ رِيَّاضِهِ وَأَزْهَارِهِ، فَهُوَ كِتَابُهُ الدَّالُّ عَلَيْهِ لِمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَتَهُ، وَطَرِيقُهُ الْمُوصِلَةُ لِسَالِكِهَا إِلَيْهِ، وَنُورُهُ الْمُبِينُ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَرَحْمَتُهُ الْمُهْدَاةُ الَّتِي بِهَا صَلَاحُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَالسَّبَبُ الْوَاصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ إِذَا انْقَطَعَتِ الْأَسْبَابُ، وَبَابُهُ الْأَعْظَمُ الَّذِي مِنْهُ الدُّخُولُ، فَلَا يُغْلَقُ إِذَا غُلِقَتِ الْأَبْوَابُ أَمَا

بعد :

شَعَلْتُ بِسَمْعَانِي مَرَوْ مَسَامِعِي	فَحَزْتُ الْمُنَى مِنْ أَوْحِدِ الْعَصْرِ فَرِدِهِ
وَأَلْبَسْتُ زِيًّا مِنْ نَسَائِجِ وَشِيهِ	وَقُلَّدْتُ سَمَطًا مِنْ جَوَاهِرِ عَقْدِهِ
وَسَرَّخْتُ مِنْهُ الطَّرْفَ فِي مُتَوَاضِعِ	أَتَى نَحْوَهُ الْجَبَّارُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِهِ
فَبَاتَ عَزِيزَ الْعَيْشِ فِي بَيْتِ عَزِهِ	وَوَظَلَ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي ظِلِّ مَجْدِهِ

بعد إتمام هذه الدراسة أقف على مجموعة من أهم النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج:

- ١- يعد تفسير السمعاني موسوعة ضخمة لما اشتمل عليه من غزارة تفسير، وحكم رائعة، وعظات مؤثرة، وما حواه من وجوه الإعجاز البلاغي واللغوي.
- ٢- يعد تفسير السمعاني من التفاسير القائمة على مذهب أهل السنة والجماعة، فعقيدة المؤلف ومباحثه العقديّة هي أهم ما تميز به، فقد اهتمّ فيه ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة، والردّ على أهل البدع والأهواء، ودحض شبهاتهم وأباطيلهم، فما من آية في القرآن اتخذها أهل البدع والأهواء دليلاً لنصرة مذهبهم، أو صرفوها عن ظاهرها وأولوها، إلا رأبته متصدياً لهم، مبطلاً لبدعهم، ومنتصراً لمذهب أهل السنة والجماعة.
- ٣- تأثر السمعاني بالعديد من المفسرين واللغويين والنحويين السابقين له وكان يستعرض آراءهم، ويرجح أحدها، وفي بعض الأحيان يستعرض آراءهم ليرد عليها برأي مخالف، ومن أمثلة الأعلام الذين أخذ عنهم : الفراء (٢٠٧هـ)، أبو عبيدة بن المثنى (٢٠٨هـ)، ابن قتيبة

- (٢١٣هـ)، وابن السكيت (٢٤٤هـ)، والمبرد (٢٨٦هـ)، والإمام ثعلب (٢٩١هـ)، والزجاج (٣١١هـ) وغيرهم كثير.
- ٤- تميز السمعاني بأسلوبه التربوي التعليمي في عرض الآيات التي تحتاج لتوضيح وبيان، عن طريق استخدام أسلوب السؤال والجواب، وهو أسلوب راقٍ في التعامل مع المخاطب، لاستحواذ اهتمامه وتنشيط عقله.
- ٥- اعتنى السمعاني بعلمي المعاني والبيان أكثر من اهتمامه بعلم البديع، حيث اهتم بدلالة الألفاظ والصور البيانية وإبراز معانيها .
- ٦- اهتم السمعاني بالصورة التمثيلية، وكان يرسمها في أبهى صورة ويهتم بالتفاصيل ويوضح المشبه والمشبه به ووجه الشبه، كما كان يهتم بأسباب التشبيهات ويعللها وفي هذا إعمال للعقل وتنشيط للذهن .
- ٧- كل كلام ورد في القرآن الكريم على غير لسان البشر - كالجملات والدواب وغيرها - هو على الحقيقة، ولا وجه فيه للمجاز، فكلام الجنة والنار والجبل والسموات والأرض على الحقيقة حسب رأي أهل السنة والجماعة .
- ٨- ذكر السمعاني بعض المصطلحات البلاغية بمفهومها الذي اتفق عليه علماء البلاغة بعد استقرارها ومن هذه المصطلحات التكوين والمشاكل والبيان .
- ٩- اهتم السمعاني بالوقوف عند الأغراض البلاغية للون البلاغي، مثل بلاغة القصر بالنفي والاستثناء، وبلاغة التتميم - من صور الإطناب - وغيرها .

ثانياً: التوصيات :

- ١- إن الدراسات البلاغية القرآنية - خاصة من كتب التفسير - ما زالت بحاجة إلى دراسات متأنية لملاحظة جانب الفصاحة والبيان في القرآن الكريم، فهو بحر غزير يحتاج إلى من يغوص في أعماقه؛ ليستخرج محاسن المعاني والدرر المكنونة في ألفاظه البليغة.
 - ٢- نشر تفسير السمعاني في المكتبات العلمية ليسهل على طلاب العلم تناوله، والاستفادة منه، فلم أعثر على نسخة ورقية في مكتبات غزة من هذا التفسير.
 - ٣- بلورة منهج فكري سليم قائم على العقيدة الراسخة، وغزارة العلم بماضينا وتراثنا العربي، ليكون أداة تحكيم قوية لدراسة ما يفد إلينا من شرق أو غرب - تحت مسمى البلاغة- وتنقيحه والرد عليه والاستفادة منه .
- في الختام أسأل الله -عز وجل- أن يهدينا لما فيه الخير، وأن يبارك لنا في أعمالنا، فما كان في هذا العمل من صواب فهو من الله العزيز الحكيم، وما كان من خطأ فهو من نفسي والشيطان .

الفهارس العامة

ويشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس الأشعار .

رابعاً: فهرس الأعلام .

خامساً : قائمة المصادر والمراجع .

سادساً: فهرس الموضوعات .

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	طرف الآية
البقرة		
٩٢ ، ٨٩ ، ٨٧ ، ٤٢	٢	ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ
٨٨	٣	الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
٨٨	٤	وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ
٩٢	٥	أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
٤٦	٦	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
١٣٥ ، ١١٩	٧	خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
٢٥٢	٩	يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ
٢٢٠	١٠	فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ
٢٠٣	١١	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ
١٣٢	١٢	أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ
٢٥٤	١٣	إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ
٢٥٢ ، ٢٢٠	١٤	وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ
٢٢٨	١٦	أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ
١٦٩	١٧	مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٠٧	١٩	أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ
٢٢١	٢٠	يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا
٢١٠	٢٢	الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً
٢٦٢ ، ٥٨	٢٣	وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ
٢٠٣ ، ٢٧	٢٤	فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ
٧٩	٢٨	كَيْفَ نَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
٧٩ ، ٤٤	٣٠	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
١٢٧	٣١	وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ
١٩٧	٣٦	فَارْتَدَّ الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ
١١٩	٤٠	يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ
٢١٨	٤١	وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ بِهِ
٢٢١	٤٢	وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
٩٣	٤٤	أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
١١٦	٤٥	وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ
٩٢	٤٧	يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٥١ ، ١٣٦	٤٩	وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ
٢٠٨	٥٨	وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
١٤١	٦٠	وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ف
١١٧	٦١	وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعِ لَنَا رَبَّكَ
٦٠ ، ١٦	٦٥	وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ
١٠٢	٧٢	وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ
٢١٦ ، ١٦٧	٧٤	ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً
٢١٢	٧٩	فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
٥٣ ، ١١٠ ، ٤٠ ، ٥٨	٨٣	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ
٢٠٤	٨٤	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ
١٠٦	٨٥	ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ
٢٢٨	٨٦	أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ
٢١٧	٨٨	وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ
٢٣٤	٩٠	بُسْمًا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
١٩٦ ، ١١٣ ، ٢٣ ، ٢٦١	٩١	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٤٩ ، ٣١	٩٥	وَلَنْ يَمُنُّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ
١٥٣	٩٨	مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ
٢٦٢ ، ٢٠٤ ، ١١٣	١٠٢	وَاتَّبِعُوا مَا تَلَوُا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا
٢٥٧	١٠٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ
١٢٤	١٠٥	مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ
٢٦١ ، ٢٤٨ ، ٧١	١٠٦	مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسَّهَا نَأَتْ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلِهَا
٧٢	١٠٨	أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ۗ
٨٥	١٠٩	وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَهَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ
٢٦٠ ، ١٤٢	١١١	وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ
١٤٢ ، ٩٣	١٢٠	وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ
٩٤ ، ٩٢	١٢٢	يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ
١٨٨	١٢٤	وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي
٦٨	١٣٢	وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
٧٤	١٣٣	أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي
٩٣	١٣٤	تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٦٠	١٣٥	وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
٢٥٦	١٣٨	صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ
٨٣	١٤٠	أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى
٩٣	١٤١	تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا
٩٨	١٤٣	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
١٢٠	١٤٥	وَلَنْ آتِيَتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ
٩٤ ، ٨٧	١٤٧	الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ
١٠٥	١٤٨	وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلَاهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا
٩٤	١٤٩	وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
٢٥٣	١٥٢	فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ
٥٣	١٥٥	وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَاتِ وَبَشِيرٍ
٩٨	١٥٧	أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ
١٢٠	١٦٤	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ
٧٨	١٧٠	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفِينَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
١٧٨	١٧١	وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّبِعُ بِمَا لَا يُسْمَعُ إِلَّا دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ صُمُّ بَعْضُكُمْ عَمِّي فَهُمْ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٣٠	١٧٣	إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ
٥٢	١٧٥	أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَاةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ
٢٥٨ ، ١٩٩ ، ١٧٥	١٧٧	لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
١٢٨	١٨١	فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
٢٠٤	١٨٢	فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
٩٨	١٨٤	أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ
٩٨	١٨٥	شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ
٢٣٤	١٨٧	أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَاسٌ لَهُنَّ
٢٥٣ ، ٢٠١	١٩٤	الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشُّهُرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ
٢٠٨ ، ٢٠٦ ، ١٢٩	١٩٥	وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
١٢٥	١٩٩	تُمْ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
٢٤٤ ، ٨٩	٢٠٤	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ آذَانٌ
٢٢٢ ، ٥٤	٢٠٦	وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلِبَاسَ الْمِهَادِ
٨٩	٢٠٧	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ
٦٠ ، ٢٥	٢٠٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٠	٢١٠	هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ
١٩٩	٢١٣	كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
٨٢	٢١٤	أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبًا
١٣٧	٢١٧	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
٣٠	٢١٨	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ
١٠٣	٢١٩	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا لَأَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا
٢٠٢	٢٢٠	فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ
٢٠٥	٢٢١	وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ
٢٠٥	٢٢٩	الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ
٨٨	٢٣٢	وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضِلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا
٤٠ ، ٣٧	٢٣٣	وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ
١٥٣	٢٣٨	حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ
٢٥٠ ، ٢٢٣	٢٤٥	مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضاعفه له أضعافًا كَثِيرَةً
١٤٢ ، ٥٥	٢٤٦	أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِئِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ اأَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا
٩٤	٢٥٣	تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٣١	٢٥٥	اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ
٢٥١ ، ٢٢٣ ، ١٦٩	٢٥٦	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ
٢٥٠ ، ٢٣٠	٢٥٧	اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
٢٥٩ ، ٧٤ ، ٥١	٢٥٩	أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ
٧٢ ، ١٠٣	٢٦٠	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى
١٧٤	٢٦١	مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ سَبْعِ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ
١٧٠	٢٦٤	يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ
٢٥٩ ، ١٧٠	٢٦٥	وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ
١٧١	٢٦٦	أَبْوَدٌ أَحَدِكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
١٥٦	٢٦٧	يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
١٥٥ ، ٣٧	٢٧٢	لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ
٢٠٣ ، ١٦٨ ، ١٢٨	٢٧٥	الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ
٦٦	٢٨٣	وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا
٢٥١	٢٨٦	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
آل عمران		
١١٤ ، ١٠٦	٣	نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
٢٢٧ ، ١٢٠ ، ١٩	٧	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ
١٤٣	٩	رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ
١١٠	١٢	قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتَابٌ وَسُعُوبٌ وَسُجُورٌ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادَ
١٥٧	١٤	زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
٢٣٥	١٩	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
٢٤٠ ، ٧٧	٢٠	فَإِنْ حَاجَّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ
١٥٥	٢١	إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بَغْيٍ حَقٍّ
١٤١	٢٥	فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْنَا لَهُمْ لَيُّومٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
١٤٣	٢٦	قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ
٢٢٤ ، ٢١٧	٢٧	تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
٢٤٤	٢٨	لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي
١٤٤	٣٠	يَوْمٍ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ
٢٩	٣٦	فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنَّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٤٤	٣٧	فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا
٣٢	٣٩	فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ
٢١٧، ٨٢	٤٠	قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا
٢٠٧، ١٢٨	٤٣	يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ
٨٠	٤٧	قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
١٢١	٤٩	وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ
١٤٤	٥٣	رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ
٢٥٤	٥٤	وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ
١٠٤، ١٣	٥٥	إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ وَرَأْفَتِكَ وَرَأْفَعِكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
١٦٣	٥٩	إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
٢٢٩	٧١	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
٢٣٥	٧٤	يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
١٤٥	٧٦	بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
٢٣٥	٧٧	إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
٧٥	٨٠	وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٧٨	٨١	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ
٧٥	٨٦	كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
١٤٥	٩٧	فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ
٢٢٧	١٠٣	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
١١١	١٠٤	وَلَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
٢٤٢	١١٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ خَبَالًا
٢٣٦	١١٩	هَاتُمْ أَوْلَاءَ تُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا
٣٢	١٢١	وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
١٣١	١٢٦	وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ
٢٣٦ ، ٣٣	١٢٧	لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتْهُمْ فَيَنْتَقِلُوا خَائِبِينَ
٥٥	١٣٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً
٥٥	١٣٢	وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
٢٠٥	١٣٣	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
٢٩	١٤٠	إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ
١٩٨	١٥٢	وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٥٧، ٣٠	١٦٧	وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا
١٥٥	١٧١	يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ
١٢٥، ١٢٥	١٧٣	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا
٢٣٠، ١٩٨	١٧٦	وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا
٢١٨	١٧٧	إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا
٢٢٤	١٧٩	مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ
٢٠٦، ٣٢	١٨١	لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
٢٠٧، ١٢٩	١٨٢	ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ
١٨٩، ٣٣	١٨٥	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ
٣١	١٨٩	وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
٢٣٠	١٩٨	لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
النساء		
٦١، ٣٤	١	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
٢٠٩	٢	وَأَنزَلُ عَلَيْكُمُ الْمَوَاطِنَ وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ الَّذِي تَلْمِزُونَ وَمِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي كَسَبْتُمْ
٦٧	٣٢	وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٠٥	٣٥	وَلِإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا
٢٣٤	٤٣	يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ
٢٥٨	٤٦	مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
٨٤	٥٣	أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ قَبِيرًا
١٣٨	٦٤	وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ
١٢٤	٦٩	وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
٨٦	٧٧	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
٢٤٥	٨٠	مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا
١٤٦	٨٣	وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَاعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ
٥٦ ، ٤٧	٨٤	فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ
٤٣	٩٠	إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ
١٢٥ ، ٨٣	٩٧	إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ
٥٦	٩٩	فَأُولَٰئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَغْفِرَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا
٢٤٥	١١٠	وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظِلْمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا
١٩٧	١١٩	وَلَا ضَلَّاتَهُمْ وَلَا مَتِّبَتَهُمْ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَبْكُوا أَذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٩٩	١٣١	وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
٢٤٥	١٣٤	مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
٦٢ ، ٢٤	١٣٨	بَشِّرِ الْمُتَّقِينَ بَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا
٧٣	١٤١	الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ
٢٥٣	١٤٢	إِنَّ الْمُتَّقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى
١٠٠	١٤٦	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ
٧٣	١٤٧	مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا
١٤٦	١٤٩	إِنْ تُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُنْفَوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا
٤٩	١٥٠	إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ
٢٥٧ ، ١٩٤	١٥٢	وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ
٢١٨	١٥٥	فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ
٢٣٦	١٥٦	وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهَاتَانًا عَظِيمًا
١٠٤	١٦٣	إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
١٨٤ ، ٤٨	١٦٤	وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ
١٥٤	١٦٨	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٦١	١٧٠	يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ
٢٢	١٧٦	يَسْتَقْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَدٌّ وَهُوَ أَسْرَدٌ
المائدة		
٦٤	٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا سَعَاتِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ
١٣٥	٥	الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ
٢٢٥	١٥	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ
٢٢٥	١٦	يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
١٣٤	٢٦	قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ
١٨٥	٢٩	إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمِي وَأَيْمِنِكَ فَتُكُونَ مِنْ أصحابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ
٤٥	٣٧	يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّتِمِّمٌ
١٢٦، ١٠٧	٣٨	وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا
١٢٤	٤٠	أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
٦٩	٤١	يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ
٧٩	٤٣	وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ
١٠٤	٤٤	إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٠٧	٤٩	وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ
٢٢٠	٥٢	فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ
١٥٢	٥٧	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا
٢٣٧	٦٤	وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنَّا بِمَا قَالُوا بِالْإِذَاءِ مَبْسُوطَاتٍ
٢٤٢	٦٦	وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ
١٤٦	٧٣	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَنْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ
٢٣٧	٧٥	مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ
١٠٠	٨٨	وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ
٧٦	٩١	إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ
٦٤ ، ٥٧	٩٢	وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا
٣٤	٩٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَكُمُ اللَّهُ شَيْئًا مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ
١٣٦	٩٧	جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ
٢٢٤	١٠٠	قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ
٥٧	١٠٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ
١١٥ ، ٨٣	١١٦	وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٣٥	١١٨	إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
الأنعام		
٢١٢	٣٨	وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أُمَّتُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ
الأنفال		
١٠٥	٥	كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ
٢٤٠	١٢	إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ
٦١	١٤	ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ
١٨١	٢٢	إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ
٢١١	٢٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
١٥٠	٢٧	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
٢٢٦	٢٨	وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ
٢٥٤	٣٠	وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ
٢٨	٣٢	وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ
٣٨ ، ١١٥	٣٣	وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
١٠٠	٣٤	وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ
٢٢٨	٤٢	إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٠٩	٤٣	إذ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا لَفَهِسْتُمُ وَيَتَنَازَعُكُمْ فِي الْأَمْرِ
٩٥	٥٢	كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
٩٥	٥٣	ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا تَعَمَّةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيَّرُوا
٩٥	٥٤	كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ
١٢١	٦٠	وَأَعَدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
٣٨	٦٥	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَ
٩١	٧٢	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
٩١	٧٤	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا
التوبة		
٧٦	٧	كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ
٢٠	٨	كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً
٥٦	١٨	إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
١٤٧	١٩	أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
٦٣	٢٤	قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا
٣٨	٢٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا
٢٠٠	٢٩	قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٥٦، ٥٢	٣٠	وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ
٢١٢	٣٢	يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ
٢١٩	٣٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ
٦٤	٣٥	يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ
١٣١	٤٧	لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ
٢٣٣	٤٨	لَقَدْ اتَّبَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ
٦٥	٥٣	قُلْ أَتَقْتُلُونَهُمْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٦٥﴾
٢٠٢	٥٤	وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
٩٦	٥٥	فَلَا تُحِبِّكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
٥٣	٦٢	يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ
٣٨	٦٤	يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ
٢٤٩	٦٧	الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ
٢٥٥	٧٩	الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ
١٥٦	٨٠	اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ
٩٦	٨٥	وَلَا تُحِبِّكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٤٠	٨٦	وَإِذَا أَنْزَلْتُمْ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطُّولِ مِنْهُمْ
١٠٦	١٠١	وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُتَاقِفُونَ وَمَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ
٤٧	١٠٢	وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا
٧٨	١٠٤	أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ
٦٣	١٠٥	وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ
١٧٩	١٠٩	أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ
٢٣٨	١١٠	لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ
١٠١	١١٧	لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ
٤٢	١٢٠	مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
٨٠	١٢٤	وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُمْ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا
٢٥٥	١٢٧	وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُمْ سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا
يونس		
١١١، ١٠٩	٢٢	هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ
١٨٩	٣٥	قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ
يوسف		
١٥	٢٥	وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيْنا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢١٠	٨٢	وَأَسْأَلُ الْقَوْمَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ
٥٣	٩١	قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَيْنَاكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ
الرعد		
٢١٩	٣	وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا
١٤٧	٤	وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَنَخِيلٌ صِينُونَ
٢٤١	١٤	لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ
٢٥١ ، ٧٣ ، ٤٥	١٦	قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
١٧٩	١٧	أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا
٢٤٦	١٩	أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى
٥٤	٢٤	سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ
النحل		
١٩٤	٤٠	إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
١٤٤ ، ١٤٣	٨١	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا
الكهف		
٤٨	٤٦	الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
مريم		
٥٢	٣٨	أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
الحج		
٢٣٨	٢	يَوْمَ تَرُؤُهَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا
١٢٢	٥	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ
١٥٠	٢٤	وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ
٦٥	٢٨	لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقْتَهُمْ
٣٥	٤٢	وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَنُودٌ
١٥٧	٤٦	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
٢٥٣	٦٠	ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ
١٥١	٧٧	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمُ
النور		
١٠٧	٢	الرَّائِيَةَ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ
١٤٨	٢٠	وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رُؤُوفٌ رَّحِيمٌ
٥٥	٢١	
١٢٢	٣١	وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ
١٩٩ ، ١٧٦	٣٥	اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
١٨٠	٣٩	وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَاقِيَةٍ يُحْسِبُهَا الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٨٠	٤٠	أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ
٢٣٩	٤٣	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا
١٢٨	٤٥	وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ
٨٣	٥٠	أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ
٣٣	٥١	إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
١٠٩	٥٤	قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلْتُمْ وَمَا عَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ
٥٥	٥٦	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
٥٤	٥٧	لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلِبِئْسَ الْمَصِيرُ
١٢٣	٦١	لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ
٢٤٦	٦٢	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا
النمل		
١٩١	٨٢	وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا
القصص		
١٨٨	٨	فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا
١٨٧	١٠	وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٩٤	٢٥	فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
١٨٨	٤١	وَجَعَلْنَاهُمْ أَتَمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ
السجدة		
١٨٥	٣٠	فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ مَنْظُرُونَ
الأحزاب		
١٠٧	٧	وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى
٨٤	٨	لَيْسَأَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
٢٣٩	١٠	إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
١٧٢	١٩	أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغَسِّقُ عَلَيْهِ
٢٥٦	٢٤	لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ
٢٤١	٣٧	وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ
٢٢٥	٤٣	هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
٢٢٦	٤٦	وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا
١٩٤	٥٧	إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا
٢١٠	٧٢	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا
سبأ		
١٩٢	٣٣	وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
الصفات		
٢١٦	١٤٧	وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثَّةِ آلِفٍ أَوْ يَزِيدُونَ
فصلت		
٢١٧	٥	وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةِ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ
١٩٠	١١	ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا
الشورى		
٢٠٦ ، ١٢٩	٣٠	وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ
٢٥٣ ، ٢٠١	٤٠	وَجَزَاءَ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا
الزخرف		
٢٦١ ، ٢٣	٨١	قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ
الدخان		
٦١	٤٩	ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ
محمد		
٤٣	٨	وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ
٢١١	١٣	وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكُمَا هُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ
٧٦	١٤	أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَفَرَ بِهِ كُنْ لَهُ سُوءَ عَمَلٍ وَأَتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٨٠	١٦	وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنفَا
٢٠١	١٧	وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ
٣٠	١٩	فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
١٧٢ ، ١٤٨	٢٠	وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ
٣٩	٢١	طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
١٩١	٢٤	أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا
١٦٦	٢٩	أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَافَهُمْ
الفتح		
٤٦	٦	وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ
٢٤٩	٨	إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
٢٣٨	١٠	إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
الحجرات		
١٨٥	٧	وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
١٨٢	١٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا
ق		
١٨٦ ، ٢١	٣٠	يَوْمَ تَقُولُ لِحَبَّنتِمَّ هَلِ امْتَلأتِ وَقَوْلُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
الذاريات		
١٩٥	٥٧	مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ
القمر		
١٩١	١١	فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ
١٩٠	٤٨	يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ
الرحمن		
١٢٣	٣	خَلَقَ الْإِنْسَانَ
١١٨ ، ١٤	٢٢	يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ
١٦٥	٢٤	وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ
٦٣	٣٣	يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَفَعْتُمْ أَنْ تَفْذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
٣٦	٤٣	هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ
٢٥٥	٦٠	هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ
١٥٣	٦٨	فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَتَخْلُ وَرِمَانٌ
١٣٠	٧٢	حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ
الحديد		
١٤٩ ، ٨٤	١٠	وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُتَفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٥٢ ، ٨١	١٦	أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ
٦٧	٢٢	مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
٩٦	٢٧	ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ
الحشر		
١٢٦	٦	وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
أ	٢١	لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
٩٧	٢٤	هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ
الممتحنة		
٩٧ ، ٣٦	١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ
٣٩	٤	فَذَكَرْتُمْ لَكُمْ سُوءَ حَسَنَةٍ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ
٩٦ ، ٩٥	٦	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ
٩٧	١٣	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
الصف		
٢٢٦	٨	يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ
١٩٢	١٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ
الجمعة		
١٢٩	٢	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٧٣	٥	مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا
٢٤٩	٨	قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
٦٤	١٠	فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ
١١٧	١١	وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ
المنافقون		
٣٦	١	إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ
١٧٣	٢	اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
٢٥٠	٣	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ
١٧٥ ، ١٦٥	٤	وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُّسَدَّدٌ
٢٤	٥	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ
٢٤٩	٨	يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ
١٤٩	١١	وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
التغابن		
٢٥٧	١٧	إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ
الطلاق		
١١١	١	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٥٤	٤	وَاللَّيْلِ يَسُنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ
٣٩	٦	أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لَنْ يُضَيِّقُوا عَلَيْكُمْ
٥٧	٧	لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُيَقِّمْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ
٢٢٥ ، ٢٠٩	١١	رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ
التحريم		
١٢٦ ، ١٢٤	٤	إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا
الجن		
١٩٣	٦	وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا
المزمل		
٢٣٩	١٧	فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا
الإنسان		
٧٤	١	هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا
٢٤٩	٣	إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا
٢٦٣	٤	إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا
٥٤	٦	عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا
١٩٠	١٠	إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٥٤	١٨	عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا
١٤٩	٢٠	وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا
٢٥٦	٢٢	إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا
٦٤	٢٦	وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا
٢١٩	٢٧	إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا
٤٠	٢٩	إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا
النازعات		
١٩٥	٥	فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا
الشمس		
٥٣	٢، ١	وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا
الزلزلة		
٢٣٣	٧، ٨	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ
العصر		
١٢٣	١	وَالعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ
الفلق		
١٩٥	٣	وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	طرف الحديث
١٩٦	أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ بِيَدِي، وَأَشَارَ إِلَيَّ الْقَمَرُ وَقَالَ: تَعُوذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، هُوَ الْعَاسِقُ إِذَا وَقَبَ
١٩٧	بَعَثْتَ دَاعِيَا، وَلَيْسَ إِلَيَّ مِنَ الْهَدَايَةِ شَيْءٌ، وَبَعَثَ الشَّيْطَانُ مَزِينًا، وَلَيْسَ إِلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ شَيْءٌ
١٠٨	أَنَا أَوَّلُ النَّبِيِّينَ خَلَقَا وَآخِرُهُمْ بَعَثْنَا
١٦٠	إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا
٢٣	لِي خَمْسَةَ أَسْمَاءَ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي يَمْحُو اللَّهُ بِِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَا نَبِيَّ بَعْدِي
٦٨	بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ
٢٤٢	أَسْرَعَكُنَّ بِي لِحُوقًا أَطْوَلَكُنَّ يَدًا
٢٢٦	إِنَّكُمْ لَتَجْبِنُونِي وَتَبْخَلُونِي وَتَجْهَلُونِي، وَإِنَّكُمْ لَمَنْ رِيحَانَ اللَّهِ

ثالثاً: فهرس الأشعار

الصفحة	بيت الشعر
٦٩	وَالنَّهْيُ قَاعُدُهُ مِنَ الْإِنشَاءِ وَحَرْفُهُ لَا وَهُوَ نُو اسْتِعْلَاءِ
٧٥	كَيْفَ نومي على الْفِرَاشِ وَلَمَّا تَشْتَمَل السَّامُ غَارَةَ شَعْوَاءِ؟
٩٧	وَكُلُّ نَفْسٍ عَلَى سَلَامَتِهَا يُمِيتُهَا اللهُ ثُمَّ يُبْرِئُهَا
١٦٢	كَأَنَّ مَنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
١٩٠	وَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمْعًا وَطَاعَةً وَحَذَرْنَا كَالدَّرِ لَمَا تَنْقَبُ
١١٦	وَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَأَنِّي وَقِيَارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ
١١	خَلِيلِيَّ إِنِّ وَأَفِيئُمَا دَارَ مَيَّةِ بِذَاتِ الْعَضَا فَالْجَزَعِ فَالْهَضْبَاتِ
١٥٢، ١٣٦	مَتَى تَأْتِنَا تَلْمَمَ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأْجِبَا
٢٣	وَلِي فَرَسٌ لِلْحِلْمِ بِالْحِلْمِ مُلْجَمٌ وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجٌ
٧٩	أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحِ
٦٥	وَالْأَمْرُ مِنْ أَنْوَاعِهِ ثُمَّ الْأَصْحُ صَيغَتُهُ بِاللَّامِ أَوْ لَا قَدْ وَضَحُ
٧٢	بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رُونِقِ وَصَوْرَتِهَا أَمْ أَنْتَ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ
١٤٢	وَرَأَيْتَ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا
٨	جِنْتُمَانِي لِتَعْلَمَا سِرَّ سَعْدِي تَجِدَانِي بِسِرِّ سَعْدِي شَحِيحَا
٣٠	الْقَصْدُ بِالْإِخْبَارِ أَنْ يُفَادَا مُخَاطَبٌ حُكْمًا لَهُ أَفَادَا

الصفحة	بيت الشعر
٢٦٤ ، ١٠	شَغَلْتُ بِسَمْعَانِي مَرَوْ مَسَامِعِي فَحَزُنْتُ الْمُنَى مِنْ أَوْحَدِ الْعَصْرِ فَرْدُهُ
٢٤١	فَأَصْبَحَتْ فِيمَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا مِنْ الْوَدِّ مِثْلَ الْقَابِضِ الْمَاءِ بِالْيَدِ
٢١٣	أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى ذَوَى الْعُودِ فِي الثَّرَى وَسَاقِ الثَّرِيَا فِي مَلَاعَتِهِ الْفَجْرِ
١١٣	شَهِدَ الْحُطَيْبَةُ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْغَدْرِ
٢٠٨	بِجَمْعِ تَضِلُّ الْبَلْقُ فِي حُجْرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَمَ فِيهِ سَجْدًا لِلْحَوَافِرِ
٢٨	مُحْتَمِلٌ لِلصِّدْقِ وَالْكَذِبِ الْخَبْرُ وَعَيْرُهُ الْإِنْشَاءُ وَلَا تَأْلِثَ قَرُ
١٦٥	لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
١٤٨	فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنَهَا نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفُسًا
١٨٦	رُبَّ مَنْ أَصْبَحَتْ غَيْظًا صَدْرُهُ لَوْ تَمَنَّى فِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَ
٥٩	فَأَصْبَحَتْ مِثْلَ النَّسْرِ طَارَتْ إِذَا رَامَ تَطْيَارًا يُقَالُ لَهُ قَعُ
٦٢	وَحِيلٌ قَدْ دَلَفَتْ بِهَا لَخِيلِ تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ
١٦١	كَالْعَيْنِ شَيْخٌ مُنْحَنٍ مُطَيِّسٍ أَعْرَفُهُ
١١٧	نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيِ مُخْتَلَفُ
١٨٩	مَنْ لَمْ يَمِتْ عِبْطَةً يَمِتْ هَرْمًا الْمَوْتُ كَأْسٌ وَكُلُّ النَّاسِ ذَانِقُهَا
٥٩	قَالَتْ جَنَاحَاهُ لِسَاقِيهِ الْحَقَا وَنَجِيًّا لِحَمَكُمَا أَنْ يُمَرَّقَا
١٢٣	دَعُونَ الْهَوَى ثُمَّ ارْتَمَيْنَ قُلُوبِنَا بِأَسْهُمِ أَعْدَاءٍ وَهَنَّ صَدِيقُ
١٧٨	فَانْعَقْ بِضَانِكَ يَا جَرِيرَ فَإِنَّمَا مَنْتَكَ نَفْسِكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالَا

الصفحة	بيت الشعر
١٧٤	ومسنونة زرق كأنياب أغوال
٣٠	أَوْ كَوْنُهُ قَدْ عَلِمَهُ وَالْأَوْلَى فَائِدَةٌ الْإِخْبَارِ سَمٌّ وَاجْعَلِ
٢٢٦	إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنْدٌ مِنْ سَيْوْفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ
١٩٣	لَقَدْ لُمْنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السَّرَى وَنَمَتِ وَمَا لَيْلُ الْمُطِيِّ بِنَائِمِ
٢١	لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ فُرَيْشٍ كَالِ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النِّعَامِ
١١	ادْفَعْ بِصَبْرِكَ حَادِثَ الْأَيَّامِ وَتَرَجَّ لُطْفَ الْوَاحِدِ الْعَلَّامِ
١٨١	مَنْ يَهُنُّ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لَجِحِ بِمَيِّتِ إِيْلَامِ
١٦٨	رَأَيْتِ الْمَنَايَا حَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ نُصِبَ ثُمْنُهُ وَمَنْ نُحْطِيءُ يَعْمُرُ فَيَهْرَمُ
١٠	حُسْنُ شِعْرٍ وَعُلَا قَدْ جُمِعَا لَكَ جَمْعًا يَا عَلِيَّ بْنَ الْحَسَنِ
٢٠١	أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا
١٠	حَبَا لَكَ مِنْ تَحْتِ ذَيْلِ الْحَبِيِّ شِعَاعٌ كَحَاشِيَةِ الْمَشْرِفِيِّ
١٦٢	كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرَهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي
٥٣	فَيَا قَاتِلَ اللَّهِ لَيْلَى كَيْفَ تُعْجِبُنِي وَأَخْبِرُ النَّاسَ أَنِّي لَا أَبَالِيهَا
٢٢	امْتَلَأَ الْحَوْضَ وَقَالَ قَطْنِي مَهْلًا وَرُوَيْدًا قَدْ مَلَأْتُ بَطْنِي
١٠	مُعَادٍ مُعَادِيهِ مَهْمَا طَوَى عَلَى بُغْضِهِ الْقَلْبُ، قَعْرَ الطَّوِيِّ

رابعاً: فهرس الأعلام

م	اسم العلم	الصفحة
١-	ابن أبي الأصبع	١٦٢
٢-	ابن أبي ذئب	١٩٦
٣-	ابن الأنباري	١٧٩ ، ٦٠
٤-	ابن السكيت	٢٤ ، ٤٣
٥-	ابن المعتز	٢٦١ ، ٢٤٨
٦-	ابن جريج	٢٣٥
٧-	ابن جني	١٨٣
٨-	ابن شيبة القرشي	١٠٩
٩-	ابن طباطبا	١٦٢
١٠-	ابن عاشور	١٤٠ ، ١٣٦ ، ١١٩ ، ١١٤ ، ١٤٠ ، ٤١
١١-	ابن عباس	١٧٨ ، ١٧٠ ، ١٥٣ ، ١٥٠ ، ١٤٥ ، ٨١ ، ٦٧ ٢٥٦ ، ٢٠٠ ، ٢٢٧ ، ٢٠٠
١٢-	ابن عرفة	١٧٤
١٣-	ابن عطية	١٩٩ ، ٧٨ ، ٤٤
١٤-	ابن فارس	١٨٣
١٥-	ابن قتيبة	٢٤ ، ٢٣٧ ، ٦
١٦-	ابن قيم الجوزية	٤١ ، ٣٧

م	اسم العلم	الصفحة
١٧-	ابن مسعود	١٨٧، ١٧٣، ١١٠، ٨١، ٨١، ٤٠
١٨-	أبو السعود	٢٣٥، ١٠٦، ٦٣، ٣١
١٩-	أبو بكر النقاش	١٢٦، ٢٠، ٩
٢٠-	أبو حاتم	١٠٥، ٨٨
٢١-	أبو سفيان	١٧١، ١١٥
٢٢-	أبو عبيدة بن المثنى	٢٦٤، ٢٤، ١٤
٢٣-	أبو عثمان النهدي	٤٧
٢٤-	أبو عمرو بن العلاء	٢١٣
٢٥-	أبو عيسى	١٩٦
٢٦-	أبو هريرة	١٠٨
٢٧-	أبي بن كعب	١٧٧، ١٧٦، ١٢٧، ١١٠، ٤٠، ٢٠، ٩
٢٨-	أبي رزين العقيلي	١٥٢
٢٩-	أبي سلمة	١٩٦
٣٠-	الأخطل	١٧٨
٣١-	الأخفش	١٠٥، ٨٨
٣٢-	الأخنس بن شريق	٢٤٤، ٨٩
٣٣-	الأزهري	١١٦، ١١٦، ١٠٤
٣٤-	الألوسي	٩٥، ١٩، ١٨

م	اسم العلم	الصفحة
-٣٥	امرؤ القيس	١٧٤ ، ١٦٢
-٣٦	الباخرزي	١٠
-٣٧	بشار بن برد	١٦٢
-٣٨	ثعلب	٤٣ ، ٢٤
-٣٩	الجاحظ	٢١٣
-٤٠	الحارث بن عبد الرحمن	١٩٦
-٤١	الحسن البصري	٢٠٩ ، ١٠٤ ، ٤٧
-٤٢	الحسن بن علي بن أبي طالب	٢٢٦
-٤٣	الحسين بن علي بن أبي طالب	٢٢٦
-٤٤	حكيم بن حزام	١١٥
-٤٥	حمزة	٢٦٠
-٤٦	خالد بن معدان	١٩٥
-٤٧	الخطيب القزويني	٢١٤ ، ١٦٣ ، ١٨
-٤٨	ذي الرمة	٢١٣
-٤٩	الرماني	١٦٢
-٥٠	الزجاج	١١٩ ، ١١٨ ، ٢٤ ، ٢٥٥ ، ٢٤٢ ، ٢٠ ، ٩ ٢٦٥ ، ٢٥٠ ، ٢١٨ ، ١٣٧
-٥١	الزركشي	١٦٧ ، ٨٦

م	اسم العلم	الصفحة
٥٢-	الزمخشري	٤١، ١٧٤، ١٤١، ١٧٤، ١٧٤، ١٨٦، ١١٢، ١٣٨، ١٣٩
٥٣-	زينب بنت جحش (أم المؤمنين)	٢٤١
٥٤-	السدي	١١٥، ٢٢٤
٥٥-	سعيد بن المسيب	٩٠
٥٦-	سعيد بن جبير	٣٢، ١٢٥
٥٧-	السكاكي	١٣٤، ١٦٠
٥٨-	سلمان الفارسي	٢٠٠
٥٩-	السمين الحلبي	٤٤
٦٠-	سهيل بن عمرو	١١٥
٦١-	السيوطي	١٨، ٢٨، ٤١، ٣٠، ١٦٧
٦٢-	الشعبي	٢٥٩
٦٣-	الشوكاني	٣٧، ٤٠، ٧٢
٦٤-	الصفدي	١٦١
٦٥-	صفوان بن أمية	١١٥
٦٦-	صهيب بن سنان	٩٠
٦٧-	الضحاك	٢١، ١٢٣، ١٧٨، ١٢٥، ١٢٥، ٢٢٣
٦٨-	طعمة بن أبيرق	٢٤٥

م	اسم العلم	الصفحة
٦٩-	عائشة	١٩٦
٧٠-	عبد القاهر الجرجاني	١٥، ١٦، ١٠٢، ١٣٣، ١٤١، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٤، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٢، ٢١٤، ٢٦٣
٧١-	عبد الله بن جحش	١٣٨
٧٢-	عبد الله بن قيس الرقيان	٧٥
٧٣-	العز بن عبد السلام	١٦٨
٧٤-	عطاء	٣٢، ٧٥
٧٥-	عكرمة بن أبي جهل	١١٥، ٢٢٩، ٢٥٦
٧٦-	علي بن أبي طالب	٢٣٥
٧٧-	عمر بن الخطاب	٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٧
٧٨-	عمرو بن الحضرمي	١٣٨
٧٩-	عمرو بن العاص	١٨٢
٨٠-	عمرو بن حممة الدوسي	٥٩
٨١-	عمرو بن معدي كرب	٦٢
٨٢-	الفراء	١٣، ٢٤، ١٤، ٢٦٤، ٥٢، ٧٦، ٧٧، ١١٠، ١٢١، ١٢٦، ١٥٣، ١٨٤
٨٣-	الفرزدق	٢١٣
٨٤-	قتادة	٢٠٠، ١٠٨، ١٢٣، ٢٣٩، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٨، ٢٥٦، ٢٥٩

م	اسم العلم	الصفحة
-٨٥	قتيبة بن مسلم	٦
-٨٦	قطرب	١٥١
-٨٧	القفال الشاشي	١١٨ ، ١٥ ، ١٤
-٨٨	الكرماني	٩٣
-٨٩	الكسائي	٢٦٠ ، ٥٢ ، ٢٢
-٩٠	الكلبي	٢٥٩ ، ٢٢٩
-٩١	الكندي	٤٨
-٩٢	المبرد	١٦٤ ، ١٣٦ ، ١٢٧ ، ٢٣٤ ، ١٣٧ ، ٢٤ ، ٢٦٥ ، ٢٣٢
-٩٣	المتنبي	١٨١
-٩٤	مجاهد	٢٢٤ ، ١٧٠ ، ٨٨ ، ٣٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ٩ ، ٢٣٥ ، ١٠٥ ، ٢٥٦ ، ٢٢٩
-٩٥	معاذ بن جبل	١٩٥
-٩٦	مقاتل بن حيان	١١٠ ، ٨١
-٩٧	النحاس	١٩٦ ، ٧٧
-٩٨	النظام	٢٧
-٩٩	نعيم بن مسعود الأشجعي	١٢٥ ، ١٢٥
-١٠٠	الواحدي	١٠٦
-١٠١	وائل بن عطاء الصوفي	١٤٤

خامساً: فهرس المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

- ١- الإتيان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم ، د. ط (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م).
- ٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بتفسير أبي السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ابو السعود، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، د.ط (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠١م).
- ٣- الأزمنة والأمكنة: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت: ٤٢١هـ)، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).
- ٤- أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط١ (جدة، دار المدني، ١٩٩١م).
- ٥- أسرار التكرار في القرآن: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، د.ط (د.ق، دار الفضيلة، د.ت).
- ٦- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين: الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، (ت: نحو ٣٨٠هـ)، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (ت: ٣٧١هـ)، تحقيق: محمد علي دقة، د.ط (سوريا، وزارة الثقافة، ١٩٩٥م).
- ٧- الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م).
- ٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، د.ط (بيروت دار الفكر، ١٩٩٥ م).
- ٩- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، ط١٥ (د.ق، دار العلم للملايين، د.ت).
- ١٠- أعيان العصر وأعوان النصر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: علي أبو زيد ومجموعة، ط١ (لبنان، دار الفكر، ١٩٩٨م).

- ١١- الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني(ت٣٥٦هـ)، تحقيق: إحسان وبكر عباس، وإبراهيم السعافين، ط٣(بيروت، دار صادر، ٢٠٠٨م).
- ١٢- إنباه الرواة على أنباه النحاة: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ (القاهرة، دار الفكر العربي، وبيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م).
- ١٣- الأنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت: ٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى العلمي اليماني وغيره، ط١(حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٢م).
- ١٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: عبد القادر حسونة، د.ط (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦م)
- ١٥- أنوار الربيع في أنواع البديع: صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم (ت: ١١١٩هـ).
- ١٦- الإيضاح: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩هـ)، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٤ (بيروت، دار الكتاب، ١٩٧٥م).
- ١٧- بحر العلوم : أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود ، د.ط(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م).
- ١٨- البحر المحيط في أصول الفقه: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد تامر ، ط٢ (بيروت- دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م).
- ١٩- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، د.ط (د.ق، دار الفكر، ١٩٨٦م).
- ٢٠- بدائع الفوائد: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف (بابن قيم الجوزية) (ت٧٥١هـ)، ط١ (القاهرة، دار ابن الهيثم، د.ت).

- ٢١- البديع في البديع: أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (ت: ٢٩٦هـ)، ط ١ (د.ق، دار الجيل، ١٩٩٠م).
- ٢٢- البديع في نقد الشعر: أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (ت: ٥٨٤هـ)، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، د.ط (الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت).
- ٢٣- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١ (بيروت، دار المعرفة، ١٩٥٧م).
- ٢٤- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي (ت: ١٣٩١هـ)، ط ١٧ (د.ق، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م).
- ٢٥- البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَّة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، ط ١ (دمشق، دار القلم، ١٩٩٦م).
- ٢٦- البلغة إلى أصول اللغة: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، تحقيق: سهاد حمدان أحمد السامرائي، د.ط (د.ق، جامعة تكريت، د.ت).
- ٢٧- البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، د.ط (بيروت - دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣ هـ).
- ٢٨- تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق: عمر تدمري، ط ٣ (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٨م).
- ٢٩- التبيان في أقسام القرآن لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد شريف سكر، د.ط (لبنان - دار إحياء العلوم، ١٩٨٨م).
- ٣٠- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان: حسين بن محمد الطيبي (ت: ٧٤٣هـ)، تحقيق: عبد الستار زموط، ط ١ (بيروت، دار الجيل، ١٩٩٦م).
- ٣١- تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت: ٦٥٤هـ)، تحقيق: حفي محمد شرف، د.ط (الجمهورية العربية المتحدة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ت).
- ٣٢- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، د.ط (تونس، دار سحنون، ١٩٩٧م).

- ٣٣- التديون في أخبار قزوين: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (ت: ٦٢٣هـ)، تحقيق: عزيز الله العطاردي، د.ط (د.ق، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م).
- ٣٤- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م).
- ٣٥- تفسير ابن عرفة: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت: ٨٠٣هـ)، تحقيق: جلال الأسيوطي، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).
- ٣٦- تفسير السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م).
- ٣٧- تفسير الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١ (د.ق، دار هجر، ٢٠٠١م).
- ٣٨- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي): أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت: ٦٦٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط١ (بيروت، دار ابن حزم، ١٩٩٦م).
- ٣٩- التفسير الواضح، تأليف: محمد محمود الحجازي، ط١٠ (بيروت - دار الجيل، ١٤١٣هـ).
- ٤٠- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ)، تحقيق: يوسف الصميلي، د.ط (بيروت - المكتبة العصرية، د.ت).
- ٤١- حلية المحاضرة: محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، أبو علي (ت: ٣٨٨هـ)، نسخة ((8، pdf))
- ٤٢- حياة الحيوان الكبرى: محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (ت: ٨٠٨هـ)، ط٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).
- ٤٣- خزنة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزرازي (ت: ٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو، د.ط (بيروت، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٤م).

- ٤٤ - خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لعلم المعاني): محمد محمد أبو موسى، ط٧ (القاهرة - مكتبة وهبة، ١٩٩٦م).
- ٤٥ - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت: ١٤٢٩هـ)، ط١ (د.ق، مكتبة وهبة، ١٩٩٢م).
- ٤٦ - الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، ط٤ (د.ق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت).
- ٤٧ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، د.ط (دمشق، دار الفلم، ١٩٨٦).
- ٤٨ - دَرْجُ الدَّرْرِ فِي تَفْسِيرِ الآيِ وَالسُّورِ: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ) تحقيق: طلعت صلاح الفرحان ومحمد أديب شكور أمير، ط١ (الأردن، دار الفكر، ٢٠٠٩م).
- ٤٩ - دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاکر، ط٣ (جدة، دار المدني، ١٩٩٢م).
- ٥٠ - دلائل النبوة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: محمد رواس و عبد البر عباس، ط٢ (بيروت، دار النفائس، ١٩٨٦م).
- ٥١ - دمية القصر وعصرة أهل العصر: علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخري، أبو الحسن (ت: ٤٦٧هـ)، ط١ (بيروت، دار الجيل، ١٤١٤هـ).
- ٥٢ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
- ٥٣ - سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، د.ط (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م).

- ٥٤- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط٣ (د.ق، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م).
- ٥٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العسكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرنؤوط، ط١ (دمشق، دار ابن كثير، ١٩٨٦م).
- ٥٦- شرح التلخيص: محمد هاشم دويدري، ط٢ (بيروت، دار الجيل، ١٩٨٢م).
- ٥٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).
- ٥٨- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير ابن ناصر الناصر، ط١ (د.ق، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
- ٥٩- صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، د.ط (بيروت، دار الجيل، ١٣٣٤هـ).
- ٦٠- الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهراّن العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط (المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩ هـ).
- ٦١- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ) تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢ (د.ق، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت).
- ٦٢- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع الزهري الهاشمي البصري ابو عبد الله (٢٣٠هـ). ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م).
- ٦٣- طبقات المفسرين للداوودي، تحقيق: علي عمر، ط٢ (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٤م).
- ٦٤- طبقات النحويين والبلاغيين: محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (ت: ٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢ (د.ق، دار المعارف، د.ت).

- ٦٥- الطراز لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبني الملقب بالمؤيد بالله (ت: ٧٤٥هـ)، د.ط (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).
- ٦٦- العبر في خبر من غبر للذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قأيماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، د.ط (بيروت، دار الكتب العلمية ، د.ت) .
- ٦٧- عروس الأفراح للسبكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١ (بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٣م).
- ٦٨- عقود الجمان في علم المعاني والبيان: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد ضحا، ط١ (القاهرة، دار الإمام مسلم، ٢٠١٢م) .
- ٦٩- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، د.ط (بيروت، دار النهضة العربية، د.ت) .
- ٧٠- علوم البلاغة: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، ط٣ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م) .
- ٧١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥ (دق، دار الجيل، ١٩٨١م).
- ٧٢- عيار الشعر: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسن العلووي، أبو الحسن (ت: ٣٢٢هـ) / تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، د.ط (القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ت) .
- ٧٣- الفاضل: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت: ٢٨٥هـ)، ط٣ (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٤٢١ هـ) .
- ٧٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، د.ط (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).
- ٧٥- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الصنعاني الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، ط١ (دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٤ هـ) .
- ٧٦- القضاء والقدر: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجِرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، ط١(الرياض ،مكتبة العبيكان، ٢٠٠م) .

- ٧٧- قواعد الشعر: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب (ت: ٢٩١هـ)، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط ٢ (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٥م).
- ٧٨- الكامل في اللغة والأدب، تأليف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣ (القاهرة - دار الفكر العربي، ١٩٩٧م).
- ٧٩- الكشف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، ط ٣ (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).
- ٨٠- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط ١ (بيروت، دار إحياء التراث، ٢٠٠٢م) (ج ٨ / ٣٥٦).
- ٨١- اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل: محمد علي السراج، تحقيق: خير الدين شمسي باشا، ط ١ (دمشق، دار الفكر - ١٩٨٣م).
- ٨٢- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، د.ط (بيروت، دار صادر للنشر، ١٩٠٠م).
- ٨٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، د.ط (القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت).
- ٨٤- مجاز القرآن لأبي عبيدة، تحقيق: محمد سزكين، د.ط (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨١هـ).
- ٨٥- مجمل اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط ٢ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م).
- ٨٦- المحرر الوجيز: ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، (ت ٥٤٢هـ) ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).
- ٨٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، ط ١ (د.ق، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م).

- ٨٨- المصون في الأدب: أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري (ت: ٣٨٢هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢ (الكويت - مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م).
- ٨٩- معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١ (بيروت - دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
- ٩٠- معالم الكتابة: أبو القاسم عبد الرحيم بن علي بن الحسين بن اسحاق بن شيث القرشي (ت: ٦٢٥هـ)، تحقيق: محمد شمس الدين، د.ط (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م).
- ٩١- معاني القرآن للفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد النجاتي، ومحمد النجار، وعبد الفتاح الشلبي، ط١ (مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت).
- ٩٢- معاني القرآن للنحاس: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١ (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ).
- ٩٣- معاني القرآن وإعرابه للزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١ (بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٨م).
- ٩٤- معجم الأدباء: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط١ (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م).
- ٩٥- معجم البلاغة العربية، تأليف: بدوي طبانة، ط٣ (السعودية، دار المنارة، ١٩٨٨م).
- ٩٦- معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين: حاكم حبيب الكريطي، ط١ (بيروت - مكتبة لبنان، ٢٠٠١م).
- ٩٧- معجم مصطلحات البلاغيين: أحمد مطلوب، د.ط (لبنان - مكتبة لبنان، ٢٠٠٠م).
- ٩٨- مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ) تحقيق: نعيم زرزور، ط٢ (لبنان - دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م).
- ٩٩- من بلاغة القرآن: محمد ونعمان علوان، ط٣ (د.ق، د.ن، ٢٠٠٥م).

- ١٠٠- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).
- ١٠١- المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني، ط٥ (مصر، دار الكتاب العربي، ١٩٥٣).
- ١٠٢- المؤلف والمختلف: أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (ت: ٥٠٧هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).
- ١٠٣- الموسوعة القرآنية المتخصصة: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، د.ط (مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٢٠٠٢ م).
- ١٠٤- نزهة الألباء في طبقات الأدباء: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط٣(الأردن، مكتبة المنار، ١٩٨٥ م).
- ١٠٥- نصره الإغريض في نصره القريض: المظفر بن الفضل بن يحيى، أبو علي، العلوي الحسيني العراقي (ت: ٦٥٦هـ)، (نسخة الكترونية).
- ١٠٦- نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ)، ط١(القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣ هـ).
- ١٠٧- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، د.ط (بيروت، دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م).
- ١٠٨- والمنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني، ط٥ (مصر، دار الكتاب العربي، ١٩٥٣).
- ١٠٩- الوساطة بين المتنبي وخصومه: أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، د.ط (د.ق، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت).
- ١١٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط١(بيروت، دار صادر، ١٩٠٠م).

سادساً: فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	آية
ب	إهداء
ت	شكر وتقدير
١	المقدمة
١	أسباب اختيار الموضوع
٢	منهج البحث
٢	خطة البحث
٤	الدراسات السابقة
الفصل التمهيدي السمعاني : حياته وأخباره	
٦	اسمه ونسبه
٦	ولادته ونشأته
٧	مكانته وعلمه
١٥	السمعاني وتأثره بالجرجاني
٢٠	دراسة وصفية للكتاب
الفصل الأول علم المعاني في كتاب تفسير السمعاني	
٢٧	المبحث الأول : الخبر.
٢٧	تعريف الخبر
٢٨	أغراض الخبر
٤٦	الانتقال من الإنشاء إلى الخبر

الصفحة	الموضوع
٤٨	أضرب الخبر
٥١	المبحث الثاني : الإنشاء غير الطلبي والطلبي.
٥١	الإنشاء لغةً
٥١	الإنشاء اصطلاحاً
٥٢	الإنشاء غير الطلبي
٥٢	التعجب
٥٣	القسم
٥٤	صيغ المدح والذم
٥٥	الرجاء
٥٧	الإنشاء الطلبي
٥٧	الأمر
٥٨	الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر
٥٨	التعجيز
٥٩	التكوين
٦٠	النصح والإرشاد
٦١	الإهانة والتحقير
٦٣	التهديد
٦٤	الندب
٦٥	التسوية
٦٥	الإباحة
٦٦	النهي
٦٩	الاستفهام

الصفحة	الموضوع
٧١	الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام
٧١	التقرير
٧٤	النفي
٧٦	الأمر
٧٨	النهي
٧٩	التعجب
٨٠	السخرية والاستهزاء
٨١	الحث والترغيب
٨١	التسوية
٨٢	الاستبطاء
٨٢	التواضع
٨٢	التوبيخ
٨٤	الإنكار
٨٥	التمني
٨٧	المبحث الثالث : التعريف والتكثير
٨٧	الإشارة
٨٧	الإضمار
٨٨	الموصولية
٨٩	التعريف بالألف واللام
٩١	المبحث الرابع: التكرار.
٩١	التكرار لغة واصطلاحاً
٩٤	الأغراض البلاغية التي يخرج إليها التكرار

الصفحة	الموضوع
٩٤	التأكيد والمبالغة
٩٩	أن يناط به حكم جديد
١٠٠	التكرار لأنه يُلذُّ بذكره
١٠٠	الطرد والعكس
١٠١	ينوه بشأن المذكور
١٠٢	المبحث الخامس: التقديم والتأخير.
١٠٢	تعريف التقديم والتأخير
١٠٢	العناية والاهتمام
١٠٥	تقوية الحكم وتقديره
١٠٦	التخصيص
١٠٧	تقديم الكثير على ما دونه
١٠٧	التقديم لتقدمها في الزمن
١٠٩	المبحث السادس: خروج الكلام عن مقتضى الظاهر.
١٠٩	الالتفات
١١٣	التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل
١١٥	التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي
١١٦	وضع المفرد موضع المثنى
١١٨	وضع المثنى موضع المفرد
١١٩	وضع المفرد موضع الجمع
١٢٤	وضع الجمع موضع المفرد
١٢٦	وضع الجمع موضع المثنى
١٢٧	التغليب

الصفحة	الموضوع
١٣٠	المبحث السابع: القصر.
١٣٠	القصر بـ (إنما):
١٣١	القصر بالنفي والاستثناء
١٣٣	المبحث الثامن: الفصل والوصل.
١٣٣	تعريف الفصل والوصل
١٣٥	مواضع الوصل
١٣٦	مواضع الفصل
١٤٠	المبحث التاسع: الإيجاز والإطناب والمساواة .
١٤٠	أولاً: الإيجاز
١٤٠	إيجاز بالحذف
١٥٠	إيجاز بالقصر
١٥١	ثانياً الإطناب
١٥١	الإيضاح بعد الإبهام
١٥٣	ذكر الخاص بعد العام
١٥٤	ذكر العام بعد الخاص
١٥٥	النتعيم
١٥٦	تكميل الاحتراس
١٥٧	الترقي
الفصل الثاني	
الصور البيانية في كتاب تفسير السمعي	
١٦١	المبحث الأول : التشبيه .
١٦١	تعريف التشبه

الصفحة	الموضوع
١٦٥	التشبيه باعتبار الطرفين (المحسوس والمعقول)
١٧٥	التشبيه البليغ
١٧٦	التشبيه التمثيلي
١٨١	التشبيه الضمني
١٨٣	المبحث الثاني : الحقيقة والمجاز .
١٨٤	الحقيقة والمجاز عند السمعي
١٨٨	الألوان البلاغية للمجاز
١٨٨	المجاز بمفهومه العام
١٨٩	الاستعارة المكنية
١٩١	الاستعارة التصريحية
١٩٢	الفرق بين المجاز والاستعارة
١٩٢	رابعاً: الكناية
١٩٣	المشكلة التحقيقية
١٩٣	المجاز المرسل
١٩٤	المجاز العقلي
١٩٦	أقسام المجاز
١٩٦	المجاز العقلي والمجاز المرسل
٢١٣	المبحث الثالث : الاستعارة .
٢١٣	تعريف الاستعارة
٢١٥	الاستعارة المكنية
١٩١	الاستعارة التصريحية
٢٢٧	الاستعارة الأصلية والاستعارة التبعية

الصفحة	الموضوع
٢٢٨	الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة
٢٣٢	المبحث الرابع : الكناية.
٢٣٢	تعريف الكناية
٢٣٣	أقسام الكناية
٢٣٣	الكناية عن صفة
٢٤٠	كناية عن موصوف
٢٤٢	كناية عن نسبة
٢٤٤	المبحث الخامس: التعريض .
٢٤٤	التعريض لغة
٢٤٤	التعريض اصطلاحاً
الفصل الثالث الألوان البديعية في كتاب تفسير السمعاني	
٢٤٨	المبحث الأول : المحسنات المعنوية.
٢٤٨	الطباق
٢٥١	المقابلة
٢٥٢	المشاكلة
٢٥٧	التورية
٢٥٨	التجريد
٢٦٠	اللف والنشر
٢٦١	تجاهل العارف
٢٦٢	المبحث الثاني : المحسنات اللفظية.

الصفحة	الموضوع
٢٦٢	السجع
٢٦٤	الخاتمة:
٢٦٤	أولاً: النتائج.
٢٦٦	ثانياً: التوصيات.
الفهارس العامة	
٢٦٨	أولاً: فهرس الآيات القرآنية.
٢٩٩	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.
٣٠٠	ثالثاً: فهرس الأشعار.
٣٠٣	رابعاً: فهرس الأعلام.
٣٠٩	خامساً: فهرس المصادر والمراجع.
٣١٩	سادساً: فهرس الموضوعات.

ملخص الدراسة

الحمد لله الذي جعلني أتجول في رياض القرآن الكريم، وأستشق عبير لطائفه البلاغية التي تسحر النُهي، وأغوص في أسراره البلاغية التي تهيج العقول؛ للاطلاع على حقائق الإعجاز فيه، وأستخرج الصور البلاغية الكامنة في ثنايا التفسير القرآني .

دراستي للبلاغة العربية دراسة تطبيقية على القرآن الكريم من خلال تفسير السمعاني، فوضعت عنواناً للدراسة وهو " السمعاني(ت489هـ) وجهوده البلاغية في ضوء كتابه " تفسير السمعاني "(السور المدنية) " .

وجعلته في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، وكل فصل يحتوي على مباحث عدة:

أولاً: المقدمة، وضُحْتُ فيها السبب الباعث لاختيار الموضوع، وبيان خطة السير في هذا البحث.

ثانياً: التمهيد، تحدثت فيه عن المؤلف اسمه ونسبه، ولادته ونشأته، شيوخه وتلامذته بالإضافة إلى دراسة وصفية لكتاب "تفسير السمعاني".

ثالثاً: الفصول الدراسية الثلاثة على النحو التالي:

الفصل الأول بعنوان : باب علم المعاني في كتاب تفسير السمعاني، واشتمل على تسعة مباحث وهي: الخبر، الإنشاء، التعريف والتكثير، التكرار، التقديم والتأخير، خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، القصر، الفصل والوصل، الإيجاز والإطناب والمساواة .

أما **الفصل الثاني** بعنوان: الصورة البيانية في كتاب تفسير السمعاني، واشتمل على خمسة مباحث وهي: التشبيه، الحقيقة والمجاز، الاستعارة، الكناية، التعريض .

والفصل الثالث كان بعنوان: البديع واشتمل على مبحثين هما : المحسنات المعنوية، والمحسنات اللفظية .

ثم ختمت الدراسة بأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها وأتبع ذلك بالفهارس العامة والتي تشتمل على، فهرس الآيات القرآنية، فهرس الأحاديث النبوية، فهرس الأشعار، فهرس الأعلام، قائمة المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات .

Abstract

All praise is to Allah for granting me the blessing of exploring the Holy Qura'n and tasting its rhetorical ornaments that charm minds to have better understanding of the miracolousness and derive the rhetorical coordinating in the Holy Qura'n.

My study of Arabic rhetoric is an applied study of Holy Qura'n through Al Samany Interpretation. Thus, my study title is "Al Samany 489H and his rhetorical efforts in the light of his book "Al Samany Interpretation (Madani suras)"

The study consists of an introduction, three chapters and a conclusion. Each chapter consists of several sections.

First: Introduction in which the researcher explains the reasons behind choosing the topic and the plan of this research.

Second: Preamble in which the researcher presents the author, his ancestral line, birth, early life, his Sheikhs and his students. This is in addition to a descriptive study of Al Samany Interpretation book.

Third: The other three chapters are:

First Chapter: Semantics section in Al Samany Interpretation. It includes 9 sections: predicate, phraseology, definite and indefinite, repetitiousness, precedence and non precedence, speech deviation from appropriate norms, briefness, the case of pause and non pause in speech, briefing, amplication and equaling.

The second chapter title is the rhetorical images in Al Samany Interpretation. It includes five sections: simile, metaphor, allegory, metonymy and outspokenness.

The third chapter title is artistic coordination and literary techniques. It includes two sections: syntagmatic and verbal embellishments

Finally, the study presents the most important conclusions and recommendations. Bibliographies follow that. Indices include verses, narration, poems, celebrities, a list of sources and references and index.